

العشق المهدوي



بتول مرزوق رجاء الشريمي
(ام عمار)

العشق المهدوي

تأليف

بتول مرزوق رجاء الشريمي

- أم عمار -

العشق المهدوي
بتول مرزوق رجاء الشريمي
الرافد للمطبوعات
الاخراج الفني : ضياء الخفاف
الطبعة الاولى
1435 هـ - 2014 م
isbn : 978-600-6593-16-6

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾

الشُّورَى ١٣

قال الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ:

﴿ هُوَ لِإِثْمِكَ وَأَلْمَامِكَ وَمَغْلَبِكَ وَهَذَا الْقَائِمُ يَحُلُّ حِلَالِي

وَيَحْرَمُ حَرَامِي وَيَنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِي، يَا مُحَمَّد

أُحِبُّهُ، فَإِنِّي أُحِبُّهُ وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ ۖ

الأمة

السلام عليك يا أمير المؤمنين...

السلام عليك يا كهف الينامي واطساكين.. مولاي يا علي..

قال النبي محمد ﷺ: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة»^[1].

وقال ﷺ: «أشد من ينم الينيم الذي انقطع عن أبيه، ينم ينيم انقطع عن إمامه ولا يقدر

الوصول إليه»^[2].

يا أبانا إننا يتاماك ويتامى المهدي ابنك
يا أبانا إننا عشقناك وعشقنا جمالك وحُسنك
يا أبانا إننا عصيناك فاعفو عنا بفضك ومنك

مولاي يا علي..

(1) علل الشرائع ج 1 ص 127.

(2) بحار الأنوار ج 2 ص 2.

أثبت إليك حامله بين يدي مجهودي المتواضع، والذي يتحدث عن معشوق
ال محمد. فبحق قائمكم عليه السلام ..

والعشق الذي تحمله في قلبك لحفيدك المتناظر..

إلا ما تقبلت مني هذا القلب..

واسفك لي عند ربك أن يمنحني رضا إمام زمانني.. ويعمر قلبي بعشقه وذكره..

ويرزقني نصرته والشهادة بين يديه.

﴿يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهْلُنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾

يُوسُفُ ﴿٨٨﴾

كلمة شكر وعرفان

قال الإمام الرضا عليه السلام: ((من لم يشكر المنعم

من المخلوقين لم يشكر الله عز وجل))

العشيق المهدوي.. علمٌ تعلّمته، وأسلوبٌ انتهجته،

ومشاعرٌ سكنت بوجداني، وفكرةٌ تأصلت ونبعت في

أعماقي، من توجيهات وكلمات أستاذتي السيّدة

الفاضلة أم مهدي الموسوي حفظها الله.

وهنا تقف الكلمات على حُدود لساني عاجزة عن:

ترتيل آيات الشكر والامتنان

وصياغة كلمات الثناء والعرفان

لشخصها الذي يفيض خلقاً وإيماناً

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقها نصرة الإمام بقيّة

الله أكبّته ابن الحسن عليه السلام، وشفاعة

محمد وآله الطاهرين.. وأكمد لله رب العالمين.

أمّ عمار



اللهم صل على محمد وآل محمد وعجل فرجهم
اللهم عجل لوليك الفرج والعافية والنصر

لقد جاء في دعاء العهد: «اللهم اجعلني من أنصاره وأعوانه، والذابين عنه، والمسارعين إليه في قضاء حوائجه»^(١).

وهذا دعاء نكرره يومياً في صلواتنا وخلواتنا، وأمنية كل مؤمن ومؤمنة من ذكر وأنثى أن يختاره الله لنصرة وليه، وهذه النصرة غير مقيدة بظرف الزمان والمكان، فهي تكليف الموالي غائباً كان الإمام أم ظاهراً، أما الأثر فيقع على كيفية تحقيق النصرة وأشكالها.

إن نصرة الإمام المهدي عليه السلام لها أشكال مختلفة بجوهر واحد، وهو العمل بما يرضيه والاجتهاد للسير طبقاً لإرادته ورغبته، مع النفس ومع الآخر، وبذل المال والنفس في سبيل ذلك الرضى، ومن أهم تلك الأشكال: السعي لتعريف الناس به وبنهضته ودينه وفكره ونهجه الذي هو نهج أجداده عليهم السلام.

قال الإمام المهدي عليه السلام: «فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا»^(٢).

العشق والنصرة

إن وقود النصرة هو العشق، أن يعشق الموالي الإنسان الكامل المتجسد في الأرض، وهو الحجة بن الحسن روعي فداه، العشق هو الذي يُسِير

(١) مفتيح الجنان

(٢) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٢٤

الجوارح نحو الطاعة التامة الكاملة ، طاعة لا نظير لها، فالحب هو مفتاح الإخلاص والتفاني والإيثار والتضحية دون انتظار جزاء ولا ثواب ولا منفعة. تجلّت قيمة عشق المعصوم يوم عاشوراء على أرض كربلاء ، فعشق أنصار الحسين عليه السلام له رسم ملحمة بدم الحب الخالد لا يفهم خيوطها إلا المحبون، فما الذي يَبقى الإنسان في كفة الموت وكفة النجاة كانت متاحة ليلة العاشر عندما خيّرهم الحسين بين الرحيل أو البقاء، إلا أنهم يرون البعد عن المعشوق هو الموت والفناء.

العشق في الغيبة

عندما قيّد الناس العشق بالمعصوم بمشاهدته أو مشاهدة قبره، حُرّموا أنفسهم من الاستفادة من قدراتهم في بناء جسر غيبي بينهم وبين الحجة الغائب، فأهملوا السعي في صلته، وهو أعظم الأرحام، فهو بقية القربى التي أوجب الله علينا مودتها، فكانت النتيجة أن شاعت الأمراض بين الناس لأنهم هجروا الطبيب روحي فداه وكثر المتخاصمون لأنهم غفلوا عن المصلح بين القلوب. ولأهمية العشق في تحقيق النصر للإمام المهدي ﷺ كان لابد من التعرف على العشق ولوازمه في كتاب مستقل، وقد وَفَّقَ اللهُ طالبتنا خادمة أهل البيت أم عمار الشريمي لذلك، ونسأل الله أن يديم عليها نعمة خدمة أهل البيت عليهم السلام ويسدّها في نشر الثقافة المهدوية في المدينة المنورة.

السيدة أم مهدي الموسوي

مولد الزهراء عليها السلام

٢٠ جمادى الآخرة ١٤٣٥ هـ

مقدمة

إنّ مخزون الحبّ والشوق والتقدّيس الذي يملكه الإمام المهدي عليه السلام في قلوب الشيعة وكافة المسلمين، بل لدى العالم كافة، لا يضاهيه فيه أحد على وجه البسيطة. فالمهدي يمتلك شعبية وجماهيرية عالية النطاق، وفي كل يوم تزيد نسبة العشق ونسبة العشاق لبقية الله، إلى أن يظهره الله ويظهر به دينه. وبسبب العشق والحبّ للمصلح المنتظر، تزداد نسبة البحث والتنقيب والتدوين والتأليف في القضية المهدوية. حيث إنّ الناس متعطّشون للتعرف على هذا المعشوق، يريدون أن يقرأوا كلّ ما هو متعلّق بشخصيته المقدّسة، عن أوصافه وشمائله وطول عمره وكراماته وغيبته وظهوره وحركته المباركة ودولته الكريمة.

أيها القارئ العزيز، إنّ موضوع العشق المهدوي ليس ترفاً فكرياً لا يمتّ للعقيدة المهدوية والإسلامية بصلة، وليس مجرد موضوع عاطفي يُخرج القارئ عن الثقافة والفكر الإنساني، بل إنّ قضية الإمام المهدي عليه السلام بكلّ مفرداتها وشؤونها ضرورية، لاغنى عن الالتزام بها، ولا مناصّ من ذكرها والتعرف عليها، لأنّ جميعها يمثل فيضاً ولطفاً من المولى تبارك وتعالى على عباده.

فالعشق المهدوي بصفة خاصة، موضوع يتصل بما يحمله وجدان الأمة من إيمان بالعقيدة المهدوية، والذي يتصاعد مستواها يوماً بعد يوم، وبمقدار

ما تعاني الأمة في عصرنا الراهن من محن وصعوبات وويلات، بمقدار ما تحتاجه من ارتباط عاطفي وثيق بينها وبين المصلح العالمي لينقلها من مستنقعات الجاهلية إلى رياض النور والفضيلة. فكلمًا توطدت العلاقة بين الفرد وإمام زمانه كلما زادت حالة التصاعد التكاملي لدى هذا الفرد وأصبح مؤهلاً لنصرة الحق والعدل .

إنّ المهدي شمس العدالة والحرية التي تنتظرها البشرية لتمحو آثار الجهل والظلام، وتحرق معازل الظلم والاستعباد، وتقشع عن الكون سحائب الجور والاستبداد، وتنشر نسائم الفضل والفضيلة، وتبسط معاني الأخلاق الجميلة .

إنّ المهدي أمل الإنسانية المعذّبة والخائفة المستضعفة، الإنسانية التي تناهشتها الحروب، وفتكت بها أطماع الماديين، وعصفت بها رياح الجاهلية الظلماء المحمّلة بالقوانين الوضعية والأنظمة الاستكبارية، فأحدثت انهياراً أخلاقياً وتصدّعاً اجتماعياً وجفافاً روحياً. فلا ريب من أن تعشقه النفوس، وتشتاق إلى قدومه وملاقاته الأرواح، وتنبهر به العقول، وتلهج بإسمه الألسن، وتطمئن بذكره القلوب .. لأنّ عنصري الكمال والجمال في شخصيته المقدسة، يستهويان كلّ إنسان ذوفطرة سليمة لم تشوبها الأكدار.

وكما أنّ الأمة تنتظر الإمام المهدي ﷺ، وتتطلع إلى رؤية ذلك القائد الموعود، كذلك الإمام بقية الله ينتظر تهيئة الأمة واستعدادها لقدومه المبارك، ينتظر أنصاراً مؤهلين لنصرته، أنصاراً يبذلون الجهد في بناء ذواتهم وتحريرها من عبودية النفس والهوى والشيطان، وهذا لن يكون إلا من خلال العشق المهدوي.

فالحب لولي الله سبيل لطاعته، وطاعته سبيل لطاعة رب العالمين ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١). فالعلاقة بين الحب والطاعة معادلة طبيعية باعتراف العقل والنقل، وكذلك ما يثبت لنا التاريخ الإنساني، فجميع الثورات التي حصلت على مر العصور، يرتكز نجاحها أو فشلها على ماهية العلاقة بين الجنود الأتباع وقائد الثورة، وحجم الارتباط والتعلق بشخصيته. فإن كان مستوى الحب مرتفعاً، كان مدعاةً للطاعة وموجباً للانقياد والتسليم، بلحاظ أن الحب والعشق يوَلِّد طاقات وقدرات في نفس العاشق تكون كفيلاً لصنع العجائب وفعل المعجزات..

وعلاقة الحب بالطاعة هي وليدة علاقة أولية نسبية قائمة بين المعرفة والحالات النفسية والقلبية، ومنها العشق والشوق، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾^(٢).

حيث أن الإنسان إذا اعتقد بالوجود المقدس لولي العصر، وكانت له معرفة حقيقية لمقاماته وحقوقه وصفاته وكمالاته، فإنه سوف يصبح عاشقاً لإمام زمانه، فكلماً زاد التعرف عليه، زاد التعلق به. سوف يشتعل قلب الموالي بحبه وبكل ماله صلة به، يثني عليه ويكثر الحديث عنه، ويجالس محبيه وعشاقه، ويتواجد في أماكن حضوره، ولا يكتفي الموالي بالمعرفة الحسولية للمعشوق، بل لابد له من المعرفة الشهودية. فإذا أراد أن ينظر إلى الإمام، ينظر إليه بعين القلب، وإذا أراد مخاطبته، يخاطبه بلسان القلب. وكل ذلك يستوجب منه المجاهدة الدائمة لتطهير القلب من رذائل الذنوب والمعاصي

(١) آل عمران ٣١.

(٢) آل عمران ٨٣٦.

ليصبح سكناً طاهراً يليق بمقام المعشوق.

فليس المطلوب فقط من عشق الإمام هو الاعتقاد بوجوب محبته، كما نصّ عليها القرآن والسنة، وإنما المطلوب هو جوهر الحبّ وعين الحبّ المتمثل في الشعور بحضوره المقدّس، والتزام طاعته والامثال لأوامره والاتصاف بصفاته والافتداء به والتفاني في خدمته والتضحية بكلّ غالي ونفيس من أجل تعجيل ظهوره.

وهذا الكتاب الذي بين أيديكم جهدٌ متواضع، يسلّط الضوء على العشق الطاهر لولي الله الأعظم، ويوضح ماهية العشق المهدوي وآثاره الجليلة ودلالاته الظاهرية والباطنية، ويبين معاني الانتظار وصفات العاشق المنتظر لقدوم معشوقه بعد طول غيبته.

وانّي لأشكر الله المنان على عطائه وكرمه، وأسأله أن يتفضّل علينا بالمغفرة والرحمة، وأن لا يؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، وان يتقبّل منا هذا الجهد القليل ويجعل فيه الخير والمنفعة لجميع المسلمين، إنّه ولي حميد، والحمد لله رب العالمين.

المدينة المنورة

أم عمار الشريمي

١٤٣٤/١١/١١ هـ



الباب الأول

العشق

الفصل الأول

معنى العشق وماهيته

معنى العشق

لقد وردت لفظة «العشق» في قواميس اللغة العربية: أن (العشق من عشق يعشق عشقاً، عشقه وتعشقه. وقيل: العشق الاسم والعشق المصدر. قال رؤبة: ولم يضعها بين فرك وعشق. وعشيق: كثير العشق^(١). وعشقه: أي تعلق قلبه به. فهو عاشق.

وقيل: إنَّ العاشق سمي عاشقاً، لأنه يذبل من شدة الهوى كما تذبل العشقة إذا قطعت، والعشقة: شجرة تخضر ثمّ تدق وتصفّر. وزعم أن اشتقاق العاشق منه. وقال كراع: هي عند المولدين اللباب، وجمعها العشق، والعشق الأراك أيضاً. وقال ابن الإعرابي: العشق: المصلحون غروس الرياحين ومسووها، وقال أيضاً: والعشق من الإبل الذي يلزم طروقتة ولا يحن إلى غيرها^(٢).

وقال الفراء: العشق: نبت لزج فسُمي العشق الذي يكون بالإنسان للزوجة ولصدقه بالقلب^(٣).

(١) لسان العرب ج ١٠ ص ٢٥١

(٢) نفس المصدر السابق

(٣) الحب لعمر كحالة ص ١٠٨

وقيل أيضاً هو: عجب المحبّ بالمحجوب يكون في عفاف الحب ودعارته^(١).

وفي قاموس المحيط: أن العشق هو: إفراط الحب، ويكون في عفاف وفي دعارة. أو عمى الحس عن إدراك عيوبه، أو مرض وسواسي يجلبه إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور^(٢).

ماهية العشق:

العشق: هو مفردة من مفردات المحبة، وصوره من صورها، ومرتبة من مراتبها. فأول مراتب الحب هو «الهوى»: وهو الميل إلى المحجوب، ومن ثمّ الشوق: وهو نزوع المحبّ إلى لقائه، ثمّ الحنين: وهو شوق ممزوج برقة، ويليه الحب: وهو أول الألفة، ثمّ الشغف: وهو التمنيّ الدائم لرؤية المحجوب، ويليه الغرام: وهو التعلق بالمحجوب تعلقاً لا يستطيع المحبّ الخلاص منه، ثمّ العشق: وهو إفراط في الحبّ ويغلب في أن يلتقي فيه المحب والمحجوب، ثمّ التتيم: وهو استعباد المحجوب للمحب، ويليه إلهيام: وهو شدة الحبّ حتى يكاد يسلب المحب عقله، ثمّ الجنون: وهو استلاب الحبّ لعقل المحب.

فالعشق إذاً هو حالة الإفراط في المحبة، وإما يكون محاطاً بالعفة أو بالدعارة. وربما يمثل ارتقاء لمستوى الإنسانية أو هبوط لمستوى الحيوانية البهيمية.. ويمثل العشق قوة جاذبة خارجة عن إرادة العاشق وتعمل في قلبه وتغيّر من أطر حياته.

ولقد كثر الحديث عن ماهية العشق ومفهومه من قبل العلماء والحكماء

(١) لسان العرب ج ١٠ ص ٢٥١

(٢) القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٦٥

الفلاسفة وأصحاب الرأي والفكر، ولكن تحمل هذه التعاريف أساليب وأراء متعددة، من مدح وذم وتأيد ومعارضة وقبول ورفض. فالبعض نعت العشق على أنه جنون، والبعض الآخر نعتة على أنه مرض وسواسي، ومنهم من ادعى أنه نور بداخل النفس تشرق معه الحياة ويصعد بالإنسان إلى الكمال. وسوف نعرض هنا بعضاً منها:

قال الفيلسوف اليوناني أفلاطون: إنَّ العشق هو حركة النفس الفارغة بغير فكرة^(١). وقال جالينوس: العشق من فعل النفس، وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد، وفي الدماغ ثلاثة مساكن: للتخيّل وهو في مقدّم الرأس، ومسكن للفكر وهو في وسطه، ومسكن للذكر وهو في مؤخره. ولا يسمّى عاشقاً إلاّ من إذا فارق معشوقه لم يخل من تخيله فيمتنع من الطعام والشراب باشتغال الكبد، ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخيّل والفكر والذكر، فيكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت. وأمّا أرسطاطاليس فقال: العشق عمى العاشق عن عيوب المعشوق.

اوقليدس كان يرى أن: العشق وفق هندسي وجزء معنوي لقي شكله فطابقه وصادف مخالفه. فناه^(٢).

وعرّفه ابن أبي الحديد فقال: العشق مجاوزة الحد في المحبة^(٣).

وأما ابن سينا فله تعريف آخر للعشق: بأنّه نزوح إلى الكمال المنبعث عن الكمال المحض.

(١) الحبّ . ص ١١

(٢) المصدر السابق ص

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٧٧

وقال الإسكندر: العشق نور شعشعاني أوجده واجب الوجود في اللطائف القدسية مؤلفاً بين المتنافيين لبقاء سرّه الخفي في كتابهما^(١).

وقال السيّد الجزائري في الأنوار النعمانية: العشق هو الإفراط في المحبة، واشتقاقه من العشقة وهي نبت يلتف على الشجرة من أصلها إلى فرعها، فهو محيط بها كما أن العشق محيط بمجامع القلب. وأما اشتغال النفس بهذه المرتبة عن قواها الشهوانية وعن النوم فإنما جاء من فرط نار المحبة الكامنة في القلب، الشاغلة له عما عداه، حتى أنه في هذه الحالة ربما شغل قلبه وحسه عن آلام البدن وأوجاعها. وهذه الحالة قد كانت في الحب الحقيقي، وذلك أن أمير المؤمنين عليه السلام لما كانت النصال تلج في بدنه الشريف من الحروب، كان الجراح يُخرجها منه إذا اشتغل بالصلاة، لعدم إحساسه بها ذلك الوقت لاشتغال قلبه بعالم القدس وملك الجبروت^(٢).

وفي روضة المحبّين لابن القيم يبين ماهية العشق حيث يقول: إذا امتزجت جواهر النفوس بوصف المشاكلة أنتجت لمح نور ساطع تستضيء به النفس في معرفة محاسن المعشوق، فتسلك طريق الوصول إليه^(٣).

وهناك وصف آخر للعشق: العشق جليس ممتع، ملك الأبدان وأرواحها، والقلوب وخواطرها، والعقول وآرائها، قد أعطي عنان طاعتها وقوة تصرفها، تواري عن الأبصار مدخله وعمي في القلوب مسلكه^(٤).

(١) الحب ص ٩

(٢) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ص ٥٢٧

(٣) سيرة أعلام النبلاء، ج ١٠ ص ٢٠٦

(٤) المصدر، السانحة

وقال الأصمعي وقد سأله الرشيد ما حقيقة العشق؟ فقال: إنه شيء يستغرق القلب في محاسن المحبوب، ويذهله عن مساويه، فيجد رائحة البصل من المحبوب أعظم من المسك والعنبر^(١).

وقيل لأبي زهير المدايني: ما العشق؟ فقال: الجنون والذل، وهو داء أهل الظرف^(٢).
وقال العقّاد: فهل للعشق وصف أدقّ من أنه مزيج من جنون وسحر، فليس تأثير العشق مما يقف عند الغرض الأول منه، ولا هو بمقصود على العلاقة النسلية بين الرجل والمرأة، ولكنه يمتدّ إلى كل غريزة، سواء أكان لها ارتباط بالشوق الجنسي أم لم يكن^(٣).

قال ابن الأحنف:

ومال الناس إلا العاشقون ذوو الهوى ولا خير فيمن لا يحب ويعشق^(٤)

وقال الشعبي:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فأنت وعير في الفلاة سواء^(٥)

وقيل:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجراً من يابس الصخر جلمد^(٦)

وقالوا: إنّ العشق لا يتصور من جاهل غليظ القلب، والعشق فضيلة تنتج الحيلة، وتشجع الجبان، وتسخي كف البخيل، وتصفي ذهن الغبي، وتطلق

(١) الحب ص ١٧٥

(٢) الحب لعمر كحالة ص ١٧٦

(٣) الحب لعمر كحالة ص ١٢

(٤) المصدر السابق ص ١٥٠

(٥) المصدر السابق ص ١٥٠

(٦) المصدر السابق ص ١٥٠

بالشعر لسان الأعجم، وتبعث حزم العاجز الضعيف، وهو عزيز يذل له عز الملوك، وتضرع له صوت الشجاع. وهو داعية للأدب، وأول باب تفتق به الأذهان والفطن، وتستخرج به دقائق المكاييد والحيل، واليه تستريح الهمم وتسكن به فواتر الأخلاق والشيم، يمتع ويؤنس أليفه، وله سرور يجول في النفوس وفرح يسكن في القلوب^(١).

وقيل: أرواح العشاق عطرة لطيفة، وأبدانهم ضعيفة، وأرواحهم بطيئة الانقياد لمن قادها، حاشا سكنها الذي سكنت إليه وعقدت حبها عليه.

(١) المصدر السابق ص ١٧٥

الفصل الثاني

العلّة من العشق

العشق: مرتبة من مراتب الحب، فإذا أردنا أن نصل إلى علّة وجود العشق، فلا بدّ من العودة إلى مبدأ العشق وهو الحب أو المحبة. فهل لنا أن نتصور الحياة الإنسانية بدون حب؟ وهل يوجد دين أو مذهب على البسيطة لا يؤيد الحب؟ فهناك عدة توهمات وتصورات خاطئة لدى بعض الناس منها:

١- إنّ الدين الإسلامي يركّز في عباداته وتشريعاته على الجانب العقلي المحض دون العاطفي، وهذا توهم خاطيء، وكلام مردود، لأنّ ديننا الحنيف يركّز على الأمور العاطفية ويهتم بها كاهتمامه بالجانب العقلي.

فالدين هو الحبّ والحب هو الدين، وفي رواية (وهل الإيمان إلاّ الحب والبغض). فالعواطف تمثل مصدراً للانطلاق والحرارة، فهي الطاقة الكامنة التي تدفع الإنسان نحو العمل وتؤثر في سلوكياته وأفكاره، فإمّا أن تأخذ منحى الخير أو منحى الشر، أو تجرّه نحو العداوة أو المحبة؛ لذلك تعتبر العواطف مقياساً لرقى الأمة وانحطاطها. والعشق نوع من أنواع العواطف ومفردة من مفرداتها، لذلك اهتم الدين الإسلامي بقضية العشق لما لها من تأثير على تدين الإنسان.

٢- هناك كثير من الناس يُرجع سبب وجود العشق إلى الغريزة الجنسية فقط، بينما أنّ هناك أنواع من العشق تحمل معاني سامية، فتجعل الشهوة

الحيوانية تتقهقر أو تتلاشى في مقابل ارتفاع مستوى الإنسانية، وسوف نتطرق إلى هذا الموضوع لاحقاً.

فالعشق حالة تصاب بها كل نفس بشرية وإن اختلفت أسبابه وتباينت حالاته وتفاوتت درجاته بين بني البشر، إلا أنه موجود واقعاً لعدة أسباب منها:

(١) ملائمة طباع المعشوق:

إن من أسباب العشق مجانسة معنوية بين طباع العاشق وطباع المعشوق، فإن المناسبة التكوينية والموافقة الباطنية والمعنوية والروحية توجب الحب والعشق، وهذا التشابه يؤدي إلى الانجذاب الروحي والعاطفي، فالألفة بين المتآلفين والأنس بينهما هو نتيجة توافقهما التكويني. كما قال أمير المؤمنين في وصيته لأبنائه: «يا بُنَيَّ إن القلوب جنود مجندة، تتلاحظ بالموددة وتتناجى بها وكذلك هي في البغض»^(١).

يقول العلامة المجلسي في توضيح الحديث السابق (الأرواح جنود مجندة): معنى تقابل الأرواح ما جعلها الله عليه من السعادة والشقاوة والأخلاق في مبدأ الخلق. إن الأجساد التي فيها الأرواح تلتقي في الدنيا فتألف وتختلف على حسب ما خلقت عليه، ولهذا ترى الخير يحب الأخيار ويميل إليهم، والشرير يحب الأشرار ويميل إليهم.

ثم يذكر العلامة المجلسي قول الكرماني في شرح البخاري في معنى الحديث السابق: أي خلقت مجتمعة ثم فرقت في أجسامها، فمن وافق الصفة ألفه، ومن باعد نافرته^(٢).

(١) بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٢٤٧

(٢) بحار الأنوار ج ٨٥ ص ١٤٠

وأما الشيخ المفيد فيقول: إنّ الأرواح - التي هي الجواهر البسائط - تتناظر بالجنس، وتتخادل بالعوارض، فما تعارف منها باتفاق الرأي والهوى ائتلف، وما تناكر منها بمباينة في الرأي والهوى اختلف، وهذا موجود حساً ومشاهدة^(١).

وقال شهاب الدين النويري في نهاية الأرب: أول ما يتجدد الاستحسان للشخص، تحدث إرادة القرب منه ثم المودة، ثم يقوى فيصير محبة ثم يصير هوى، ثم يصير عشقاً، ثم يزيد التميم فيصير ولهاً... وقال: وأما سبب العشق فهو مصادفة النفس ما يلائم طبعها، فتستحسنه وتميل إليه، وأكثر أسباب المصادفة النظر. ولا يكون ذلك باللمح، بل بالثبوت في النظر ومعاودته بالنظر، فإذا غاب المحبوب عن العين طلبته النفس، ورامت التقرب منه^(٢).

وعن ثمامة: عندما سأله المأمون عن معنى العشق أجاب بقوله: « إذا امتزجت جواهر النفوس بوصف المشاكلة نتجت لمح نور ساطع تستضيء به بواصر العقل وتهتز لإشراقه طبائع الحياة، يتصور من ذلك اللمح نور خاص بالنفس متصل بجوهرها يسمى عشقاً^(٣) ».

ويقول ابن القيم: فقد استقرت حكمة الله عز وجل على وقوع التناسب والتآلف بين الأشباه، وانجذاب الشيء إلى موافقة ومجانسة بالطبع، وهروبه من مخالفه ونفرته عنه بالطبع. فسر التمازج والاتصال في العالم العلوي والسفلي، إنما هو: التناسب والتشاكل والتوافق، وسر التباين والانفصال إنما هو بعدم التشاكل والتناسب^(٤).

(١) بحار الانوار ج ٨٥ ص ١٤٤

(٢) الحب في التاريخ ص ١٢

(٣) سير أعلام النبلاء ص ١٠ ص ٢٠٥

(٤) الطب النبوي ص ٢٠٨

ومن الحكماء من قال: إن العشق هو هوى غالب في النفس نحو طبع
مساكن في الجسد، أو نحو صورة مماثلة في الجنس، ومنهم من قال: إن
العشق هو شدة الشوق إلى الاتحاد، ولهذا أي حال يكون عليها العاشق يتمنى
حالاً أخرى أقرب منها^(١).

ومن جميع ما سبق من آراء العلماء، نتوصل إلى أن العشق يتولد لدى
العاشق لمعشوقه إذا كانت هناك موافقة ومجانسة في الطباع وتمائل في
التكوين الروحي والمعنوي بينهما.

٢) النفس جبلت على حب الخير:

إن الإنسان يحب نفسه، والنفس البشرية مجبولة على حب الخير
والإحسان.. وعلى ذلك تستحسن من يقدم لها الخير والمعروف فتعشقه وتميل
إليه. فمثلاً من يقدم لها الطعام والشراب أو العلم أو الصحة أو المال فإنه
سيحتل مكانة ومنزلة في قلبه. فمحببة الحسن والمحسن أمر لا يستطيع دفعه
ولا يمكن تغييره، لذلك نجد أن النبي ﷺ يدعو الله بقوله (اللهم لا تجعل
لفاجر عليّ يداً فيحبه قلبي).

الفيلسوف المسلم ابن سينا يرجع سبب وجود العشق إلى الخيرية، يقول
في رسالته:

« إن الخير بذاته معشوقاً، ولولا ذلك لما نصب كل واحد مما يشتهي أو
يتوق، أو يعمل عملاً غرضاً أمامه يتصور خيريته، فلولا أن الخيرية بذاتها
معشوقة لما اقتضت الهمم على إثارة الخير في جميع التصرفات. فكل واحد
من الموجودات الحقيقية إذا أدرك أو نال خيراً من الخيرات فإنه يعشقه ويطلبه

(١) الحب لعمر كحالة ص ١١٩

بطلبه، وكل شيء تحقق له إن شيئاً من الأشياء يفيد الخير والكمال ويوجب الاقتراب إليه زيادة في الفضيلة والشرف، فإنه لا محالة يعشقه بغريزته ويطلبه بطلبه، لا سيما إذا كان ذلك الشيء يفيد ذلك الخير عاشق للخير، لأن العشق ليس في الحقيقة إلا استحسان الحسن والملائم جداً. وكلما زادت الخيرية زاد استحقاق المعشوقية وزادت العاشقية للخير»^(١).

ثم ختم رسالته بقوله: إنَّ كلَّ واحد من الموجودات يعشق الخير المطلق عشقاً غريزياً، وإنَّ الخير المطلق يتجلَّى لعاشقه، إلا أنَّ قبولها لتجليه واتصالها به على التفاوت^(٢).

٣) النفس جبلت على حب الجمال:

إنَّ حبَّ الجمال غريزة من الغرائز التي تشكلت بها النفس البشرية، لذلك لا غرابة في عشق الإنسان لمصادر الجمال. وسواء كان الحُسن والجمال يدرك بالبصر كعشق الطبيعة الخلابة والفنون البديعة والصناعات الجميلة، أو يُدرك بالبصيرة كعشق العلم، لأنَّ العلم جمال للعقل، ويكسب العالم شرفاً بين الناس. وكذلك عشق الفضيلة والعدالة والسيرة الحسنة، لأنها تُجَمِّل الروح. وخير شاهد على ذلك، أن نفوس البشر جبلت على حب الأنبياء والأولياء والصالحين؛ بالرغم أنهم لم يشاهدونهم ولم يلتقوا بهم أبداً، لكن الذي دفعهم على حبهم وعشقهم هو طباعهم وصفاتهم الجميلة وأخلاقهم الحسنة.

قال الشاعر:

أُحِبُّكَ حَبِينِ لِي وَاحِدٌ وَأَخْرَأُكَ أَهْلٌ لَذَاكَ

(١) المبدأ والمعاد ص ٢٨٨

(٢) الحب لعمر كحالة ص ١١٨

قال صاحب السعادات محمد مهدي النراقي: (إنّ كلّ جميل لذيد في حقّ من أدرك جماله، وكلّ لذيد محبوب، واللذة تتبع الاستحسان، والاستحسان يتبع المناسبة والموافقة والملائمة في الطباع. ثمّ ذلك المستحسن: إما أن يكون جمال الصورة، وكمال العقل، وغزارة العلم، وحسن الأخلاق والأفعال، وكل ذلك يستحسن عند الطباع السليمة، وكل مستحسن مستلذ به ومحبوب)^(١).

وقال بعضهم: إنّ كلّ ما في الوجود، بل الوجود كلّهُ محبّ عشاق بتفضيل غريب^(٢).. وما ذلك إلا لوجود عناصر الجمال والحسن التي انبثقت من الجمال المحض والكمال المطلق.

٤) النفس تعشق علّة إيجادها:

إنّ المعلول دائماً يحب ويميل إلى من كان سبباً في إيجاده، وكان علّة لكيونته الفاعلية في الكون.

والعلّة إما أن تكون علّة حقيقية أو علّة معدة، فالعلّة الحقيقية تتجسد في واجب الوجود، فهذه العلة أقوى في العشق والميل. فعشق ممكن الوجود لواجب الوجود عشق أولي، لأنّ المولى سبحانه، هو خالقه ومولاه الذي أخرجته من العدم إلى الوجود، وأفاض عليه النعم وأجزل عليه العطايا والمنح. وكذلك اتصافه تبارك وتعالى بالكمال والجمال المطلق، والنفس تعشق الكمال والجمال، لذلك تعشق الإله ذو الجلال والإكرام، فترنو إلى قربهِ وتشتاق لمناجاته وتعشق ذكره وتأنس به.

(١) جامع السعادات ج ٣ ص ١٤٩

(٢) الحب لعمر كحالة ص ١٠

والإمام السجاد عليه السلام يبين في دعاءه حال العباد العارفين العاشقين
ومناجاتهم مع معشوقهم الحقيقي:

«إلهي فاسألُك بنا سُبُلَ الوُصُولِ إِلَيْكَ، وَسَيِّرْنَا فِي أَقْرَبِ الطَّرِيقِ لِلوُفُودِ عَلَيْكَ،
قَرِّبْ عَلَيْنَا البَعِيدَ، وَسَهِّلْ عَلَيْنَا العَسِيرَ الشَّدِيدَ، وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الَّذِينَ هُمْ بِالبِدَارِ
إِلَيْكَ يُسَارِعُونَ وَبَابِكَ عَلَى الدَّوَامِ يَطْرُقُونَ، وَإِيَّاكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَعْبُدُونَ، وَهُمْ
مِنْ هَيْبَتِكَ مُشْفِقُونَ...، أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنِي مِنْ أَوْفَرِهِمْ مِنْكَ حَظًّا، وَأَعْلَاهُمْ عِنْدَكَ
مَنْزِلًا، وَأَجْزَلَهُمْ مِنْ وَدَّكَ قِسْمًا، وَأَفْضَلِهِمْ فِي مَعْرِفَتِكَ نَصيبًا، فَقَدْ انْقَطَعَتْ إِلَيْكَ
هَمَّتِي، وَانصَرَفَتْ نَحْوَكَ رَغْبَتِي، فَأَنْتَ لَا غَيْرَكَ مُرَادِي، وَلَسْكَ لَا لِسِوَاكَ سَهْرِي
وَسُهَادِي، وَلِقَاؤُكَ قُرَّةُ عَيْنِي، وَوَصْلُكَ مُنَى نَفْسِي، وَإِلَيْكَ شَوْقِي، وَفِي مَحَبَّتِكَ وَهْيِي،
وَإِلَى هَوَاكَ صَبَابَتِي، وَرِضَاكَ بُغْيَتِي، وَرَوْيَتِكَ حَاجَتِي، وَجِوَارِكَ طَلْبِي، وَقُرْبِكَ
غَايَةُ سُؤْلِي، وَفِي مُنَاجَاتِكَ رَوْحِي وَرَاحَتِي، وَعِنْدَكَ دَوَاءُ عِلَّتِي، وَشِفَاءُ غَلَّتِي، وَبَرْدُ
لَوْعَتِي، وَكَشْفُ كُرْبَتِي. فَكُنْ أُنَيْسِي فِي وَحْشَتِي، وَمُقِيلَ عَثْرَتِي، وَغَافِرَ زَلَّتِي، وَقَابِلَ
تَوْبَتِي، وَجَبِّبَ دَعْوَتِي، وَوَلِيَّ عِصْمَتِي، وَمُعْنِي فَاقَتِي، وَلَا تَقْطَعْ عَنِّي عَنكَ، وَلَا تُبْعِدْنِي
مِنْكَ يَا نَعِيمِي وَجَنَّتِي، وَيَا دُنْيَايَ وَآخِرَتِي، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»^(١).

وأما العلة المعدة، كالأب الذي هو علة إيجاد الابن، وهي علة ظاهرية
ومعدة له وليست حقيقية، لذا نجد محبة الآباء في قلوب أبنائهم، لأنهم
يدركون أنهم سبب لوجودهم الجسماني والصورى في هذه الحياة. (أما حقاً
أبيك فإن تعلم أنه أصلك، وأنه لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك ممّا يُعجبك،
فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوة إلا
بالله) لذلك جاءت الآيات الشريفة والروايات توصي بحب الوالدين، لأنّ جبهما يمثل

(١) بحار الأنوار ج ٩١ ص ١٤٧

تجسّداً للشكر على نعمهما، وإحسانهما وهذا الحب يتمحور في رعايتهما والبر والعطف بهما والإحسان إليهما، وكل ذلك ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾^(١).

وكما أنّ الأب هو العلة في الوجود الجسماني، كذلك المعلم بما أنه العلة في التكوين الروحي والعقلي وافاضة الصورة الإنسانية على العبد، فهو يمثل الأب الروحاني للمتعلم. وبما أنّ الروح أشرف وأعظم من الجسد، كذلك المعلم أكثر شرفاً من الأب الجسماني. (ان أبائك ثلاثة: من ولدك، ومن علمك، ومن زوجك، وخير الأباء من علمك)^(٢).

وسئل ذو القرنين أن أباك أحب إليك أم معلمك؟ فقال: معلمي أحب إليّ ﷺ لأنه سبب لحياتي الباقية وأبي سبب لحياتي الفانية)^(٣).

وأنّ أفضل المعلمين للعباد هم خير النبيين محمّد وآله الطاهرين، فهم خزان العلم ومنتهى الحلم وأصول الكرم. ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤).

فحب أهل البيت ﷺ وعشقهم أدنى مرتبة من عشق الله وأعلى مرتبة من عشق الآخرين من آباء وأبناء وعشيرة، لذلك قال النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وولده والناس أجمعين)^(٥).

(١) سورة لقمان ١٤

(٢) جامع السعادات ص ١١٢

(٣) جامع السعادات ص ١١٢

(٤) البقرة ١٢٩

(٥) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٨٨

الفصل الثالث

أنواع العشق

أ) أنواع العشق عند الحكماء والعلماء:

الفيلسوف اليوناني أفلاطون قسّم الحب إلى أنواع، وكان التقسيم بطريقة علمية عقلية، وهي: الحب الجسدي، والحب الروحي والحب المثالي. «وأدناها الحب الجسدي الذي يتيح للإنسان شيئاً من الخلود عن طريق ذريته، إذ يحل أولاده محله، فيخلد وجوده الفاني إلى حين. ويولي ذلك الحب الجنسي حب روحي، يعشق فيه المحب نفس المحبوب، وهو أرفع من حب الجسد وأكثر خلوداً، إذ يلقن فيه المحب محبوه خصال الفضيلة والحكمة. تلك الخصال والحكمة، التي يغرسها المحبوب بدوره في معشوقه، وبذلك تكون لهذا الحب الروحي ذرية كذرية الحب الجسدي المادي، إلا أنها أكثر منها قيمة وجمالاً».

وقد يقصد أفلاطون من الحب الروحي، حب التلاميذ لأستاذهم ومعلمهم (وعشقهم له) وذلك لأن المعلم أو الأستاذ يقوم بترويض أفكاره وتعاليمه إلى تلاميذه وعشاقه، فتتكون له ذرية يفوق سحرها وجمالها جمال ذرية الحب الجسدي.

وأما النوع الأرقى والأسمى من الحب هو الحب الأفلاطوني المثالي، الذي يرقى فيه العقل فوق العالم الحسي ويرتفع عن العالم الروحي المقيد

بالأشخاص والناس إلى عالم الجمال المطلق أو عالم المثال، وهذا الحب عند أفلاطون هو غاية الغايات للفيلسوف أو محب الحكمة.

وهذا التقسيم الأفلاطوني الرائع للحب ينطبق تماماً على العشق، بما أن العشق مرتبة من مراتب الحب وصورة من صورته.

وأما العالم المسلم ابن سينا خصص للعشق رسالة، وقسم فيها العشق إلى نوعين: عشق جسدي منشؤه القوة الشهوانية، والنوع الآخر هو عشق عقلي ينشأ من القوة النطقية لغرض القرب من المعشوق الأول، ويقصد به عشق الجمال المطلق، أو العشق الإلهي.

وكذلك صاحب البحار المجلسي قسم العشق إلى نوعين: عشق مذموم وهو العشق الجسماني الحيواني الشهواني، وعشق ممدوح وهو الروحاني الإنساني النفساني. وإن الأول يزول ويفنى بمجرد الوصال والاتصال، والثاني يبقى ويستمر أبد الأبد وعلى كل حال^(١).

وأما صدر الدين الشيرازي فذكر أن للعشق معنيان تنم عن أنواعه، فقال: المعنى الأول بحسب العرف العامي وهو التعلق الخاص الكائن بين الذكر والأنثى من الحيوان، وهو حب الوقاع. وأما المعنى الآخر في التعارف الخاصي وهو مرادف أو كالمرادف للحب، وهو تعلق خاص من ذي الشعور بالجميل من حيث هو جميل بحيث يأبى المحب مفارقه المحبوب إذا وجدته ويميل إليه إذا فقده.

وقال أيضاً: إن العشق الإنساني ينقسم إلى حقيقي ومجازي، والعشق

(١) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٢٥٢

الحقيقي هو محبة الله وصفاته وأفعاله من حيث هي أفعاله . والمجازي ينقسم إلى نفساني وحيواني، والنفساني هو الذي يكون مبدأه مشاكلة نفس العاشق المعشوق في الجوهر، ويكون أكثر إعجابه بشمائل المعشوق، لأنها آثار صادرة عن نفسه. والحيواني هو الذي يكون مبدأه شهوة بدنية وطلب لذة بهيمية، ويكون أكثر إعجاب العاشق بظاهر المعشوق ولونه وأشكال أعضائه لأنها أمور بدنية^(١).

ب) أنواع العشق في الروايات الإسلامية:

لم ترد لفظة العشق في القرآن الكريم، واستعملت بدلاً منها كلمة «الحب» في أكثر من سبعين مورداً، ولكنها وردت في كثير من النصوص الإسلامية مثل الأحاديث القدسية وأحاديث أهل البيت عليهم السلام. ومنها:

١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يقول الله عز وجل: إذا كان الغالب على العبد الاشتغال بي جعلت بغيته ولذته في ذكري، فإذا جعلت بغيته ولذته في ذكري عشقني وعشقتة، فإذا عشقني وعشقتة رفعت الحجاب فيما بيني وبينه، وصيرت ذلك تغالبا عليه، لا يسهو إذا سها الناس)^(٢).

٢- وفي حديث قدسي: (من عشقته فقد قتلته، ومن قتلته فعلي ديته)^(٣).

٣- قال الباقر عليه السلام: (خرج علي يسير بالناس حتى إذا كان بكر بلاء علي ميلين أو ميل تقدم بين أيديهم حتى طاف بمكان يقال لها المقدفان، فقال: قتل فيها مائتا نبي وسبط كلهم شهداء، ومناخ ركاب ومصارع عشاق شهداء، لا

(١) الحكمة المتعالية ص ١٧٥

(٢) ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٣ ص ١٩٩١

(٣) شرح الأسماء الحسنی ج ١ ص ٢٤

يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من بعدهم) (١).

٤- عن أبي عبد الله قال، قال رسول الله ﷺ: (أفضل الناس من عشق العبادة وأحبها بقلبه وبأشرها بجسده وتفرغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر) (٢).

٥- روي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (العشق مرض ليس فيه أجر ولا عوض) (٣).

٦- (ومن عشق شيئاً أعشى بصره وأمراض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأذن غير سمیعة) (٤).

٧- قال رسول الله ﷺ: (من عشق فكتم وعف فمات فهو شهيد) (٥).

٨- عن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن العشق، فقال: (قلوب خلت من ذكر الله فأذاقها الله حب غيره) (٦).

٩- وجاء في رواية عن النبي ﷺ أنه قال: (خيار أمتي الذين يعفون إذا آتاهم الله من البلاء شيئاً، قالوا: وأي بلاء هو؟ قال: العشق) (٧).

١٠- قال الإمام الصادق عليه السلام: (ولا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ٢٩٥

(٢) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٢٥٤

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٢٦١

(٤) ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٢ ص ٢٠٥٦

(٥) ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٠٦

(٦) علل الشرائع ج ١ ص ١٤٠

(٧) كنز العمال ج ٣ ص ٧٧٩

الموافق لها عن ثلاث خصال وهن: صيانة نفسها عن كل دنس حتى يطمئن قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه، وحياطته ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلة تكون منها، وإظهار العشق له بالخلابة وإهيئة لها في عينه^(١).

١١- وقال الإمام علي عليه السلام: (الهجران عقوبة العشق)^(٢).

نستشف من الروايات الشريفة السابقة، وما عرضناه لجملة من آراء بعض العلماء والحكماء في العشق وتقسيماته، أن موضوع العشق لا يرتبط فقط بمحبة الأمور الباطلة والمحرمة كما يتصور الكثير من الناس كبعض الحكماء الماضيين، وإنما يستعمل أيضاً في الأمور الكمالية والتكاملية كحب الله سبحانه وتعالى وما يتعلق به، وذلك كما جاء في تعريف العشق: أنه يكون في عفاف وفي دعارة.

وأن ما حدث من تضارب فكري حول تعريف العشق وأنواعه وحقيقته ونتائجه بين الحكماء والعلماء الماضيين والمعاصرين، إنما هو نتيجة اختلاف الجهة التي ينظر منها الفلاسفة والكتاب والشعراء إلى حقيقة العشق.

فيقول العلامة المجلسي رضوان الله عليه: ذكرت الحكماء في كتبهم الطبية أن العشق ضرب من الما ليخوليا والجنون والأمراض السوداوية، وقرروا في كتبهم الإلهية انه من أعظم الكمالات والسعادات، وربما يظن أن بين الكلامين تخالفاً وهو من واهي الظنون^(٣).

وعليه، فقد يكون العشق محموداً ومشروعاً، وقد يكون مذموماً ومحرمًا،

(١) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٢٣٦

(٢) ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٩٨٨

(٣) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٢٥٤

وقد يكون العشق أيضاً ضرباً من الجنون المحرم أو حالة من الجنون المباح. وإما أن يكون مصدراً للسعادة المؤقتة أو السعادة الأبدية. وكل ذلك يترتب على عنوان العشق والهدف منه، فالعشق يمثل قوة جاذبة إما أن تقود إلى الارتقاء الروحي والإبداع الأدبي والفني، وإما أن تسوق العاشق إلى مواطن الرذيلة والمنكر والفحشاء.

فلابد أن نسأل أنفسنا ماذا نعشق؟ ولماذا نعشقه؟ ولهذا، فكان لابد للشارع المقدس الاهتمام بهذه القضية أشدّ اهتمام لصلاح الإنسان وسعادته، ولنا من خلال المصادر والروايات الإسلامية السابقة أن نصنف العشق إلى نوعين:

أولاً: العشق المذموم:

وهو العشق البهيمي الشهواني، ومنشؤه الشهوة، بحيث تغلب فيه شهوة الإنسان على عقله، فيصير العقل خادماً ومطيعاً للشهوة، وهو ما عبر عنه الحكماء بأنه ضرب من المايخوليا.

إن العشق المذموم هو عشق يراد به غير الله ويكون في معصية الله، فهو علاقة خاوية مصدرها الوسوس الشيطانية التي تسكن قلب العبد الغافل عن الله والخالي من ذكره المقدس، لذلك ليس فيه سوى الإثم والفسوق والخيانة والعار والخطيئة والريبة، كما عبر عنه الإمام الصادق عليه السلام. بقوله: (قلوب خلت من ذكر الله فأذاقها الله حب غيره).

وهذا النوع هو ما يقصده ابن عقيل بقوله: العشق مرض يعتري النفوس العاطلة والقلوب الفارغة المتلمحة للصور لدواع من النفس، ويساعدها المخالطة فيتأكد الألف، ويتمكن الأنس، فيصير بالإدمان شغفا. وما عشق قط

إلا فارغ، فهو من علل البطالين وأمراض الفارغين من النظر في دلائل العبر وطلب الحقائق، المستدل بها على عظم الخالق^(١).

وإذا خلا القلب من نور ذكر الله الموجب للسكينة والطمأنينة الروحية فسوف تحل فيه الظلمانية، حينها سيصاب الإنسان بأمراض نفسية وروحية كالقلق والتخبط والاضطراب مما يسبب لهم الإصابة بالأمراض الخطيرة.. كما جاء في الرواية السابقة. (ومن عشق شيئاً أعشى بصره وأمراض قلبه) فمرض القلب وفقدان العقل الناتجان من هذا العشق المحرم، سوف يحرفان صاحبه عن طريق القرب الإلهي. فيفقد بعد ذلك جميع الطرق والسبل النورانية التي توصله إلى الحق تبارك وتعالى. ويعيش حياته في مواطن الانحراف والانحلال. وبما أن هذا النوع من العشق يمثل علاقة دنيوية ورابطة خاوية، فلذته تكون مؤقتة ومآله إلى الزوال والانقطاع بمجرد الوصال والاتصال مع المعشوق، كما جاء في الرواية (والهجران عقوبة العشق).

ومن مصاديق العشق المذموم عشق الدنيا، وعشقها يعني الإفراط في حبها والانشغال بها، وتجاوز الحد المشروع في حب الفانيات والشهوات، كحب النساء والأولاد والأموال وعشق الرئاسة وعشق الذهب والفضة وغيرها، يعتبر من العشق المحظور. حيث أن من صفات الزينة الدنيوية أنها تجذب إليها النفس البشرية، وتجعلها تميل إليها وتتعلق بها حتى تصل النفس إلى حالة الافتتان: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٢)، والافتتان بهذه الشهوات يجعل الإنسان بعيداً عن ذكر الله وتقديسه فيتدنس حرم الله (القلب)

(١) الحب في التاريخ ص ١٤

(٢) التغابن ١٥

بالذنوب والخطايا . (حب الدنيا رأس كل خطيئة).

فمثلاً، الإنسان الذي في قلبه ولع بالمال وعشق كبير له، لن يبالي في طرق كسبه وجمعه أهى حلال أم حرام، وربما يصل به المقام إلى الامتناع عن صرف الحقوق الشرعية الواجبة عليه كالخمس والزكاة وقضاء الدين وغير ذلك. (ومن عشق شيئاً أعشى بصره وأمراض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأذن غير سمیعة)^(١).

إنما جعلت الدنيا وزينتها وسيلة للوصول للآخرة، فلا بد للعبد أن يستغلها بما فيها من خيرات وبركات ومنافع وزينة في مرضاة الله وطاعته، وأن يكون زاهداً عن الدنيا ومعرضاً عن زينتها. والزهد كما قيل: لا يعني أن لا تملك شيئاً، ولكن يعني أن لا يملكك شيء. أي أن يكون الإنسان متحرراً من عبودية الدنيا غير خاضع لمباهجها وزخارفها، وان لا يأخذ منها إلا بقدر حاجته واضطراره.

ومن صور العشق البهيمي الشهواني كذلك عشق الأجنبي، عشق الرجل لامرأة لا تحل له، وعشق المرأة لرجل لا يحل لها شرعاً. وهذا العشق كان منتشرًا في الجاهلية، عصر قيس وليلى وأشباههم، فكان العرب يفتخرون به ويتغنون بكلماته.. وهذا النوع لم يكن سوى العشق الجسدي البهيمي، الذي كان يتجسد في الوقوف على الأطلال وصور اللوعة والحزن.

وكان عشقهم يصل إلى درجة الموت، ولقد وصل العشق في بني عذرة إلى درجة عالية حتى اتصفوا به، سُئلت امرأة من بني عذرة ممن أنت؟ فقالت: من قوم إذا عشقوا ماتوا. وهناك امرأة أخرى عذرية سُئلت: ما بال

(١) ميزان الحكمة، ج ٢ ص ٢٠٥٦

العشق يقتلكم معاشر عذرة من بين أحياء العرب؟ فقالت: فينا تعفف، والعفاف يورثنا رقة القلوب، والعشق يفنى آجالنا.

وللأسف أنّ هذا النوع من العشق لازالت آثاره باقية إلى الآن في المجتمعات الإسلامية، ومن الخطأ أن يسمّى بالعشق العذري أو العشق العفيف، ويُمدح في كتب المثقفين وقصائد الشعراء.

ومن مصاديق العشق المذموم أيضاً، عشق أعداء الله ورسوله، والمولى تبارك وتعالى في كتابه الحكيم ينهى المؤمنين الذين يبتغون القرب الإلهي، ويدعون محبة الله ومحبة رسوله، أن لا يعقدوا روابط المودة ويحكموا وشائج المحبة مع أعداءه، ولا يقدمون مظاهر الولاء لهم ولا يمدون لهم يد العون والمساعدة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ﴾^(١). بل لا بد من عدائهم والابتعاد عنهم، فلا يمكن لقلب أن يجمع بين حب الله وحب أهل البيت عليهم السلام وبين حب أعداءهم، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (هيهات كذب من ادعى محبتنا ولم يتبرأ من عدونا)^(٣).

والحكمة وراء التبرّي من أعداء الله، لأنهم لا يعتقدون بدين المسلمين ويرون أنّ هذا الدين باطل لأنه يخالف عاداتهم وثقافتهم. فلذلك هم يضمرون العداة والكره للإسلام والمسلمين، ويحاولون بشتى الطرق التخلص

(١) المتحنة ١

(٢) المجادلة ٢٢

(٣) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٥٨

من هذا الدين، ويعملون جاهدين على إبعاد المسلمين عن الدين الإسلامي، فهذا يمثل خطراً على العقيدة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، لأنهم إن تمكنوا منهم سوف يبادرون بالهجوم وقتال المسلمين، لذلك أصبح التبري من أعداء الإسلام أمراً ضرورياً في العقيدة الإسلامية .

والتبري من أعداء الله لا بد أن يكون قلبياً ولفظياً وعملياً، فالقلبي يتمثل في بغضهم وكرههم وعدم محبتهم، وأما اللفظي يكون في لعنهم وذمهم والبعد عن مدحهم والثناء عليهم، والتبري العملي يتجسد في الابتعاد عن أفكارهم وثقافتهم الهدامة والتي تقوم على أسس الباطل والزيف عن الحق.

وما نلمسه حقيقة في واقعنا الإسلامي المعاصر والذي يدمى له الجبين، هو التعلق الشديد والميل القلبي والفكري إلى أعداء الله. ومن مظاهر العشق الولائي لأعداء الله، أن عدداً من المسلمين يعملون لصالح أعداء الله ورسوله ضد إخوانهم المسلمين، فأصبحوا عيوناً للأعداء، وظيفتهم التجسس على شعوبهم وإفشاء أسرار مجتمعاتهم ورصد كل ما يجري ويحدث في الساحة الإسلامية من تجهيزات عسكرية وأوضاع أمنية وأحوال اجتماعية، فالمسلم يحارب أخاه المسلم ويقتله إرضاءً لأعداء الله. فليعلم المسلم أن هذه العلاقة بأعداء الله علاقة دنيوية سوف تتلاشى يوم القيامة وتتحول إلى حالة من العداة والبغض ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

ومن جهة أخرى نرى أن كثيراً من المسلمين انجرفوا وراء الثقافات الغربية المنحلة والمعادية للإسلام، وهذه التبعية وهذا الانجراف من موجبات الفساد وانتشار الباطل بين أفراد المجتمع الإسلامي.

ثانياً: العشق المحمود:

هو العشق الروحاني والإنساني، ويتسم بالصفاء والعفاف والطهر والنقاء، فمن خصائص الروح الإنسانية عشق الجمال والكمال وحب التدين، فإن لم تقع الروح تحت تأثير العامل الجسدي والشهواني، فسوف تندفع نحو العالم العلوي النوراني، وتميل إلى حب كل شيء يقربها إلى العالم الملكوتي، ويكون ارتباطها بالأمر هدفه هو الله وفي الله ومن أجل مرضاة الله. فيصير القلب حرماً طاهراً لا يُسكن فيه غيره، وتتعلق الروح حباً وولهاً بخالق الحب وصانعه، عندها سوف يغدو كل شيء لا يقرب إلى المعشوق ولا يجلب رضاه حقيراً وتافهاً في نظر العاشق، بعدها سيصل الإنسان إلى مقام القرب والزلفى. فهذا هو العشق الإلهي، والعشق الهادف الدائم والمستمر، الذي يبقى إلى ابد الآباد. كما قال الحسين عليه السلام في دعاء عرفة (إلهي اطلبني برحمتك حتى أصل إليك، واجذبني بمنك حتى أقبل عليك).

يقول ملاً صدرا في أسفاره الأربعة: « وأما الذين ذهبوا إلى أن هذا العشق من فعل البطالين الفارغي الهمم، فلأنهم لا خبرة لهم بالأمر الخفية والأسرار اللطيفة، ولا يعرفون من الأمور إلا ما تجلّى للحواس وظهر للمشاعر الظاهرة، ولم يعلموا أن الله تعالى لا يخلق شيئاً في جبلة النفوس إلا لحكمة جلية وغاية عظيمة.

وأما الذين قالوا: إنه مرض نفساني، أو قالوا: إنه جنون إلهي، فإنما قالوا ذلك من أجل أنهم رأوا ما يعرض للعشاق من سهر الليل، ونحول البدن، وذبول الجسد، وتواتر النبض، وغور العيون والأنفاس الصعداء مثل ما يعرض للمرضى، فظنوا أنّ مبدأه فساد المزاج واستيلاء المرة السوداء .

وليس كذلك، بل العكس فإن تلك الحالات ابتدأت من النفس أولاً، ثم أثرت في البدن، فإن من كان دائم الفكر والتأمل في أمر باطني كثير الاهتمام والاستغراق فيه انصرفت القوى البدنية إلى جانب الدماغ وينبعث من كثرة الحركات الدماغية حرارة شديدة تحرق الأخلاط الرطبة وتفنى الكيموسات الصالحة، فيستولي اليبس والجفاف على الأعضاء ويستحيل الدم إلى السوداء، وربما يتولد منه الما ليخوليا.

وكذا الذين زعموا أنه جنون إلهي، فإنما قالوا من أجل أنهم لم يجدوا دواءً يعالجون، ولا شربة يسقونها فيبرؤن مما هم فيه من المحنة والبلوى إلا الدعاء لله بالصلاة والصدقة والرقى من الرهبانيين والكهنة. وهكذا كان دأب الحكماء والأطباء اليونانيين، فكانوا إذا أعياهم مداواة مريض أو معالجة عليل أو يتسوا منه، حملوه إلى هيكل عبادتهم وأمروا بالصلاة والصدقة وقربوا قرباناً، وسألوا أهل دعائهم وأخبارهم ورهبانهم أن يدعوا الله بالشفاء، فإذا برى المريض سموا ذلك طباً إلهياً والمرض جنوناً إلهياً^(١).

إن من روائع العشق الإلهي وحالات الذوبان في حب المولى عز وجل، ما نراه يتجسد في مناجاة أهل البيت عليهم السلام للمعشوق الحقيقي، لقد هاموا في حب المولى تبارك وتعالى وذابوا في عشقه. **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾**^(٢)، وحب المولى تبارك وتعالى عندهم في الطليعة ومقدم على كل شيء، ولا يمكن لشيء أن يشاركه في الحب والعشق. ولقد وصفوا لنا عشق الله الراسخ في صدورهم والمكنون في قلوبهم، حتى أصبح ذكر المعشوق دأبهم

(١) الحكمة المتعالية ج ٢ ص ١٧٥

(٢) البقرة ١٦٥

و نشيدهم الذي يرتلونه صباحا ومساء .

فهذا سيد العارفين الإمام السجاد عليه السلام يذوب في حب المولى تبارك
و تعالى فيقول في دعائه: «فَأَنْتَ لَا غَيْرَكَ مُرَادِي، وَلَكَ لَا لِسِوَاكَ سَهْرِي
و شَهَادِي، وَلِقَاؤُكَ قُرَّةُ عَيْنِي، وَوَضْلُكَ مُنَى نَفْسِي، وَإِلَيْكَ شَوْقِي، وَفِي مَحَبَّتِكَ وَهْيِي،
وَإِلَى هَوَاكَ صَبَابَتِي، وَرِضَاكَ بُغْيَتِي، وَرُؤْيُكَ حَاجَتِي، وَجِوَارِكَ طَلْبِي، وَقُرْبُكَ
غَايَةُ سُؤْلِي، وَفِي مُنَاجَاتِكَ رَوْحِي وَرَاحَتِي، وَعِنْدَكَ دَوَاءٌ عَلَّتِي، وَشِفَاءٌ غُلَّتِي، وَبَرْدٌ
لَوْعَتِي، وَكَشْفٌ كُرْبَتِي. فَكُنْ أُنَيْسِي فِي وَحْشَتِي، وَمُقْبِلَ عَثْرَتِي، وَغَافِرَ زَلَّتِي، وَقَابِلَ
تَوْبَتِي، وَمُجِيبَ دَعْوَتِي، وَوَلِيَّ عِصْمَتِي، وَمُغْنِي فِاقَتِي، وَلَا تَقْطَعْ عَنِّي عَنكَ، وَلَا تُبْعِدْنِي
مِنْكَ يَا نَعِيمِي وَجَنَّتِي، وَيَا دُنْيَايَ وَآخِرَتِي، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»^(١).

وفي مناجاة أخرى: «إِلهي مَا أَلَدَّ خَوَاطِرَ الْإِلَهَامِ بِذِكْرِكَ عَلَى الْقُلُوبِ، وَمَا
أَحْلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكَ بِالْأَوْهَامِ فِي مَسَالِكِ الْغُيُوبِ، وَمَا أَطْيَبَ طَعْمَ حُبِّكَ، وَمَا أَعْدَبَ
شَرِبَ قُرْبِكَ، فَأَعِدْنَا مِنْ طَرْدِكَ وَإِبْعَادِكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَحْصَى عَارِفِيكَ، وَأَصْلَحَ
عِبَادِكَ، وَأَصْدَقِ طَائِعِيكَ وَأَخْلَصِ عِبَادِكَ، يَا عَظِيمُ، يَا جَلِيلُ، يَا كَرِيمُ، يَا مُنِيلُ،
بِرَحْمَتِكَ وَمَنَّكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»^(٢).

ويرشدنا أهل البيت عليهم السلام بأن حبنا لله تعالى لا بد أن يكون من خلال
تطبيق أوامره ونواهيه وإتباع تعاليمه، ومن الأوامر الربانية التي ينبغي تطبيقها
وجوب حب أهل بيت النبوة عليهم السلام، ومن بينهم القائم عليه السلام ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٣).

(١) مفاتيح الجنان

(٢) مفاتيح الجنان

(٣) الشورى ٢٣

ومن مصاديق العشق المحمود عشق العبادة لله، قال رسول الله ﷺ: (يقول الله عز وجل: إذا كان الغالب على العبد الاشتغال بي جعلت بغيته ولذته في ذكري، فإذا جعلت بغيته ولذته في ذكري عشقني وعشقتة، فإذا عشقني وعشقتة رفعت الحجاب فيما بيني وبينه، وصيرت ذلك تغالبا عليه، لا يسهو إذا سها الناس)^(١).

إن الحديث القدسي السابق، يبين أن العبد عندما ينشغل بعبادة ربه ويشتهد حبه لذكره، فإن ذلك الحب يتصاعد إلى مرحلة العشق، وعشقه للعبادة بمعنى «أحبها بقلبه وبأشرفها بجسده وتفرغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر»؟

ومتى عشق العبد مولاه، استوجب عشق الله له. فتصبح هناك علاقة عشق متبادلة بين العبد وربّه، «عشقني وعشقتة».

فإذا نال العبد عشق الله وصل إلى مقام القرب والزلفى، حتى أن الله يرفع الحجاب بين العاشق والمعشوق أي بين العبد وربّه.

وخير مثال نظرحه هنا هو شخصية الزهراء عليها السلام، كما قال الإمام المهدي: (وفي ابنة رسول الله لي أسوة حسنة).

حيث كانت مثلاً جلياً للعشق العبادي، ولم يشهد التاريخ الإنساني امرأة نظيرة للسيدة الزهراء عليها السلام في عشقها للعبادة، حيث تألقت العبادة في شخصيتها المباركة، وجسدت سلام الله عليها معنى العبادة الحقيقي، فلم تكن عبادتها مجرد حركات تصدر من الجوارح، وإنما هي عبادة روحية تشعر بلذة مناجاة المعشوق.

(١) ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٢ ص ١٩٩١

إنّ عشق الباري المهيمن على قلب الزهراء عليها السلام، وشجرة الشوق
للإله الراسخة في قلبها، الشريف جعلت من الزهراء انموذجاً رائعاً لعبودية
العاشق المتمثلة في الحالات العبادية من خضوع وتذلل وطاعة وانقياد. لقد
هامت الزهراء في حب مولاها وجندت جميع جوارحها وجوانحها لكل عمل
يقربها إليه، لذلك لم تكن عبادتها طمعاً في نعيم أو خوفاً من عقاب، بل عبادة
عشق وحب للمولى عز وجل. فكانت تلازم محرابها ساجدة راکعة، تسبّح الله
وتقدّسه باكية من خشية الله، كما يقول ابنها الحسن عليه السلام: (رأيت أمي فاطمة
عليها السلام، قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تنزل راکعة ساجدة حتى
اتضح عمود الصبح) ^(١).

فكانت الملائكة عندما تشتاق لرؤية عبادتها، تأتيها وتحديثها قائلة: يا
فاطمة إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي
لربك واسجدي وارکعي مع الراکعين) ^(٢)

وهي كانت من أعبد الناس نسكاً و صلاة في خشية وبكاء
وَرَمَت في عبادة الله جهداً قدماها منها لفرط العناء

ومن أفضل صور العشق المحمود وأسماءه، عشق أهل بيت النبوة عليهم
صلوات الله وسلامه، من حيث كون عشقهم وسيلة إلى القرب الإلهي الذي
هو المطلوب الحقيقي، ولقد أوصانا القرآن الكريم بمودتهم. ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ^(٣)، ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ

(١) وسائل الشيعة ج ٧ ص ١١٣

(٢) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٧٨

(٣) الشورى ٢٣

يَتَّخِذُ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا^(١).

وروى بإسناده عن أبي برزة قال: «قال رسول الله ﷺ ونحن جلوس ذات يوم: والذي نفسي بيده لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأله الله تبارك وتعالى عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله فيما اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت^(٢)».

قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا ومن مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوار قبره ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة^(٣)».

ولقد توجه المسلمون إلى حب النبي ﷺ وحب عترته الطاهرة، امتثالاً للنداء الإلهي، وكذلك لكونهم عليهم السلام عدل القرآن وأمناء الرحمان، وأيضاً لأنهم أهل للمحبة والمودة لما يتصفون به من دواعي المحبة وموجبات المودة،

(١) الفرقان ٥٧

(٢) بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٣٠٠

(٣) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٣٣

ولقد كانوا يتغنون بحبهم ويعبرون عن مودتهم ويمتدحون آثارهم وفضائلهم.
من كان يغرم بامتداح ذوي الغنى فبمدحكم لي صبوة وغرام^(١)

وأفضل نموذج للمعنى الناصع لعشق آل محمد، هو عشق شهداء كربلاء
لإمام زمانهم أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فعشق الحسين عليه السلام جعلهم يعشقون
الشهادة، حتى أنهم كانوا يستأنسون بالموت بين يديه استيناس الطفل لمحالب
أمه، لا يبالون بما يجري عليهم من محن ومصاب ومن فقدان للأهل والأحباب .

ولقد خطب فيهم الإمام الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء وخيرهم بين المقام
والرحيل، وأذن لهم بالتفرق عنه، وأن يتخذوا من سواد الليل جملاً ينطلقون به
عن كربلاء، إلا أنهم امتنعوا وأجابوه بوجوب البقاء مع المحبوب وتقديم
النصرة والتضحية بالنفس والنفيس. ومنهم عابس بن شبيب الذي قال للحسين:
يا أبا عبد الله، أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ ولا
أحب إليّ منك، ولو قدرت على أن ادفع عنك الضيم والقتل بشيء أعز من
نفسي ودمي لفعلته، ولقد سطر لنا عابس مقولة العشق والتعلق بالحسين حين
قال مقولته المشهورة: حب الحسين أجني .

و جميع أنصار الحسين رضوان الله عليهم كانوا يتسابقون في طلب المنية
والشهادة بين يدي المعشوق.

يتسابقون إلى المنون تسابق إلهيم العطاش إلى ورود المنهل
حتى قضوا فرض الجهاد وصرعوا فوق الوهاد كشهب أفق أقل^(٢)

(١) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٨٣

(٢) ليلة عاشوراء في الحديث والأدب ٢٢٦

ولقد عبّر أمير المؤمنين عليه السلام عن عشقهم للحسين عليه السلام بقوله: (ومصارع عشاق شهداء، لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من بعدهم) ^(١).
والعشق المهدوي الذي نتحدث عنه في بحثنا هذا هو أيضاً مصداق للعشق الطاهر والعتيف، لأنّ في عشقه رضاً للمعشوق الحقيقي وهو الله تعالى، ويهدف التقرب إليه سبحانه، ويمثل كذلك وسيلة تستلزم محبة المولى تبارك وتعالى. وسوف نتحدث بإذن الله عن آثار العشق المهدوي في الفصول القادمة من البحث.

ونهاية المطاف نضع بعض النقاط الفارقة بين العشق المحرم المذموم والعشق المباح:

١- أن العشق بكلتا نوعيه يقصد به الإفراط في المحبة، وأنه كبقية العواطف ينبع من القلب، فالقلب مركز أنواع العشق ومصدرها. لكن إن كان قلب الإنسان محاط بالتورانية فلا بد أن يعشق الجمال والكمال الأبدي، وهذا هو العشق المحمود. وأما إن كان القلب تحل به الظلمانية فسوف ينحرف صاحبه نحو العشق المذموم.

٢- ان العشق المذموم يكون بدافع النفس الأمارة ونزوحها نحو الخطيئة، وأما العشق الطاهر النفسي هو نتيجة لطافة النفس وصفاتها.

٣- العشق الحيواني المحرّم يصاحبه فجور وورذيلة ويدعو إلى قسوة القلب وتلوث الروح والنفس، بينما العشق الطاهر يصاحبه صفاء للفكر ورقة للقلب وطهارة للنفس.

(١) بحار النوارج ٤١ ص ٢٩٥

٤- في العشق المحرّم تكون النفس مشغولة بتحقيق الأمور الدنيوية الشهوانية، وأما العشق النفساني الطاهر العفيف تطلب النفس الإنسانية أمور باطنية مختفية عن الحواس، فتقطع عن الأمور الدنيوية وعن كل شاغل يشغلها عن معشوقها الإلهي.

٥- العشق الممدوح - كالعشق المهدوي - يلعب دوراً مهماً في حياة العاشق، حيث يترك آثاراً روحية ومعنوية ترتقي بالإنسان إلى الكمال وتوصله إلى محال القرب الإلهي.

A decorative rectangular border with intricate floral and vine patterns, featuring large floral motifs at the corners and smaller repeating designs along the sides.

الباب الثاني

المعشوق

الفصل الأول

هوية المعشوق

اسمه ونسبه:

الإمام محمد ابن الإمام الحسن العسكري ابن الإمام علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد ابن الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

والده:

هو الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وهو الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، والمعصوم الثالث عشر من المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام. كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام معروفاً بالتقوى والزهد والعلم والسماحة والكرم .. يتسم بمعالي الأخلاق وكريم الصفات، لذلك احتل منزلة عالية في قلوب المسلمين، حتى لدى أعدائه الذين تحولوا من حالة العداء له إلى حالة من الحب والإخلاص، ومنهم صاحب السجن الذي كان يقطن فيه الإمام بأمر من المتوكل، فحينما رأى سمو أخلاق الإمام العسكري ورفيع هديه انقلب رأساً على عقب، فصار لا يرفع بصره إلى الإمام احتراماً وإجلالاً له. وشهد بحسن أخلاقه عليه السلام، المعتمد العباسي عندما قال لأخيه جعفر بن الحسن العسكري: (اعلم أن منزلة أخيك لم تكن بنا وإنما كانت بالله عز وجل، ونعم

كنا نجتهد في حط منزلته والوضع منه، وكان الله يأبى إلا أن يزيده كل يوم رفعة بما كان فيه من الصيانة وحسن السمات والعلم والعبادة^(١).

استمرت مدة إمامة العسكري عليه السلام ما يقارب ست سنوات. وكانت من أصعب الأيام وأحلك الظروف، حيث واجه من الحكام العباسيين آنذاك كل مظاهر العنف والإرهاب والتعسف والتضييق، إلى أن اعتقلوه في السجن، وذلك للحد من نشاطه وحرركته.

وعلى الرغم من ذلك الوضع السياسي الظالم، كان عليه السلام يتحرك للدفاع عن الشريعة الإسلامية ومحاربة عوامل الجهل والضلالة وهداية الضالين والمنحرفين عن الخط الإلهي، بالإضافة إلى حركة التمهيد للقضية المهدوية. ولكن كانت هذه الحركة تسير بخطوات حذرة وبشكل يقظ لصيانة الإمام المهدي والحفاظ عليه من الحكام الجائرين الذين كانوا يتربصون به الدوائر قبل ولادته وبعدها للنيل منه .

وقد صرح الإمام العسكري بهذا الوضع المأساوي من رغبة العباسيين في إبادة المهدي عليه السلام حيث قال: (فسعوا في قتل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وإبادة نسله طمعاً في الوصول إلى منع القائم أو قتله، فأبى الله أن يكشف أمره لواحدٍ منهم إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)^(٢).

ومن الخطوات التي اتبعتها الإمام العسكري عليه السلام للحفاظ على المهدي ما يلي:
الخطوة الأولى: قام بإخفاء وكتمان أمر ولادة ابنه المهدي عليه السلام، ولم يُطلع على أمر الولادة سوى أخص الخواص من شيعته إتماماً للحجة، ومنهم السيدة

(١) معجم أحاديث الامام المهدي عليه السلام ج ٤ ص ٣٧٩

(٢) معجم أحاديث الامام المهدي عليه السلام ج ٤ ص ٢٢١

حكيمه عليها السلام، وهي بنت الإمام الجواد وعمه الإمام العسكري عليه السلام.
وأما الخطوة الثانية: أخرج الإمام العسكري عليه السلام ولده الإمام المهدي عليه السلام
إلى أصحابه في اليوم الثالث من ولادته المباركة وقال لهم: (هذا صاحبكم من
بعدي وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتد إليه الأعناق بالانتظار، فإذا
امتألت الأرض جوراً وظلماً فملاًها قسطاً وعدلاً^(١))، وهنا أشار الإمام
العسكري لأصحابه إلى قضية الغيبة.

والخطوة الثالثة: تتمثل في توثيق الارتباط بين الإمام المهدي وشيعته
للتعرف على أنه حجة الله وأنه إمام حق، ينقل أن أحمد بن إسحاق أراد أن
يطمئن قلبه بإمامة الإمام المهدي فطلب من والده الإمام العسكري أن يريه علامة
حول ذلك، فأخرجه له وقد كان عليه السلام غلاماً كأن وجهه القمر ليلة البدر من أبناء
ثلاثة سنين، فنطق الإمام المهدي عليه السلام بلسان عربي فصيح فقال: (أنا بقية الله في
أرضه والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد ابن إسحاق)^(٢).

وبعد ذلك جاءت الخطوة الرابعة وهي مرحلة التخطيط للغيبة الصغرى،
من خلال اعتماد الوكلاء الثقة الذين كانوا على عهد جده وأبيه ليكونوا حلقة
وصل بينه وبين أتباعه، وهم عثمان بن سعيد العمري وابنه محمد بن عثمان،
والحسين بن روح النوبختي، وعلي بن محمد السمري.

وكانت هذه المرحلة تمهيد للأمة على تقبل فكرة الغيبة الكبرى
وانفصالها ظاهرياً عن الإمام المنصوص من قبل السماء، والذي يمثل لها
الحصن الحصين والملاذ الآمن. فالناس اعتادوا على الارتباط المباشر مع إمام

(١) بحار الانوار ج ٥١ ص ٥

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٤ ص ٢٦٧

عصرهم، ويشعرون بوجوده بين ظهرانيهم ويتفاعل معهم ويلبي حاجاتهم الفكرية والروحية والمادية. والآن في عصر الغيبة لا يجدون الإمام بينهم وبقرتهم، ولا يتمكنون من رؤيته متى شاءوا، فهذا أمر عسير على قلب الأمة يحتاج إلى جهود مبذولة لتخفيف أثره على المؤمنين وتقبله لدى كافة المسلمين، لذلك مارس الإمام العسكري كآبيه الإمام الهادي عليه السلام سياسة الاحتجاب والغياب عن الشيعة والأتباع من أجل تعويدهم على عدم الارتباط المباشر بحجة الله حتى يألفوا هذا الأمر ولا يشكل لهم صدمة نفسية فيما بعد. ولم ينس الإمام العسكري إعداد الشيعة فكرياً لقضية الغيبة، من خلال إرشادهم بضرورة الرضا بقضاء الله، لأن الغيبة أمر إلهي وغيبي أراد الله تعالى، ولا بد من الإيمان به. وعرفهم كيف يكون المؤمن المنتظر لإمام زمانه، بأن يتحلى بالصبر والثبات على طريق الحق، فكان عليه السلام يقول لهم: (إن ابني هو القائم من بعدي، وهو الذي يُجري فيه سنن الأنبياء بالتعمير والغيبة حتى تقسو القلوب لطول الأمد على القول به، إلا من كتب الله عز وجل في قلبه الإيمان وأيده بروح منه) ^(١).

وفي سنة ٢٦٠ للهجرة كان استشهاده عليه السلام وهو في العقد الثالث من عمره الشريف.

والدته:

هي السيدة نرجس حفيدة قيصر ملك الروم، وأمها ينتهي نسبها إلى شمعون، وهو أحد أوصياء السيد المسيح عليه السلام.

(١) بحار الانوار ج ٥١ ص ٢٢٤

ومن أسمائها: نرجس، وسوسن، وحكيمة، وصقيل، وخمط، وريحانة.
وفي قصة مطولة رأت السيدة نرجس في منامها رؤية عظيمة، وكان
السيد المسيح وشمعون وعدد من الحواريون قد اجتمعوا في قصر جدها
شمعون، فدخل عليهم خاتم الأنبياء محمد ﷺ مع فتية من بنيه، فاعتنقه
المسيح ورحب به، فتقدم رسول الله ﷺ لخطبة السيدة نرجس لابنه أبي
محمد العسكري. وعندما أفاقت من ذلك الحلم الوردى، دخل في قلبها عشق
للنبي وأهل بيته، وخاصة لأبي محمد ﷺ. ولشدة حبها وعشقها امتنعت عن
الطعام والشراب ومرضت مرضاً شديداً حتى عجز الأطباء من شفائها، ولم
تشف إلا عندما حقق لها والدها ما طلبته من التفريغ عن أسرى المسلمين.

وبعد بضع ليالٍ رأت أيضاً في منامها رؤية أخرى، بأن سيدة نساء الأولين
والآخرين فاطمة الزهراء عليها السلام قد زارتها في بيتها ومعها مريم ابنت
عمران وألف وصيفة من وصائف الجنة، فعندما عرفت أنها السيدة الزهراء
عانقتها وشكت لها امتناع أبي محمد من زيارتها، فأوصتها السيدة الزهراء بان
تعتنق الدين الإسلامي، فتشهدت الشهادتين ودخلت في الإسلام. وبعد أن
أسلمت زارها الإمام العسكري في منامها وأخبرها بما سيجري عليها من
حوادث، إلى أن تصل إليه ويجمع الله شملهما، ويُخرج الله منها ولد كريم
على الله عز وجل يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

لقد كانت هذه الرؤيا للسيدة نرجس رؤيا صادقة، وهي بمثابة المكاشفة
والإخبار من عالم ما وراء الطبيعة لهذه السيدة الجليلة بأنها ستكون وعاء
للمعشوق الإلهي بقية الله الأعظم الحجة بن الحسن ﷺ.

وتحققت الرؤية، وأصبح الحلم حقيقة، حيث أخذت السيدة نرجس أسيرة في حرب وقعت بين المسلمين والروم، وعرضت للبيع مع باقي الأسيرات من قومها، وكان الإمام الهادي عليه السلام يعلم عن قصة أسرها وأنها ستكون أمّاً لحفيده المنتظر، لهذا كان ينتظر قدومها إلى داره، فأرسل إليها مولاه بشر النخاس لبيتاعها، فاشتراها بشر وجاء بها إلى مولانا الإمام الهادي، فطلب الإمام من أخته حكيمة أن تعلمها الفرائض وأخبرها بأنها زوجة ابنة الإمام العسكري وأم القائم عليه السلام.

عُرفت هذه السيدة الزكية بعفتها وطهارتها ورفيع شأنها، وكانت السيدة نرجس تُعامل بكل احترام وإجلال وحفاوة من قبل الإمامين الهادي والعسكري، وأيضاً من قبل السيدة حكيمة عليها السلام، حيث قالت لها: «أنت سيدتي وسيدة أهلي». وقد أثنى عليها العديد من الأئمة عليهم السلام، ومنهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عندما خطب بعد حرب النهروان، فتحدث عن الملاحم فذكر خروج الإمام المهدي فقال: (يا بن خيرة الإماء، متى تنتظر؟ أبشر بنصر قريب من رب رحيم)^(١). وكذلك الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: (بالقائم علامتان: شامة في رأسه، وشامة بين كتفيه مثل ورقة الآس ابن سبية وابن خيرة الإماء)^(٢) فالسلام عليها يوم ولدت ويوم توفيت ويوم تبعث حية.

ألقابه:

وقد ورد في بعض الروايات عن كراهية ذكر الإمام المهدي عليه السلام باسمه،

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٣ ص ١٠١

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٤١

عن أبي هاشم الجعفري قال: سمعت أبا الحسن العسكري عليه السلام يقول: الخلف من بعد الحسن ابني فكيف لكم بالخلف، قلت: ولم جعلني الله فداك؟ فقال: لأنكم لا ترون شخصه ولا يحل لكم ذكره باسمه، قلت: كيف نذكره؟ فقال: قولوا: الحجة من آل محمد صلوات الله عليه وسلامه، لذلك علينا ان نُعرج على ألقابه الشريفة.

وذكر شيخ علي اليزدي الحائري في كتابه «إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب»، مائة وستة وثمانين اسما ولقبا للحجة عليه السلام، بعضها بين الثبوت، وبعضها ورد في الروايات والزيارات، وبعضها في كتب التوراة والإنجيل وغيرها، وبعضها صفات من شيعته، وسوف نذكر أهمها، وهي التي ذكرت في الروايات الشريفة لأهل بيت العصمة عليهم السلام:

(أ) القائم:

سمي الإمام المهدي عليه السلام بالقائم، لأنه يقوم في آخر الزمان لإحقاق الحق ومقارعة الباطل، ودلت على ذلك العديد من الروايات الشريفة:

علل الشرائع: (سئل الباقر صلوات الله عليه: يا ابن رسول الله، أستم كلكم قائمين بالحق؟

قال: بلى.

قلت: فلم سمي القائم قائما؟

قال: لما قتل جدي الحسين صلى الله عليه ضجت الملائكة الى الله عز وجل بالبكاء والنحيب، وقالت: إلهنا وسيّدنا أتغفل عن قتل صفوتك وابن صفوتك، وخيرتك من خلقك، فأوحى الله عز وجل إليهم: قتلوا ملائكتكم

فوعزتي وجلالي لانتقمن منهم ولو بعد حين، ثم كشف الله عز وجل عن الأئمة من ولد الحسين عليه السلام للملائكة فسرت الملائكة بذلك، فإذا أحدهم قائم يصلي فقال الله عز وجل: بذلك القائم أنتقم منهم^(١).

عن ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن حمدان بن سليمان، عن الصقر بن دلف قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: إن الإمام بعدي ابني علي أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي، والإمامة بعده في ابنه الحسن أمره أمر أبيه وقوله قول أبيه، وطاعته طاعة أبيه، ثم سكت فقلت له: يا بن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن؟ فبكى عليه السلام بكاء شديداً ثم قال: إن من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر فقلت له: يا بن رسول الله ولم سمي القائم؟ قال: لأنه يقوم بعد موت ذكره، وارتداد القائلين بإمامته^(٢).

ب) المهدي:

إن الإمام المهدي عليه السلام هو خاتم الأوصياء من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله. وهم حجج الله، بعثهم الله إلى عباده لهدايتهم إلى معرفة الله وطريق الحق، من أجل ذلك سمي الإمام المهدي مهدياً.

عن الشيخ الطوسي: الفضل، عن موسى بن سعدان، عن أبي عبد الله عليه السلام: المهدي والقائم واحد؟ فقال: نعم.

فقلت: لأي شيء سمي المهدي؟

قال: لأنه يهدي إلى كل أمر خفي^(٣).

(١) علل الشرائع ج ١ ص ١٦٠

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٠

(٣) الغيبة ٤٧

روى محمد بن عجلان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إذا قام القائم عليه السلام دعا الناس إلى الإسلام جديداً، وهداهم إلى أمر قد دثر وضل عنه الجمهور، وإنما سمي القائم مهدياً، لأنه يهدي إلى أمر مضلول عنه، وسمي القائم لقيامه بالحق) ^(١).

ج) المنتظر:

وسبب تسميته بالمنتظر لانتظار الناس ظهوره المقدس وخروجه المبارك، ليملاً الأرض عدلاً وقسطاً، ويطهرها من الظلم والجور.

سئل الإمام الرضا عليه السلام: لم سمي المنتظر؟

قال: لأن له غيبة تكثر أيامها ويطول أمدها، فينتظر خروجه المخلصون، وينكره المرتابون، ويستهزئ بذكره الجاحدون، ويكثر فيها الوقاتون، ويهلك فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلمون) ^(٢).

د) المؤمل:

روى محمد بن يعقوب الكليني، قال أبو محمد عليه السلام حين ولد الحجة: زعم الظلّة أنهم يقتلونني ليقطعوا هذا النسل، فكيف رأوا قدرة الله وسماه المؤمل) ^(٣).

هـ) سلطان مأمول:

عن أمير المؤمنين عليه السلام لولده الإمام الحسين: ثمّ يقوم القائم المأمول

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٠

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٠

(٣) الغيبة ص ٢٢٣

والإمام المجهول، له الشرف والفضل، وهو من ولدك يا حسين^(١).
وفي زيارته المأثورة: (السلام عليك أيها الإمام المأمول).
ومن أسمائه: الحجة، والوتر، والثائر، والمأمول، وصاحب العصر والزمان،
وصاحب الأمر، والمنتقم، والخاتم، والمضطر، والمنصور، والخلف الصالح.

كنيته:

أبو القاسم، وأبو عبد الله.

ولادته المباركة:

عن موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر، قال:
حدثتني حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن
الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. قالت:

بعث إلي أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام فقال: يا عمّة اجعلي إفطارك
الليلة عندنا، فإنها ليلة النصف من شعبان، فإنّ الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه
الليلة الحجة وهو حجته في أرضه.

قالت: فقلت له: ومن أمه؟

قال لي: نرجس.

قلت له: والله جعلني الله فداك ما بها أثر؟

فقال: هو ما أقول لك.

قالت: فجئت، فلما سلمت وجلست جاءت تنزع خفي وقالت لي: يا

سَيِّدَتِي كيف أمسيت؟

(١) دحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٣٧

فقلت: بل أنت سيّدتني وسيّدة أهلي.

قالت: فأنكرت قولي وقالت: ما هذا يا عمّة؟

قالت: فقلت لها: يا بنية إنّ الله تبارك وتعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيّداً في الدنيا والآخرة.

قالت: فجلست واستحييت، فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة وأفطرت وأخذت مضجعي فرقدت، فلما ان كان جوف الليل قمت إلى الصلاة ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث، ثمّ جلست معقبة، ثمّ اضطجعت، ثمّ انتبهت فزعة وهي راقدة، ثمّ قامت فصلت.

قالت حكيمة: ثمّ أخذتني فترة، وأخذتها فترة فانتبهت بحسن سيدي ﷺ، فكشفت الثوب عنه فإذا أنا به ﷺ ساجداً يتلقى الأرض بمساجده، فضمته، إليّ فإذا أنا به نظيف منظم، فصاح بي أبو محمّد ﷺ: هلمّي إليّ ابني يا عمّة، فجئت به إليه فوضع يديه تحت البتية وظهره ووضع قدميه على صدره، ثمّ أدلى لسانه في فيه وأمر يده على عينيه وسمعه ومفاصله ثمّ قال: تكلم يا بني، فقال: اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. واشهد أن محمّد رسول الله صلى الله عليه، ثمّ صلى على أمير المؤمنين ﷺ وعلى الأئمة إلى أن وقف على أبيه ثمّ أحجم^(١).

روى الصدوق بإسناده عن غياث بن أسيد قال: شهدت محمّد بن عثمان العمري قدس الله روحه يقول: لمّا ولد الخلف المهدي ﷺ سطع نور من فوق رأسه إلى عنان السماء، ثمّ سقط لوجهه ساجداً لربه تعالى ذكره، ثمّ رفع رأسه

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣

وهو يقول: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ قال: وكان مولده يوم الجمعة^(١).

أوصافه البدنية:

هناك جملة من الروايات والأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام تبين لنا أوصاف الإمام الحجة عليه السلام البدنية والشكلية، فهو شاب مربع، جسمه جسم إسرائيلي، ولونه لون عربي، وجهه كالكوب الدرّي، أبيض مشرب بحمرة، على خده خال، كث اللحية، وأكحل العينين، وعريض الفخذين، حسن الشعر يسيل شعره على منكبيه. شيخ السنّ شاب المنظر، حتى أنّ الناظر إليه ليحسبه انه ابن أربعين سنة.

عن أبي الصلت الهروي قال قلت للرضا عليه السلام: ما علامات القائم منكم إذا خرج؟ قال: (علامته أن يكون شيخ السن، شاب المنظر، حتى أن الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها، وأن من علاماته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي، حتى يأتيه أجله)^(٢).

عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال على المنبر: (يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان أبيض، مشرب بحمرة، مبدح البطن عريض الفخذين، عظيم مشاش المنكبين، بظهره شامتان، شامة على لون جلده، وشامة على شبه شامة النبي صلى الله عليه وآله)^(٣).

(١) الإمام المهدي في القرآن والسنة. ص ٢٧٢

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٨٥

(٣) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٥

وقال عليه السلام: (المهدي رجل من ولدي، لونه لون عربي، وجسمه جسم إسرائيلي، على خده الأيمن خال كأنه كوكب دري).

وقال عليه السلام: (المهدي منا أجلى الجبين أقنى الأنف) ^(١).

وكثيرة هي الروايات التي تصف لنا جمال المعشوق، والله در من قال:
قمر تكامل في نهاية حسنه مثل القضيب على رشاقة قده
فالبدر يطلع من ضياء جبينه والشمس تغرب في شقائق خده
ملك الجمال بأسره فكأنما حسن البرية كلها من عنده ^(٢)

أخلاقه وعناصره النفسية:

لا يفرق الإمام المهدي عليه السلام عن سيرة آبائه وأجداده، فجُلَّهم يتصفون بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، فهم من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وكيف تكون سجايا وصفات من اختاره المولى عز وجل للقيام بأعظم دور إصلاحي ولقيادة أقوى ثورة تغييرية على مدى التاريخ الإنساني. (المهدي أعلم الناس، وأحلم الناس، وأتقى الناس، وأسخى الناس، وأشجع الناس، وأعبد الناس) ^(٣).

ولقد بينت الروايات العديد من سيرته العطرة وعناصره النفسية والأخلاقية ومنها:

أ) سعة علمه:

إن الإمام المهدي عليه السلام من أهل بيت زقوا العلم زقا، وقد أوتي العلم الغزير.

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٥

(٢) مكيال المكارم ج ١ ص ٦٧

(٣) شرح إحقاق الحق ج ١٣ ص ٣٦٨ للمرعشي

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «عن ابنه المهدي «هو أوسعكم كهفاً، وأكثركم علماً وأوصلكم رحماً»^(١).

وسئل الإمام الحسين عليه السلام بأي شيء يُعرف الإمام المهدي؟ فقال: «بالسكينة والوقار، وتعرفه بالحلل والحرام، وبحاجة الناس إليه ولا يحتاج إلى أحد»^(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام: «يكون هذا الأمر في أصغرنا سنناً، وأجملنا ذكراً، يورثه الله علماً لا يكله إلى نفسه»^(٣).

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «له علم إذا حان وقت خروجه انتشر ذلك العلم من نفسه»^(٤).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة وعشرين حرفاً فبثها في الناس، وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً»^(٥).

إن الرواية السابقة تشير إلى سعة علم الإمام الحجة عليه السلام، وأن نسبة ما يعرفه الناس ومن بينهم الأنبياء والرسل من العلوم والمعارف إلى ما يُعلمهم إياه الإمام المهدي عليه السلام وبيثها إليهم نسبة اثنين إلى خمس وعشرين.

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١١٥

(٢) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٥٦

(٣) حياة الإمام المهدي ص ٣٩

(٤) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣١١

(٥) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٣٦

أي أن مقدار علم الإمام المهدي يزيد على ما جاء به الأنبياء أكثر من اثني عشر ضعفاً.

وروي انه عليه السلام (ينصب له عمود من نور من الأرض إلى السماء فيرى فيه أعمال العباد، وأن له علوم مذخورة تحت بلاطة في أهرام مصر لا يصل إليها أحد قبله) ^(١).

وبهذه النسبة من العلوم المذخورة يفتح الإمام المعشوق للإنسانية في ذلك اليوم المعهود جميع أبواب التكامل الروحي والفكري والمعرفي، والمجتمع آنذاك يصل إلى المقامات العالية من العلم والتفقه والحكمة، إلى درجة أن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه، فيصبح الجميع لديهم حب وشغف لنشر الثقافة الإسلامية، فتُضرب الفساطيط وتُبنى المساجد وتُقام الدور والمؤسسات، فيقبلون الناس على العبادة وتعليم القرآن والمعارف الإسلامية.

عن أبي عبد الله عليه السلام: «كأنني بشيعة علي في أيديهم المثاني يعلمون الناس» ^(٢).

وروي عن الإمام علي عليه السلام «كأنني بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة، يُعلمون الناس القرآن كما أنزل» ^(٣).

وأيضاً يصل الإمام المهدي عليه السلام بعلمه إلى الذروة في استخدام الوسائل المعلوماتية الحديثة والتكنولوجيا المتطورة.

(١) عصر الظهور ص ٣٢٨

(٢) مكياال المكارم ج ١ ص ٦٠

(٣) مكياال المكارم ج ١ ص ٦٠

(ان المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق) ^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: (إن قائمنا إذا قام مد الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى [لا] يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه) ^(٢).

وهذا التطور العلمي يؤدي إلى التطور الأخلاقي والإنساني (إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع به عقولهم وأكمل به أخلاقهم) ^(٣).

يقول الميرزا الأصفهاني: «إن المحتمل أن يكون المراد باليد القوة أو الملك، فيكون المعنى: أنه إذا قام استولى على جميع العباد، وشمل ملكه كل البلاد، وبذلك يجمع العقول ويكمل الأخلاق لزوال أهل الكفر والفسق والإلحاد» ^(٤).

ب) عبادته:

إن الباحث في منهج أهل البيت ومنهم الإمام المهدي عليه السلام لا يخفى عليه ما يتصفون به من حالة الانقطاع إلى الله تعالى، قيام في الليل وصيام في النهار، وتهجد في الأسحار، وابتهاال ودعاء وبكاء وخشوع، في رواية أن (المهدي خاشع لله كخشوع النسر لجناحه) ^(٥).

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٩١

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي ص ٥٦

(٣) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٣٦

(٤) مكيبال المكارم ج ١ ص ٢٧٥

(٥) معجم أحاديث الإمام المهدي ج ١ ص ٢١١

ولعل بجناحه كناية عن خفض الجناح وحالة الخضوع والتذلل، كقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ وفي رواية (المهدي خاشع لله كخشوع الزجاجية)^(١)، أي أن روحه الشريفة في مقام العبادة لله شفاقة لا تشوبها العوائل والذنوب بشفاقة الزجاجية.

وقد نقلت لنا الروايات العديد من أدعية الإمام المهدي عليه السلام، والتي تعبر عن مدى انقطاعه وتعلقه برب الأرباب.

ومن أدعيته في القنوت: «وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْفَرْدِ الْوَاحِدِ، الْمَتْفَرِدِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، الْمَتَّوْحِدِ بِالصَّمْدَانِيَّةِ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي فَجَّرَتْ بِهِ الْمَاءَ مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ، وَسَقَتْهُ مِنْ حَيْثُ شِئْتَ. وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي خَلَقْتَ بِهِ خَلْقَكَ، وَرَزَقْتَهُمْ كَيْفَ شِئْتَ، وَكَيْفَ تَشَاءُ (١) يَا مَنْ لَا تَغْيِرُهُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، أَدْعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ نُوحٌ حِينَ نَادَاكَ، فَأَنْجَيْتَهُ وَمَنْ مَعَهُ وَأَهْلَكَتَ قَوْمَهُ. وَأَدْعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ حِينَ نَادَاكَ، فَأَنْجَيْتَهُ، وَجَعَلْتَ عَلَيْهِ النَّارَ بَرْدًا وَسَلَامًا. وَأَدْعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ مُوسَى كَلِيمِكَ حِينَ نَادَاكَ فَفَرَقْتَ لَهُ الْبَحْرَ، فَأَنْجَيْتَهُ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَغْرَقْتَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِي الْيَمِّ. وَأَدْعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ عِيسَى رُوحَكَ حِينَ نَادَاكَ فَنَجَيْتَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ وَإِلَيْكَ رَفَعْتَهُ. وَأَدْعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ حَبِيبِكَ وَصَفِيكَ وَنَبِيِّكَ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله فَاسْتَجَبْتَ لَهُ، وَمِنَ الْأَحْزَابِ نَجَيْتَهُ، وَعَلَى أَعْدَائِكَ نَصَرْتَهُ. وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي إِذَا دَعَيْتَ بِهِ أُجِبْتَ، يَا مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، يَا مَنْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا. يَا مَنْ لَا تَغْيِرُهُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، وَلَا تَتَشَابَهُ عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ اللَّغَاتُ، وَلَا يَبْرُمُهُ إِلْحَاحُ الْمَلْحِينَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ، خَيْرَتِكَ مِنْ

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ج ١ ص ٢١١

خلقتك، فصل عليهم بأفضل صلواتك، وصل على جميع النبيين والمرسلين، الذين بلغوا عنك الهدى وعقدوا لك المواثيق بالطاعة، فصل على عبادك الصالحين. يا من لا يخلف الميعاد، أنجز لي ما وعدتني، واجمع لي أصحابي، وصبرهم وانصرهم على أعدائك وأعداء رسولك، ولا تخيب دعائي فإني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، أسير بين يديك. سيدي أنت الذي مننت علي بهذا المقام، وتفضلت به عليّ دون كثير من خلقك، أسألك أن تصلي علي محمد وآل محمد، وأن تنجز لي ما وعدتني، إنك أنت الصادق، لا تخلف الميعاد، وأنت على كل شيء قدير»^(١).

ج) زهده وكرمه:

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (ما تستعجلون بخروج القائم، فوالله ما لباسه إلا الغليظ وما طعامه إلا الجشب)^(٢).

وهنا إشارة إلى أنّ الإمام المهدي عليه السلام كجدّه أمير المؤمنين عليه السلام يمثّل الحاكم الإسلامي المثالي الذي لا تسعده الأموال والثروات، بل يسخرها لصالح الناس وسعادتهم. فكل ما يمتلكه في حكومته ودولته من نعم وخيرات وثروات، فيوزعها على عباد الله من فقراء ومحرومين ومحتاجين، بل إن كرمه وعطائه يشمل جميع رعيته حتى عبرت الروايات بأنه عليه السلام (يحثو المال حثوا)^(٣).

وكلمة يحثو بمعنى يرمي، وهي صيغة مبالغة لكثرة العطاء والجود.

(١) بحار الأنوار ج ٨٢ ص ٢٣٤

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٥٤

(٣) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٦٨

ورواية أخرى جميلة تصف لنا حالة الرأفة والرحمة بأمتة حيث تقول:
(المهدي كأنما يُعلق المساكين الزبد) ^(١).

وهناك رواية أخرى تدلّ على نفسيته الكريمة ومحبته للآخرين (علامة المهدي ان يكون شديداً على العمال جواداً بالمال رحيماً بالمساكين) ^(٢).

د) بأسه وشجاعته:

عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان يقرأ ﴿بِعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ثم قال: وهو القائم وأصحابه أولي بأس شديد. إن الإمام المهدي عليه السلام يتصف بالشجاعة، وتتضح شجاعته في تطبيق العدالة ونشر الحق والسلام في المجتمع. ولا تأخذه في ذلك لومة لائم، حيث يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. ويسعى إلى تحطيم عروش الظالمين، وإبادة المردة، وإنصاف المظلومين، ورد المظالم إلى أهلها. (يبلغ من ردّ المهدي المظالم حتى لو كانت تحت حرس إنسان شيء أنتزعه حتى يرده) ^(٣).

ودعاء الندبة يحمل لنا بين فقراته، معاني الشجاعة وقوة العزيمة والباس التي يتصف بها الإمام المنصور: «أين قاصم شوكة المعتدين، أين هادِمُ أبنية الشرك والنفاق، أين مُبيدُ أهل الفسوق والعُصيانِ والطُّغيانِ، أين حاصدُ فروع الغيِّ والشقاقِ (النفاقِ)، أين طامِسُ آثارِ الزَّيغِ والأهواءِ، أين قاطِعُ حَبَائِلِ الكِذْبِ وَالْأَفْتِرَاءِ، أين مُبيدُ العُتاةِ والمُرَدَّةِ، أين مُستأصِلُ أهلِ العِنَادِ والتَّضَلُّيلِ والإلحادِ، أين مُعزُّ الأولياءِ ومُذِلُّ الأعداءِ».

(١) عصر الظهور ص ٢٦٣

(٢) شرح إحقاق الحق ج ١٣ ص ٣٦٩ للمرعشي

(٣) حياة الإمام المهدي ص ٢٨٦

وفي رواية (علامة المهدي أن يكون شديداً على العمال، جواداً بالمال، رحيماً بالمساكين)^(١). وجملة «شديداً، على العمال» ربما يقصد بها مراقبته الدائمة للولاة الذين يديرون أمور الدولة الإسلامية ومتابعته الشديدة لتحركاتهم، وحرصه الشديد على أن لا يرتكبوا أي خطأ أو تقصير، وهذه من مصاديق الشجاعة.

٥) بلاغة منطقه:

لقد أعطى الله سبحانه وتعالى أهل البيت عليهم السلام البلاغة والفصاحة وقوة الخطاب، كما قال الإمام السجاد عليه السلام (أعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين)^(٢).

وجاء في الزيارة الجامعة (كلامكم نور، وأمركم رشد، ووصيتكم التقوى، وفعلكم الخير).

فعبارة «كلامكم نور» توحى عن الجانب الفكري والمنطقي المتألق لدى الأئمة عليهم السلام، فمنطقهم حكمة وكلامهم نور وعبر، وخطابهم مصدر علم وهداية للبشر، لأن كلامهم دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق. يمتاز بسلاسة الألفاظ، وجزالة المعاني، وقوة العبارات، ينفذ من الأسماع إلى القلوب، ويؤثر فيها تأثيراً عجبياً، وتصل كلماتهم إلى العقول لتثيرها، ومنها يرتقي الإنسان إلى الكمالات.

ومن الشواهد على قوة بلاغة الإمام المهدي عليه السلام، خطبته العصماء الشريفة التي يلقيها حين قيامه من بيت الله العتيق، يستنصر الله فيها ويبين للناس

(١) شرح إحقاق الحق ج ١٣ ص ٣٦٩

(٢) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٢٨

مقامه السامي ويطلب نصرتهم، واليك أيها القارئ نص هذه الخطبة:

(يا أيها الناس، إنا نستنصر الله، فمن أجابنا من الناس فإننا أهل بيت نبيكم محمد ﷺ ونحن أولى الناس بالله وبمحمد ﷺ، فمن حاجني في آدم فأنا أولى الناس بآدم، ومن حاجني في نوح فأنا أولى الناس بنوح، ومن حاجني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم، ومن حاجني في محمد ﷺ فأنا أولى الناس بمحمد ﷺ، ومن حاجني في النبيين فأنا أولى الناس بالنبيين، أليس الله يقول في محكم كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فأنا بقية من آدم، وذخيرة من نوح، ومصطفى من إبراهيم، وصفوة من محمد صلى الله عليهم أجمعين .

ألا فمن حاجني في كتاب الله فأنا أولى الناس بكتاب الله، ألا ومن حاجني في سنة رسول الله فأنا أولى الناس بسنة رسول الله، فأنشد الله من سمع كلامي اليوم لما أبلغ الشاهد منكم الغائب، وأسألكم بحق الله وبحقي، فإن لي عليكم حق القربى من رسول الله، إلا أعنتمونا ومنعتونا ممن يظلمنا، فقد أؤخفنا وظلمنا وطردنا من ديارنا وأبنائنا، وبغي علينا، ودفعنا عن حقنا، وافتري أهل الباطل علينا، فالله الله فينا لا تخذلونا وانصرونا ينصركم الله) (١).

و القائد المعشوق:

الإمام المهدي عليه السلام هو القائد المعشوق الذي تأوي إليه أمته، كما تأوي النحلة إلى يعسوبها، فهو يمثل الأب الحاني والصدر الحنون للأمة، وهو الملاذ الذي يلجأ إليه كل مهموم ومكروب وطالب حاجة.

(١) الغيبة ص ٢٩١

وقد جاءت الروايات التي تخبر عن أن أهل الأرض وأهل السماء يحبون ويعشقون المهدي عليه السلام، ويرضون عنه تماماً: قال الإمام الصادق عليه السلام:
(المهدي محبوب في الخلائق، يُطفيء الله به الفتنة الصماء) ^(١).

وفي رواية: (إذا نادى مناد من السماء أن الحق في آل محمد، فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس ويشربون حبه، ولا يكون لهم ذكر غيره) ^(٢).
وفي رواية: (يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض) ^(٣).

وبوجود المعشوق «المهدي عليه السلام»، يجعل الله جميع الناس متآلفين متحابين (يؤلف الله بين قلوبهم لا يستوحشون لأحد) ^(٤).

عجباً لتلك الجاذبية القوية من جانب المعشوق والتي تجذب العشاق إليها، وهذه المحبة، وهذه الجذبة وهذا العشق للمهدي لا يقتصر على البشر، بل جميع المخلوقات حتى الطبيعة وما فيها تعشق المهدي وترقص فرحاً به. فالأرض تُخرج كنوزها ونفائسها ونباتها، والسماء تُنزل بركاتها وقطرها وخيراتها (يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدع السماء من قطرها شيئاً إلا صبته، ولا الأرض من نباتها إلا أخرجته، حتى يتمنى الأحياء الأموات) ^(٥).

وفي رواية (فإذا خرج أشرق الأرض بنور ربها، ووضع ميزان العدل بين الناس، فلا يظلم أحد أحداً، وهو الذي تطوى له الأرض ولا يكون له ظل) ^(٦).

(١) عصر الظهور ص ٣٢٦

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٢ ص ٣٥

(٣) الغيبة ص ١٧٨

(٤) معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٢ ص ١٠٠

(٥) عصر الظهور ص ٣٢٦

(٦) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٤

وهناك صورة رائعة لتلك الغمامة التي ترافق ذلك المحبوب أينما ذهب وأينما حلّ، وتظلمه من حرارة الشمس وتلهج باسمه (يظهر في آخر الزمان على رأسه غمامة تظله من الشمس، تدور معه حيثما دار، تنادي بصوت فصيح هذا المهدي)^(١).

وأما ملائكة السماء التي تسير بين يديه، وتحوم حوله لتعينه على تنفيذ الأوامر الإلهية، ولتلبّي رغباته ورغبات عشاقه من المؤمنين (إذا قام القائم يأمر الله الملائكة بالسلام على المؤمنين والجلوس معهم في مجالسهم، فإذا أراد واحد حاجة، أرسل القائم من بعض الملائكة أن يحمله، فيحمله الملك حتى يأتي القائم فيقضي حاجته ثم يردّه)^(٢).

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٢٢

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٤ ص ١٦٩

الفصل الثاني

العقيدة المهدوية

إن العقيدة المهدوية هي عقيدة إسلامية، يعتقد بها جميع المسلمين باختلاف مذاهبهم ومشاربهم، حيث نصت عليها أحاديث عن النبي ﷺ، والتي تصل إلى حد التواتر، فجميع المسلمين يعتقدون أن المهدي عليه من ولد فاطمة الزهراء عليها السلام، وأنه الموعود الذي يظهر في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

أولاً: المهدوية في نظر الإمامية:

تعتقد الإمامية أن المهدي هو الإمام محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو فرع طاهر من تلك الشجرة الطيبة، شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين. فهو عليه من أهل بيت النبي محمد، من ذرية فاطمة عليها السلام، والده الإمام الحسن العسكري.

روي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: (المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يملك سبع سنين)^(١).

(١) بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٣٦٨

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: (الخلف الصالح من ولد الحسن بن علي العسكري، هو صاحب الزمان وهو المهدي عليه السلام)^(١).

وتعتقد الإمامية أيضا أن الإمام المهدي عليه السلام قد ولد في ليلة الخامس عشر من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين في بلدة سامراء، وقد تولى مهام الإمامة بعد وفاة والده الإمام الحسن العسكري في سنة ٢٦٠ هـ وكذلك تعتقد بأن الإمام حيّ غائب قد مدّ الله في عمره كما مدّ في عمر الخضر عليه السلام، وسوف يظهر في آخر الزمان ليملاً الأرض عدلاً وقسطاً..

وتعتقد أن له غيبتان: غيبة صغرى استمرت قرابة ٧٠ عاماً، وفيها كان عليه السلام يتصل بشيعته عبر السفراء الخاصين. وغيبة كبرى ابتدأت منذ عام ٣٢٩ هـ ومستمرة إلى يومنا هذا، إلى أن يأذن الله لوليه بالظهور ليقم الدولة الإلهية العالمية والتي تحكم بالعدل والقسط، وأن لهذه الغيبة أسباب، وسوف نستعرضها لاحقاً في هذا البحث..

ثانياً: المهدوية في نظر أهل السنة:

وأما علماء السنة فقد انقسموا فيما يختص بالعقيدة المهدوية إلى

اتجاهين:

الاتجاه الأول:

أصحاب هذا الاتجاه، يعتقدون بولادته الشريفة ووجوده المبارك، ولقد أشاروا أيضا إلى غيبته، ومن كبار علماء السنة الذين صرّحوا بولادته وغيبته: ابن عربي في فتوحاته، وعبد الوهاب الشعراني في كتابه اليواقيت والجواهر،

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٤٣

وأبو العباس الدمشقي، وسليمان القندوزي في كتابه ينابيع المودة، وابن حجر في الصواعق المحرقة، وابن الجوزي في تذكرة الخواص .

قال الشعراني: « المهدي من ولد الإمام الحسن العسكري، ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهو باق حتى يجتمع بعيسى بن مريم»^(١).

وفي ينابيع المودة: قال الشيخ المحدث الفقيه أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي في كتابه البيان في أخبار صاحب الزمان: «إن المهدي ولد الحسن العسكري، فهو حيّ موجود باق منذ غيبته إلى الآن، ولا امتناع في بقاءه بدليل بقاء عيسى والخضر وإلياس»^(٢).

وجاء أيضاً في ينابيع المودة: عن النبي ﷺ (المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي وهو أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً، تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم، حتى تضل الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب، يأتي بذخيرة الأنبياء فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً)^(٣).

وقال ابن عربي في الفتوحات: اعلم أيدينا الله، أن الله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً، ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، طول الله ذلك اليوم حتى يلي هذا الخليفة من عترة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من ولد فاطمة، يواطىء اسمه اسم رسول الله ص جده

(١) ينابيع المودة لذوي القربى ص ٢٤٥

(٢) ينابيع المودة لذوي القربى ج ٢ ص ٢٤٧

(٣) ينابيع المودة ج ٢ ص ٢٩٧

الحسين بن علي بن أبي طالب، يبايع بين الركن والمقام، يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخلق - بفتح الخاء - وينزل عنه في الخلق - بضمها - إذ لا يكون أحد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه، والله يقول (وإنك لعلى خلق عظيم) هو أجلى الجبهة أقى الأنف أسعد الناس به أهل الكوفة، يقسم المال بالسوية ويعدل به في الرعية ويفصل في القضية، يأتيه الرجل فيقول له: يا مهدي أعطني وبين يديه المال فيحشي له في ثوبه^(١).

وكلمة «يخرج»، التي جاءت في الرواية، دليل على أنه مولود، والخروج من الظهور بعدما كان مستورا.

وقال القرمانى الدمشقي في أخبار الدول وآثار الأول: «واتفق العلماء على أن المهدي هو القائم في آخر الوقت، وقد تعاضدت الأخبار على ظهوره وتظاهرت الروايات على إشراق نوره، وستسفر ظلمة الليالي والأيام بسفوره وتنجلي برؤيته الظلم، إنجلاء الصبح عن ديجوره ويسير عدله في الآفاق، فيكون أضواً من البدر المنير في مسيره»^(٢).

الاتجاه الثاني:

وأهل هذا الاتجاه ينكرون أمرين يتعلقان بالقضية المهدوية:

أحدهما: إنكارهم بأن المهدي ابن الإمام الحسن العسكري، وذلك لأنهم استندوا وتمسكوا بحديث ضعيف وتركوا بقية الأحاديث الصحيحة الواردة عن الإمام المهدي عليه السلام.

(١) الفتوحات المكية ج ٢ ص ٢٢٧

(٢) عصر الظهور ص ٣٠٢

ونصّ الحديث هو عن أبي داود، عن زائدة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله، عن النبي ﷺ: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يواطيء اسمه اسمي _ واسم أبيه اسم أبي _ يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)^(١).

فهذا الحديث يشتمل على زيادة فقرة « واسم أبيه اسم أبي » التي اختلقها الراوي المُدعَى « زائدة » والمعروف عند علماء الدراية في علم الرجال أنه يتصرف ويزيد ويتلاعب في الأحاديث.

وكذلك رُوِيَ نفس الحديث عدة مرات عن طريق الراوي « زر » ولكن لم ترد فيه هذه العبارة، ولهذا يعتبر الحديث ضعيف من حيث السند والمتن. والأمر الآخر: أن أهل هذا الاتجاه ينكرون ولادة المهدي المباركة، وبناء عليه فإنهم لا يعتقدون بوجوده ولا بعصمته، لكنه فقط سيظهر في آخر الزمان.. وسبب إنكار هذه الفئة يعود إلى بعض الأسباب منها:

(أ) استنادهم إلى بعض الحجج الواهية، مثل خلو الصحيحين « البخاري ومسلم » من أحاديث المهدي.

(ب) الجهل بضرورة الإمامة:

البعض منهم يقول بما أن النبي محمد خاتم الأنبياء وقد أقر القرآن بإكمال الدين في عهده «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي»^(٢)، وبما أن دين الله قد اكتمل، فلا ضرورة لوجود الإمام، واكتمال الدين يعني الاكتفاء بالسنة

(١) سنن أبي داود ج ٢ ص ٣٠٩

(٢) المائدة ٣

النبوية والأحاديث الشريفة.

ج) التفسير الخاطيء لمعنى الإمامة.

د) قولهم: أن الإمام يفترض أن يكون ظاهراً للعيان.

ولعلنا هنا نناقش هذه الأسباب التي دعتهم إلى نفي وجود الإمام وعصمته، فبالنسبة للسبب الأول يكون الرد عليه بنقطتين:

الأولى: وهي أن البخاري لم يصرّح «أن ما تركه من الأحاديث ليس دليلاً على ضعفها»، وكذلك أننا لم نسمع عن احد من علماء السنة يُضعف الأحاديث الغير مروية عند الشيخين.

والأخرى: أنه وردت أحاديث عديدة تتحدث عن المهدي في الصحيحين، ولكن بطريقة مجملة، فلم تصرّح هذه الروايات باسم المهدي، وقد قام علماء السنة بإرجاع هذه الأحاديث إلى المهدي في كتب الصحاح الأخرى والمسانيد والمستدركات، فمثلاً:

أخرج البخاري ومسلم - كلٌ بسنده - عن أبي هريرة أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»^(١). وفي صحيح مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله قال: «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه لهذه الأمة»^(٢).

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٤٢

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ٩٥

فإذا رجعنا إلى كتب الصحاح الأخرى والمسانيد، نجد أن هذا الإمام الذي يؤم الطائفة، ويأبى عيسى بن مريم أن يؤمهم بوجوده إكراماً وإجلالاً له، فهو المهدي.

ومنها: ما أخرجه أبو نعيم عن أبي عمرو الداني في سننه بسنده عن حذيفة أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: «... يلتفت المهدي وقد نزل عيسى بن مريم كأنما يقطر من شعره الماء، فيقول المهدي: تقدم صل بالناس، فيقول عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك، فيصلّي خلف رجل من ولدي»^(١).

منها: ما أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن سيرين: «المهدي من هذه الأمة، وهو الذي يؤم عيسى بن مريم»^(٢).

وهذا ما عبّر عنه أبو الأعلى المودودي: (قد ذكرنا في هذا الباب «باب ظهور المهدي» نوعين من الأحاديث: أحاديث ذكر المهدي بالصراحة، وأحاديث إنما أخبر بظهور خليفة عادل بدون تصريح بالمهدي. ولما كانت الأحاديث من النوع الثاني تشابه الأحاديث من النوع الأول في موضوعها، فقد ذهب المحدثون إلى أن المراد بالخليفة العادل فيها إنما هو المهدي)^(٣).

وقال ابن خلدون: إن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مر الأعصار، أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمى بالمهدي)^(٤).

(١) ينابيع المودة لذوي القربى ج ٣ ص ٢٦٤

(٢) المصنف ج ٨ ص ٦٧٩

(٣) إحقاق الحق ج ٢٩ ص ٦٢٥

(٤) إحقاق الحق ج ٢٣ ص ٩٠٧

وأما بالنسبة للأسباب الأخرى فسوف نرد عليها بالأدلة العقلية والنقلية، وسوف نناقش من خلال الأدلة عدة نقاط أهمها:

أولاً: حتمية وجود إمام لكل عصر وزمان.

ثانياً: ما هو المعنى الحقيقي للإمام؟

ثالثاً: ما هي صفات الإمام؟

رابعاً: من هو المصداق الحقيقي لإمام العصر؟

الدليل العقلي: وهو قاعدة اللطف الإلهي:

إنّ المولى تبارك وتعالى من لطفه بعباده يبعث لهم هداة وقادة ربانيون، يقودونهم إلى طريق الحق، ويعينونهم على تأدية مهام الخلافة في الأرض. وهؤلاء القادة هم الأنبياء والأولياء والأئمة، فما هي الحكمة التي تقتضي بعثهم ووجودهم بين البشر؟

أولاً: بما أنّ الإنسان مخلوق معقد التركيب في تكوينه وفي نفسيته وعقله، وتجتمع في داخله بواعث الخير، وكذلك بواعث الشر، بالإضافة إلى أنّه مجبول بفطرته على الغرائز والعواطف من حب النفس والهوى وحب الشهوات والانكباب على زخارف الدنيا ومتاعها، لقوله تعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾^(١).

فقاعدة اللطف تستلزم وجود قائد إلهي ومصلح رباني في كل زمان لقيادة النفوس الإنسانية إلى معرفة الله وعبادته، وتنظيم المجتمعات البشرية

(١) آل عمران ١٤

وصيانتها من التخبط والانحرافات، وإيصالها إلى الهدف الإلهي المنشود. وبذلك يصبح تنصيب الإمام كتنصيب النبي واجب عقلاً، فالإمام يخلف النبي في وظائفه الرسالية كهداية البشر وإصلاح شؤونهم وإقامة العدل بينهم ومحاربة الظلم والعدوان.

ثانياً: أن الإمامة أيضاً ضرورة عقلية لفراغ ذمة المكلف بإتباع الإمام، لأن المولى تبارك وتعالى لا يكلف عباده إلا بعد إقامة الحجة عليهم، فمن الظلم أن يعاقب العاجز والجاهل غير المقصر، وبوجود الإمام تكون لله الحجة على عباده و﴿لَيْسَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾^(١).

ثالثاً: وكما أن تنصيب الإمام واجب عقلاً، كذلك يستلزم أن يكون الإمام معصوماً من الرذائل والفواحش ومن السهو والخطأ، وأن يتصف بالصفات الكمالية والجمالية، من قدرة وعلم وحكمة وصدق وحسن تدبير وغيرها.

فمن القبح العقلي أن نجوز ارتكاب الإمام - القائد الإلهي - للمعصية والذنب، أو نجوز اتصافه بالعجز والضعف أو الظلم والكذب، وغير ذلك من الصفات السلبية، فإذا جوزنا ارتكابه للمعصية فهناك احتمالان:

الاحتمال الأول: إما أنه يجب إتباعه والاقتراء به، فيكون بذلك قد جوزنا فعل المعصية برخصة شرعية، وهذا باطل، لأنه يتنافى عقلاً مع ضرورة الدين في الوصول إلى التكامل الإنساني.

الاحتمال الثاني: أن لا يجب إتباعه في فعل المعصية، وهذا يتنافى مع الهدف من بعث الإمام القائد المنصوص عليه من قبل السماء، حيث يؤدي إلى

عدم الطاعة وعدم الامتثال لأوامره، والذي يفترض طاعته والامتثال لأوامره والانقياد لتعاليمه، ويصبح الإمام كسائر البشر يفتقد للعدالة والكمال، وبالتالي ستفقد البشرية الثقة المطلقة بأقواله وأفعاله.

الأدلة النقلية:

لقد تحدّث القرآن الكريم والروايات الشريفة لأهل البيت عليهم السلام عن المهدي الموعود، وعن حتمية ظهور الدولة المهدوية في آخر الزمان، وقد تطرقت الآيات القرآنية إلى عدد من المواضيع التي تثبت العقيدة المهدوية وحتمية الوجود المقدس للمهدي وقيامه كإمام بتكليفه الإلهي.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(١).

إن الآيات القرآنية السابقة نستشف منها ضرورة وجود إمام وخليفة منصوص من قبل الله تعالى في كل عصر لهداية الناس ودعوتهم إلى الخالق عز وجل، وهذا الإمام يشهد على أعمالهم ويكون حجة الله عليهم، فمن المستحيل خلو الأرض من إمام حق عادل.

أولاً: ما معنى الإمام والإمامة؟

الإمام في اللغة:

قال الراغب: «الإمام هو المؤتم به إنسانا كأن يُقتدى بقوله أو فعله، أو كتاباً أو غير ذلك، محققاً كان أو مبطلاً، وجمعه أئمة».

(١) الإسراء ٧١

وجاء في الميزان: إنَّ الإمام هو كون الإنسان بحيث يقتدي به غيره بأن يطبق أفعاله وأقواله على أفعاله وأقواله بنحو التبعية^(١).

وقال فريق من العلماء: أن الإمامة هي الرئاسة والزعامة في أمور الدنيا.

وقال آخرون: هي الرئاسة في أمور الدين والدنيا.

والبعض قال: إنها الخلافة أو الوصاية.

وبعض فسرها على أنها النبوة والتقدم.

مصطلح الإمام في الرؤية القرآنية:

إنَّ هذا المصطلح «الإمام» قد جاء في القرآن الكريم بعدة معاني منها:

(أ) الإمام المقتدى به من البشر، وهم صنفان: إمّا إمام يهدي الناس بأمر من الله إلى الحق ويقودهم نحو الكمال والقيم الربانية العليا، كما في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(٢).

(ب) وإما إمام يسوق الناس إلى مواطن الفساد والى القيم الشيطانية الدنيئة، مثل قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ﴾^(٣).

(ج) الإمام من غير البشر، فالمعنى الأول هو التوراة كما في قوله: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾^(٤)، وبذلك يصدق على جميع الكتب السماوية الأخرى، والمعنى الآخر هو اللوح المحفوظ، لقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٥).

(١) الراغب ص ٢٤

(٢) تفسير الميزان ج ١ ص ٢٧١

(٣) الأنبياء ٧٣

(٤) التوبة ١٢

(٥) يس ١٢

إذا ما المقصود من الإمام في الآية السابقة الذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ هل هو المعنى الأول أم الثاني؟

إن معنى «الإمام» المذكور في قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ لا يصلح أن ينطبق على الكتاب السماوي، لأن الآية عامة وصريحة، وهو عدم خلو أي زمان وأي قوم من الأوليين والآخرين من إمام. ومن المعروف قرآنياً أن كتاب نوح هو أول الكتب السماوية المشتملة على الشريعة، فالقول بأن الإمام يعني الكتاب، سوف يخرج العصور التي سبقت نبي الله نوح عليه السلام من حكم الآية. فجملة «كل أناس» تعني الشمولية لكل عصر.

وأيضاً لا يمكن أن يكون المراد من الإمام هو اللوح المحفوظ، وذلك لكون اللوح المحفوظ واحداً لا يختص بزمان غيره، بينما الآية تصرح بأن لكل أناس إماماً.

وهنا يبقى لنا معنى واحد وهو القول الأول. أن المراد من «إمام كل زمان» هو من يأتى به الناس في سبيلي الحق والباطل، أو أن يكون المراد فيها إمام الحق الذي يختاره الله في كل زمان لهداية البشر ويكون حجة عليهم، فيدعوه الله يوم القيامة للاحتجاج به عليهم، سواء كان نبياً كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم الصلاة والسلام)، أو غير نبي كأوصياء الأنبياء عليهم السلام.

وقد نفى العلامة الطباطبائي في تفسيره كثيراً من أقوال المفسرين، وأهمها القول بأن الإمام يراد منه النبي العام لكل أمة، لأن ذلك لا ينسجم مع ظاهر الآيتين، لأنه يخرج من حكمها العام الأمم التي لم يكن فيها نبي.

ومحصلة هذا البيان نتيجتان:

إحداهما: حتمية وجود إمام حق في كل عصر وزمان يهتدى به، ويكون

حجة الله على أهل زمانه في الدنيا والآخرة. سئل النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قال: يدعون بإمام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم^(١).

لذا يتحتم على أهل الزمان معرفة إمامهم وإتباعه وطاعته في الدنيا ليكون سبباً في نجاتهم وفلاحهم في الآخرة. وأما إذا تعاموا عن معرفته وجهلوا قدره وانحرفوا عن خطه في الدنيا، كان ذلك سبباً في ضلالهم يوم الآخرة.

والنتيجة الأخرى: لا بد للإمام الحق من مصداق في كل زمان، وليس من الضروري أن يكون الإمام نبياً، وقد يحمل الإمام منزلة أعظم من منزلة النبي والرسول، لأن النبوة تقتصر على إبلاغ أوامر الله عن طريق التبشير والإنذار. بينما الإمامة تشمل على مهمة النبي بالإضافة إلى تربية النفوس البشرية وهدايتها وإجراء الأحكام الإلهية في الأرض. فالإمام مؤهلٌ لهداية البشر، وتحقيق أحكام الله، وتفعيل المناهج الدينية، وتطبيق العدالة الاجتماعية وتربية الأفراد روحياً وفكرياً وسلوكياً وأخلاقياً.

ثانياً: المواصفات القرآنية لإمام الحق:

وبعد أن بيّنا معنى مصطلح الإمام والإمامة في القرآن، سوف نذكر الصفات والخصائص التي ذكرها القرآن الكريم، وذكرتها السنة المطهرة لإمام الحق ومنها:

(١) بحار الأنوار ج ٢٨ ص ١٢٦

الْعَصْمَةُ:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١).

تشير الآية إلى أن الإمامة هي عهد من الله للإمام المنصوب من قبله تعالى، لذلك لا بد أن يكون الإمام معصوماً بالعصمة الإلهية عن الضلال والمعصية، ومسدداً ومؤيداً من قبل الله تعالى.

فهذا العهد الإلهي لا يمكن أن يناله شخص يتصف بالظلم أو يتلبس بالظلم، ومن مصاديق الظلم: ظلم الإنسان بحق نفسه أو بحق الآخرين بارتكاب الذنوب والمعاصي. وقد تحدثنا سابقاً أن العقل يحكم بأن يكون الإمام المؤهل للإمامة عادلاً أي معصوماً عن الخطأ والذنوب، لأن الإمام وظيفته تكوين دولة شرعية وتشريعية وإقامة حكومة إلهية عادلة على الأرض. وكذلك لأنه يحمل مسؤوليات ضخمة في قيادة البشرية إلى طريق التكامل ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^(٢).

فارتكاب المعاصي والذنوب تسلب منه اللياقة والقدرة على القيام بتكليفه، وتُصيره شخصاً ضعيفاً غير مؤهل لقيادة البشرية، حتى وإن كان فعل الذنب وارتكاب الظلم في برهة من حياته، لأن ذلك سوف يمثل نقطة سوداء في حياته أمام الآخرين، عندها سوف تضعف شخصيته كقدوة صالحة للناس، كذلك يتحتم أن يكون الإمام فريداً في صفاته، أفضل الناس عبادةً وعلماً ومنطقاً وفكراً وخلقاً، فلا يفوقه أحد ولا يشابهه أحد.

(١) البقرة ١٢٤

(٢) الأنبياء ٧٣

ب) الهداية إلى الحق:

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(١).

إن من لطف الله تعالى أن يجعل لخلقه حجة عليهم، يهديهم إلى طريق الحق ويوصلهم إلى الغاية التي خلَقوا من أجلها. فالمولى تبارك وتعالى هو خالق الإنسان، والقادر على هدايته وإرشاده إلى ما فيه صلاحه وسعادته في الدنيا والآخرة. ومن سنته تبارك وتعالى في عباده أن يرسل إلى كل قوم هادياً يهديهم ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، ومعنى ذلك أن الأرض لا تخلو من هاد يهدي البشر، إما أن يكون الهادي نبياً أو غير نبي، لأن كلمة الهادي في الآية السابقة غير محصورة في النبي، كما اعتقد بذلك بعض المفسرين، فلو كان صحيحاً أن الهداية محصورة بالأنبياء، إذاً ما حال الفترات الزمنية التي خلت من نبي؟ أيعقل أن تترك بدون هداية؟ فإطلاق الآية ينفي حصرها بالنبي بسبب وجود قرينة.

يقول صاحب الأمثل: «إن الواو في جملة» ولكل قوم هاد «تفصل بين جملة إنما أنت منذر، ولو كانت كلمة «هاد» قبل «لكل قوم» لكانت الصفتان المنذر وهاد صفتين للرسول، ولكن الأمر ليس كذلك.

والأمر الآخر: أن هناك قسمين للدعوة إلى الله وهما: الإنذار، والهداية. ووجه التفاوت بينهما، أن الإنذار تختص بالذين أضلوا الطريق ودعوتهم تكون إلى الصراط المستقيم، ولكن الهداية والاستقامة للذين آمنوا. وفي الحقيقة أن المنذر مثل العلة المحدثه، أما الهادي فبمنزلة العلة الباقية وهذه

(١) الرعد ٧

هي التي تعبر عنها بالرسول والإمام^(١).

كما قال عليه السلام: (أنا المنذر وعلي الهادي)، ولقد ثبت بطرق متعددة في مصادر أهل السنة مثل تفسير ابن كثير والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي وتفسير الطبري وتفسير البحر المحيط للأندلسي وتفسير الكشاف للنيسابوري: عن ابن عباس قال: لما نزلت «إنما أنت منذر ولكل قوم هاد» قال: وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال: «أنا المنذر ولكل قوم هاد» وأوماً على منكب علي عليه السلام وقال: (وأنت الهادي بك يهتدي المهتدون من بعدي)^(٢).

ما معنى الهداية؟

الهداية من الهدى، وتعني الدلالة والإرشاد^(٣).

وجاء في الميزان: أن المراد من الهداية إلى الحق ما هو بمعنى الإيصال إلى المطلوب، دون ما هو بمعنى إراءة الطريق المنتهي إلى الحق، فإن من الضروري أن وصف طريق الحق يتأتى من كل أحد سواء اهتدى إلى الحق بنفسه أو بغيره أو لم يهتد^(٤).

وفي الأمثل: «الهداية التي يتضمنها مفهوم الإمامة ما هي إلا الإيصال إلى المطلوب، وتحقيق روح الدين وتطبيق المناهج التربوية في النفوس المستعدة»^(٥).

(١) الأمثل ج ٧ ص ٢٤٦

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٢٠

(٣) شرح إحقاق الحق المرعشي

(٤) الميزان ج ١٠ ص ٥٨

(٥) الأمثل ج ١ ص ٢٧

صفات الهادي في القرآن:

أ) يمتلك هداية ذاتية دون واسطة:

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ قَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١).

إن أمر الهداية هي من عمل الله وبأمر من الله، «قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ»، فيهدي الخلق إلى سعادة الحياة، ويدعوه إلى الجنة والمغفرة الإلهية عن طريق الأنبياء والأوصياء والمصلحين، فهم من يستمدون الهداية منه تعالى، والآية السابقة تعرض مقابلة بين الهداية الذاتية الإلهية والهداية الغيرية.

فقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ هي الهداية الذاتية الإلهية، أي من يهتدي إلى الحق بنفسه وذاته، أي شملته الهداية الإلهية بغير واسطة تكون بينه وبين الله، حيث يتلقى الهداية من الله وينقلها إلى البشر.

وقوله تعالى: لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ وهي الهداية الغيرية، فكلمة لَا يَهْدِي: تعني لا يهتدي إلا أن يُهْدَى، أي من لا يكون هداه من نفسه، سوف يتلقى الهداية من غيره. هذا في حالة قابليته للهداية، أما في حالة عدم القابلية للهداية، فإنه لا يهتدي ولن يهتدي.

فالهادي إلى الحق لابد أن يكون شخصاً مهتدياً وهادياً بذاته إلى الحق لا بواسطة غيره، فهو يهدي ولا يُهْدَى، لذلك لابد أن يكون الهادي إلى الحق مؤهلاً لتلقي الفيوضات الإلهية الخاصة بالهداية، إما عن طريق الوحي كالأنبياء، أو عن طريق الإلهام الإلهي لغير الأنبياء، وكذلك حصر هدايته بالحق دون الباطل وإيصال البشر إلى المولى تبارك وتعالى دون غيره.

ب) الهادي هو الإمام المنصوب من قبل الله:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا﴾، هذه الآية تُصرِّح أنّ من كانت وظيفته الهداية فهو إمام منصوب من قبل الله تعالى لهداية الناس إلى الله، والإمامة عهد إلهي يجعله لمن اصطفاه واختاره من عباده ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١).

ج) الاستعداد الروحي للهداية إلى الحق:

فالهادي لابد أن يحمل صفة «الولاية التكوينية»، وهي القدرة والقابلية على التصرف في التكوينات مطلقاً من قبل الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وبإذن الله تعالى وليست بالاستقلال.

فالهادي يحتاج إلى هذه الولاية ليصل إلى بواطن العباد وحقائقهم ليزوّدهم ويمدّهم من حقائق الهداية ما يناسبهم ويتلاءم معهم، وتسيير النفوس البشرية نحو الكمال، ويتميز بقدرته بما يحمله من نفوذ روحي على التأثير في القلوب البشرية القابلة للهداية، وإخراجهم من دياجي الجهل والضلالة إلى مواطن النور والهداية، لذلك تحتاج الهداية إلى منزلة العصمة؛ . لذلك أمر الله بإتباعه ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ لأنّ إتباع الهادي إلى الحق هو إتباع للحق ذاته.

د) الشهادة على الأمة والاحتجاج عليهم:

قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٢).

(١) البقرة ١٢٤

(٢) النساء ٤١

وقال عز من قائل: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾.

﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٢).

هذه الآيات السابقة تؤكد على حتمية وجود إمام في كل عصر، وتشير إلى أن من مهامه الإلهية الشهادة على أعمال أهل زمانه والاحتجاج لله عليهم يوم القيامة.

السؤال الأول: ما معنى الشهادة؟

قال الراغب: الشهادة من شهد، وتعني الشهادة الحضور مع المشاهدة إما بالبصر أو بالبصيرة، ويقال للمحضر: مشهد، وجمع مشهد مشاهد، ومنه مشاهد الحج: وهي مواطنه الشريفة التي يحضرها الملائكة والأبرار من الناس. ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾^(٣) ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ أي لا يحضرونه بنفوسهم ولا بهمهم وإرادتهم.

والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر، وقد يعبر بالشهادة عن الحكم نحو وشهد شاهد من أهلها وتدلل على الإقرار ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ أي مقرين^(٣).

(١) النحل ٨٤

(٢) القصص ٧٥.

(٣) مفردات غريب القرآن ص ٢٦٧

وهناك قول: إنها الشهادة التي تقام بها الحقوق عند الحكام، والمعنى الآخر: تعني الحضور، كما يقال: شهدت وصية فلان^(١).

السؤال الثاني: ماهي خصائص الشهيد في القرآن؟

أ) الشهيد من جنس البشر:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾^(٢).

الآية السابقة تُخبر بلزوم أن يكون الشهيد من جنس البشر كالأنبياء والأوصياء، فلا يمكن أن يكون من جنس الملائكة أو الجن أو الكتب السماوية أو غيرها، حتى تكون عنده إحاطة كاملة بجميع أعمال أمته، فهذا أتم للحجة وأبلغ للشهادة وأقطع للمعذرة، فقوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾، «أن المراد بالدعوة، هو الإحضار. (يوم القيامة) فهم محضرون بإمامهم، ثم يأخذ من اقتدى بإمام حق كتابه بيمينه، ويظهر عمى من عمى عن معرفة الإمام الحق في الدنيا وإتباعه»^(٣)، عندما يشهد الإمام على قومه ويحتج على أعمالهم.

ب) أن يكون لديه علم الكتاب:

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٤).

(١) تفسير مجمع البيان ج ٢ ص ٤٣٩

(٢) النحل ٨٩.

(٣) الميزان ج ١٢ ص ١٦٦

(٤) الرعد ٤٣

الشهادة على الناس تقتضي من الإمام العلم والإحاطة بهم وبأعمالهم، حتى يتمكن من الاحتجاج عليهم، فهو حجة الله على أهل زمانه، يشهد عليهم هل آمنوا بالله وصدقوا أم كفروا به وكذبوا.

إن أمر الشهادة على الخلق والإطلاع على أعمالهم وبواطنهم لا تتحقق بالأسباب الطبيعية، ولكن تحتاج إلى نوع آخر من العلم، وهو العلم اللدني، وهو علم حضوري غير مكتسب، وهذه المرتبة من العلم لا تحصل للشهيد إلا عن طريق تسديد إلهي وفيض رباني، لا عن طريق التعليم والتعلم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إن رسول الله أدخل لسانه في فمي فانفتح في قلبي ألف باب من العلم، فتح لي كل باب ألف باب). وقال أيضاً: (لو ثنيت لي الوسادة وجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الفرقان بفرقانهم).

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «علمت كل لسان وكل كتاب وما كان وما سيكون بغير تعلم، وهذا سرّ الأنبياء أودعه الله فيهم، والأنبياء أودعوه إلى أوصيائهم، ومن لم يعرف ذلك ويتحققه فليس هو على شيء، ولا قوة إلا بالله».

ج) معاصرة الشهيد لأمته:

من المسلمات أن الشاهد ينبغي أن يكون حياً وحاضراً ومعاصراً لأمته، ليشهد على ما يراه ويسمعه من وقائع وأحداث وأعمال معاصريه، إما بالبصر أو بالبصيرة. ليحتج به الله يوم القيامة ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١).

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إِنَّ الْحِجَّةَ لَا تَقُومُ لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا بِإِمَامٍ حَيٍّ مَعْرُوفٍ»^(٢). وهذا يقودنا إلى أن مقام الشهادة لا يخلو منها عصر أو زمان، فكل عصر لابد من وجود شهيد حي يكون مظهراً لتجلي حقيقة اسم الله الشهيد. (ومن الواضح أن هذه الحواس العادية التي فينا، والقوى المتعلقة بها منا لا تتحمل إلا صور الأفعال والأعمال فقط، وذلك التحمل أيضاً إنما يكون في شيء يكون موجوداً حاضراً عند الحس لا معدوماً ولا غائباً عنه، وأما حقائق الأعمال والمعاني النفسانية من الكفر والإيمان والفوز والخسران، وبالجملة كلّ خفي عن الحس ومستبطن عند الإنسان - وهي التي تكسب القلوب - وعليه يدور حساب رب العالمين يوم تبلى السرائر كما قال تعالى ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم فهي ممّا ليس في وسع الإنسان إحصاؤها والإحاطة بها وتشخيصها من الحاضرين فضلاً عن الغائبين، إلا رجل يتولى الله أمره ويكشف ذلك له بيده)^(٣).

ثالثاً: ضرورة وجود إمام:

شبهة:

البعض منهم يقول: بما أن النبي محمد صلى الله عليه وآله هو خاتم الأنبياء، وقد أقر القرآن بإكمال الدين في عهده «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي» وبما أن دين الله قد اكتمل، فلا ضرورة لوجود الإمام، واكتمال الدين يعني الاكتفاء بالسنة النبوية والأحاديث الشريفة.

(١) النساء ٤١

(٢) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٢

(٣) الميزان ج ١ ص ٢٢١

الجواب:

إن النبي الأعظم محمد ﷺ قد أدى مهمته الإلهية في تبيان أصول الدين الإسلامي وفروعه بصفة الكمال والتمام، وأسس مجتمعاً إسلامياً صالحاً بعد أن كان يعيش في الضلالة والجهل، ومن ثم ارتحل إلى الرفيق الأعلى. ولكن أهداف الرسالة الإسلامية لم تتحقق أهدافها ولم تكتمل غاياتها؛ لأن حياته الشريفة وعمره المبارك لم تكون كافية لاستيعاب جميع الأهداف وتطبيقها على أرض الواقع، فكان لابد من وجود قادة إلهيين لإكمال المسيرة الإصلاحية التي بدأها النبي محمد ﷺ لإقامة العدل الإلهي بين الناس، وتبيان الأحكام الشرعية وصيانتها من التحريف وإقامة الحجج والبراهين على حقيقة الدين الإسلامي ودفع الشبهات التي ترد من الآخرين والمخالفين.

كما قال ﷺ للإمام علي عليه السلام: (أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي) (١).

فالصفات والقدرات التي أشرنا إليها في شخصية الإمام تشير إلى أن الإمامة أمر ضروري بعد وفاة النبي كضرورة النبوة، بل أنهما متلازمتان، فالإمامة هي امتداد للنبوة واستمرار لوظائف الرسالة، وبدون الإمامة تنتفي فائدة النبوة والرسالة ويصبح وجودهما لغواً وعبثاً.

أما بالنسبة لآية إكمال الدين، تعني أن إكمال الدين وإتمام النعمة هو إحكام أصول الدين وتشبيت دعائمه من خلال إبطال ما كان يهدف إليه المنافقون من إبادة الدين الإسلامي، وأن هذا سوف يكون على يد الإمام علي عليه السلام، لذلك تم تنصيبه إماماً وخليفةً على المسلمين بعد النبي، وجرت بيعته في ذلك اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية الشريفة.

(١) كنز العمال ج ١١ ص ٦١٥

الأمر الآخر: أنّ النبي ﷺ صرّح في حديث شريف أن سبيل النجاة من الغي والضلالة بعد وفاته ﷺ، إنما يكمن في التمسك بعترته الشريفة: (ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي).

والعتره عند علماء اللغة مثل ابن الاعرابي: هي ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه، فعتره النبي صلى الله عليه وسلم ولد فاطمة البتول عليها السلام^(١).
والنبي ﷺ بين ذلك بعد نزول آية التطهير عندما كان - بأبي هو وأمي - يمر ببیت فاطمة عليها السلام وينادي «الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾».

فالعتره النبوية تتمثل في الأئمة^(عليهم السلام) من ولد مولانا فاطمة الزهراء^(عليها السلام)، والإمام الحجة ابن الحسن هو خاتم الأوصياء وهو من ذرية فاطمة الزهراء (اعلم أيدينا الله أن الله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً، ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد طول الله ذلك اليوم حتى يلي هذا الخليفة من عتره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من ولد فاطمة)^(٢).

رابعاً: مصداق الإمام في عصرنا:

من هو مصداق الإمامة في هذا العصر؟ من الشخص الذي يحمل صفات الإمام الحق في عصرنا الحاضر والذي تنطبق عليه الآيات السابقة؟
في عصرنا هذا لا يوجد ثمّة شخص يتحلّى بهذه الصفات من عدالة وعصمة وقدرة على الهداية، وهذا لا يعني خلو العصر من إمام تتمثل فيه هذه المواصفات، فهذا القول يتنافى مع صريح الآيات السابقة والتي تبين حتمية

(١) لسان العرب ج ٤ ص ٥٢٨

(٢) الفتوحات المكية ج ٣ ص ٣٢٧

وجود إمام عادل وهادي في كل زمان، وشهيد على الناس.
لكن من هو هذا الإمام؟ إنه الإمام المعشوق حجة الله على خلقه وبقية
الله في أرضة الحجة ابن الحسن المهدي عليه السلام، وسوف نذكر ما يؤيد كلامنا
من أدلة نقلية وعقلية.

أ) المهدي عليه السلام هو الإمام المعصوم من أهل بيت النبوة:

قال النبي صلى الله عليه وآله (إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب
الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي.. وإنهما لن يفترقا
حتى يردا عليّ الحوض) ^(١).

نتوصل من خلال الأمر النبوي في الحديث السابق، والذي ينص على
التمسك بعتره النبي وهم «أهل البيت عليهم السلام»، إلى ضرورة تحلي الإمام بالعصمة
كما هو مبين في آية التطهير. فعدم افتراق العترة وهم الثقل الثاني عن الثقل الأول
وهو القرآن، لدال على عصمته؛ لأنّ في حالة افتراض وجود معصية أو خطأ في
العترة لأدّى ذلك إلى افتراق القرآن عنها، لأنّ القرآن معهود بأن لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه، وكذلك لما أمر النبي صلى الله عليه وآله بالتمسك بهما.

يقول ابن حجر «إن الذين وقع الحثّ عليهم منهم إنّما هم العارفون
بكتاب الله وسنة رسوله، إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض،
وتميزوا بذلك عن بقية العلماء، لأنّ الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة» ^(٢).

(١) مسند أحمد ج ٣ ص ١٤

(٢) أعلام الهداية ج ٤ ص ٨٥

الأمر الآخر: بما أنّ الأمر بالتمسك بالعترة والقرآن مطلق زمانياً وغير مقيد بشيء صلى الله عليه، فهذه دلالة على أنه صالح لكل زمان وأوان إلى قيام الساعة، فهما تصريح بحتمية وجود شخصية في زماننا هذا تمثل أهل بيت النبي وعترة الطاهرين، يتحلى بالعصمة ليمسك العباد به ويرجعون إليه كرجوعهم للقرآن الكريم، وهذه الشخصية هي الإمام المهدي أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

ب) المهدي هو حجة الله والإمام الشهيد:

عن النبي صلى الله عليه قال: (حدثني جبرائيل عن ربّ العزة جلّ جلاله أنه قال: ومن لم يشهد أن لا إله إلا أنا وحدي، أو شهد بذلك ولم يشهد أنّ محمّداً عبدي ورسولي، أو شهد بذلك ولم يشهد أنّ علي بن أبي طالب خليفتي، أو شهد بذلك ولم يشهد أنّ الأئمة من ولده حججتي، فقد جحد نعمتي وصغر عظمي وكفر بآياتي وكتبي ورسلي، إن قصدني حجبتة، وإن سألتني حرمتة، وإن ناداني لم أسمع نداءه، وإن دعاني لم أستجب دعاءه، وإن رجاني خيبتة، وذلك جزاؤه مني وما أنا بظلام للعبيد.

فقام جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله ومن الأئمة من ولد علي بن أبي طالب؟

قال: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، ثمّ سيّد العابدين في زمانه علي بن الحسين، ثمّ الباقر محمّد بن علي، وستدركه يا جابر، فإذا أدركته فاقرأه مني السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ الكاظم موسى بن جعفر، ثمّ الرضا علي بن موسى، ثمّ التقي محمّد بن علي، ثمّ النقي علي بن محمّد،

ثمّ الزكي الحسن بن علي، ثمّ ابنه القائم بالحقّ مهدي أمّتي، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً^(١).

إذا قلنا: إنّ الإمام المهدي عجل الله فرجه لم يولد بعد - كما تعتقد بعض المدارس الإسلامية - فإنّ هذا سوف يتعارض مع قاعدة عدم خلو الزمان من حجة وإمام هادي للحق، (ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله)^(٢).

وكذلك يتعارض مع حديث القرآن والعترة (كتاب الله وعترتي أهل بيتي).
نقول: لا بدّ أنّ ندع عن أن الإمام المهدي عليه السلام موجود ولكنه لا تراه الأبصار، فهو حي غائب يقوم بوظيفته الإلهية لكن بالمقدار اللازم للاحتجاج به على أهل زمانه.. وهذا ما يعتقد به أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ويختلفون فيه عن بقية المدارس الإسلامية.. وما يثبت كلامنا هو ما ذكرنا من وجود الأدلة العقلية والنقلية على توفر شروط الإمامة وصفاتها في شخص المهدي عليه السلام. وكذلك الروايات الشريفة للنبي محمّد وأهل بيته عليهم السلام والتي تصرّح على إمامة المهدي المنتظر عليه السلام وعلى عصمته وعلى حجّيته وغيبته ومدة هذه الغيبة.. وبما أنّ حجة الله فلا بدّ أنّه يشهد علينا ويطلع على أعمالنا.

في بصائر الدرجات بإسناده عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال:
«سألت عن الأعمال هل تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: ما فيه شك.

قال: رأيت قول الله: ﴿اعْمَلُوا فَيَسِّرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

(١) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٢٠

(٢) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٦

فقال: لله شهداء في خلقه»^(١).

عن أحمد بن موسى، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير، عن حفص بن البختري وغير واحد قال: (تعرض الأعمال يوم الخميس على رسول الله ﷺ وعلى الأئمة عليهم السلام)^(٢).

هل تتنافى الحجية مع الغيبة؟

للإمام المهدي عليه السلام غيبتان: فالغيبة الصغرى ابتدأت منذ ولادته الشريفة واستمرت ما يقارب ٧٠ عاماً، وأما الغيبة الكبرى ابتدأت بوفاة السمرى آخر النواب الأربعة وهو عام ٣٢٩ هـ واستمرت إلى يومنا هذا، (ان للقائم غيبتين يقال في أحدهما هلك ولا يدري في أي واد سلك)^(٣).

الغيبة تعني اختفاء شخص الإمام عن عامة الناس، ولا تعني غيبة الإمام استتاره عن أنظارهم بصورة دائمة، بل أنه يتحرك في أوساطهم ويسير في أسواقهم لكنهم لا يعرفون شخصه، وأحياناً تقتضي المصلحة الإسلامية أن تراه القلة المؤمنة من أجل إعدادها وتأهيلها لعهد الظهور، كما حصل مع كثير من العلماء والعرفاء سواء في الغيبة الصغرى أو الكبرى، لا كما يدعيه البعض من أنّ الإمام غائباً في سردابه، لا يبرحه حتى يحين وقت قيامه. فهذا كلام هراء وغير عقلائي، إذ كيف لإمام منصوب من قبل السماء أن يترك الأمة بلا راعي يراها وقائد إلهي يدير شؤون حياتها، أو كيف لمن وكل له دور إصلاح العالم أن يكون غائباً عنه (يفقد الناس إمامهم فيشهدهم الموسم فيراهم ولا يرونه)^(٤).

(١) تفسير الميزان ج ٩ ص ٢٨٥

(٢) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٢٤٦

(٣) ميزان الحكمة ج ١ ص ١٨٠

(٤) كمال الدين وتمام النعمة ص ٣٤٦

فالإمام الحجة عليه السلام لا يمكن أن يغيب عن الساحة الإسلامية وخاصة أتباع أهل البيت عليهم السلام، فهو مرتبط بهم عن طريق الوكلاء والنواب في عصر الغيبة الصغرى وعن طريق الفقهاء في عصر الغيبة الكبرى.

فقد ورد أن الإمام المهدي عليه السلام كتب رسالة إلى الشيخ المفيد جاء فيها: (ونحن وإن كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فانا نحيط علما بأنبائكم ولا يعزب عنا شيء من أخباركم صلى الله عليه ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم، قد جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، إنا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء)^(١).

فليس هناك تنافي بين الغيبة والحجبة، وبين الغيبة والشهادة، حيث ذكر القرآن الكريم نماذج لأنبياء الله وأوليائه الذين هم حجج الله على عباده غابوا عن أنظار قومهم، ولم تمنعهم الغيبة عن القيام بمهامهم الإلهية، وهذه تعتبر أسرار إلهية لا ندرك كنهها، ولا نستطيع أن نتوصل إلى حقيقتها وعلتها، مثل نبي الله يوسف عليه السلام الذي غاب عن أهله وقومه، واختفى عن الأنظار وهو صغير السن. لكننا مارس مسؤوليته الإلهية في زمن غيبته، وكذلك على الرغم أن مجتمع مصر جهل شخصيته الحقيقية، فلم يعرف الناس أنه خليفة الله، إلا أنه كان يقوم بجميع الحركات الإصلاحية في المجتمع.

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٧٥

عن سدير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إنّ في القائم سنة من يوسف.

قلت كأنك تذكر خبره أو غيبته ؟

فقال لي: وما تنكر هذه الأمة أشباه الخنازير أن إخوة يوسف كانوا أسباطاً أو لاد أنبياء تاجروا بيوسف وباعوه وهم إخوته وهو أخوهم فلم يعرفوه حتى قال لهم: «أنا يوسف وهذا أخي» فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله عز وجل في وقت من الأوقات يريد أن يستر حجته عنهم، لقد كان يوسف يوماً ملك مصر، وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد الله تبارك وتعالى أن يعرفه مكانه لقدر على ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة في تسعة أيام إلى مصر، فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله عز وجل يفعل بحجته ما فعل بيوسف، أن يكون يسير فيما بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه حتى يأذن الله عز وجل له أن يعرفهم نفسه، كما أذن ليوسف عليه السلام حين قال لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾^(١).

وكذلك مثل نبي الله موسى عليه السلام حينما غاب عن قومه، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لَمَّا حَضَرَتِ يَوْسُفَ عليه السلام الوفاة جمع شيعته وأهل بيته، فحمد الله وأثنى عليه، ثم حدثهم بشدة تنالهم، يقتل فيها الرجال وتشق بطون الحبالى وتذبح الأطفال حتى يظهر الله الحق في القائم من ولد لاوي بن يعقوب، وهو رجل أسمر طويل، ونعته لهم بنعته،

(١) كمال الدين وتمام النعمة ص ١٤٥

فتمسكوا بذلك، ووقعت الغيبة والشدة على بني إسرائيل وهم منتظرون قيام القائم أربع مائة سنة حتى إذا بشرُوا بولادته ورأوا علامات ظهوره واشتدت عليهم البلوى، وحمل عليهم بالخشب والحجارة وطلب الفقيه الذي كانوا يستريحون إلى أحاديثه فاستتر، وراسلوه فقالوا: كنا مع الشدة نستريح إلى حديثك، فخرج بهم إلى بعض الصحاري وجلس يتحدثهم حديث القائم ونعته وقرب الأمر، وكانت ليلة قمراء، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم موسى عليه السلام وكان في ذلك الوقت حديث السن، وقد خرج من دار فرعون يظهر النزهة، فعدل عن موكبه وأقبل إليهم وتحتة بغلة وعليه طيلسان خنز، فلما رآه الفقيه عرفه بالنعته فقام إليه وانكب على قدميه فقبلهما ثم قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرانيك، فلما رأى الشيعة ذلك علموا أنه صاحبهم فأكبوا على الأرض شكراً لله عز وجل، فلم يزد هم على أن قال: أرجو أن يعجل الله فرجكم، ثم غاب بعد ذلك، وخرج إلى مدينة مدين فأقام عند شعيب ما أقام، فكانت الغيبة الثانية أشد عليهم من الأولى وكان نيفا وخمسين سنة.

واشتدت البلوى عليهم واستتر الفقيه فبعثوا إليه أنه لا صبر لنا على استتارك عنا، فخرج إلى بعض الصحاري واستدعاهم وطيب نفوسهم وأعلمهم أن الله عز وجل أوحى إليه أنه مفرج عنهم، فقالوا بأجمعهم: الحمد لله، فأوحى لله عز وجل إليه قل لهم: قد جعلتها ثلاثين سنة لقولهم «الحمد لله» فقالوا: كل نعمة فمن الله، فأوحى الله إليه قل لهم: قد جعلتها عشرين سنة، فقالوا: لا يأتي بالخير إلا الله، فأوحى الله إليه قل لهم: قد جعلتها عشراً، فقالوا: لا يصرف السوء إلا الله، فأوحى الله إليه قل لهم: لا تبرحوا فقد أذنت لكم في فرجكم، فبينما هم كذلك إذ طلع موسى عليه السلام راكباً حماراً، فأراد الفقيه أن

يعرف الشيعة ما يستبصرون به فيه، وجاء موسى حتى وقف عليهم فسلم عليهم فقال له الفقيه: ما اسمك؟ فقال: موسى، قال: ابن من؟ قال: ابن عمران. قال: ابن من؟ فالابن قاهت بن لاوي بن يعقوب، قال: بماذا جئت؟ قال: جئت بالرسالة من عند الله عز وجل، فقام إليه فقبل يده، ثم جلس بينهم فطيب نفوسهم وأمرهم أمره ثم فرقهم، فكان بين ذلك الوقت وبين فرجهم بغرق فرعون أربعين سنة^(١).

إن الرواية السابقة والتي تتحدث عن وصية نبي الله يوسف عليه السلام لشيعة وغيبة نبي الله موسى عليه السلام، تلفت أنظارنا وعقولنا إلى لفتات جميلة واضاءات وهاجة في غيبة ولي الله وخليفته القائم المنتظر وهي:

١- إثبات إمكانية غياب خليفة الله في الأرض عن شيعة وخاصته، وقد تكون لحجة الله غيبة أو غيبتان أو أكثر، وقد تطول هذه الغيبة مدة من الزمن ليست بالقليلة، وذلك حسب ما تقتضيه الإرادة الإلهية، والتي تهدف غالباً إلى حماية القائد الإلهي من طواغيت زمانه، وتهيئة الظروف المناسبة لخروجه وقيامه بحركات إصلاحية لنصرة الحق والمستضعفين.

٢- المعاناة والآلام التي تعتصر قلوب الشيعة الموالين لغيبة وليهم وإمام زمانهم، فغيبة موسى عليه السلام الأولى استمرت ما يقارب أربعمئة سنة، وخلال هذه المدة، ظل العشاق يتطلعون إلى ظهور معشوقهم ويترقبون طلعه المباركة ليخرجهم من مواطن المحن والبلوى إلى مواطن السعادة والاستقرار.

٣- تحدثنا الرواية أنّ العاشق لولي الله، الطالب لقربه، لا بد من أن يبحث عن معشوقه الغائب، ويتعرف على أوصافه ونعوته وعلامات ظهوره، لذلك

(١) كمال الدين ص ١٤٦

طلب شيعة موسى عليه السلام من الفقيه أن يحدثهم عن المعشوق ويخبرهم عن أمر غيبته وظهوره، فالحديث عن المعشوق وذكره تطيب له النفس وينتفش له القلب، فينسى مابه من لوعة الفراق وحرارة البعاد، لذلك قالوا شيعة موسى للفقيه: «كنا مع الشدة نستريح إلى حديثك».

٤- النكتة الجميلة في الرواية، هي أن أمر غيبة حجة الله موسى عليه السلام وأمر ظهوره، سببهما يعود إلى أعمال العباد، وليس رغبة ذاتية للولي في الغيبة والاختفاء، ولا أن الله يريد أن يحجب وليه عن شيعته وعن أهل زمانه أو يحرمهم من فيوضاته، بل هو أمر متوقف على فعل الإنسان نفسه تجاه إمام زمانه.

فالرواية تذكر أن كليم الله موسى عليه السلام غاب عن شيعته بسبب ما فعله حكام ذلك الزمان من مظاهر الجور والطغيان والظلم والاضطهاد، ولكن عندما تهيأت نفوس المؤمنين، وجسدوا معنى العبودية الحقيقية لله سبحانه وتعالى، وهي حالة الخضوع والاستسلام للأمر الإلهي، وصاروا مهئين نفسياً وروحياً لظهور القائم، حينها جاء الأمر الإلهي بتعجيل فرجهم بظهور إمام زمانهم، وهكذا الإمام المهدي روي له الفداء.

علل الغيبة:

إن الغيبة ليست تقصيراً من قبل الإمام نفسه في رعاية أمته، وليس تقصيراً من جانب المولى تبارك وتعالى في عدم إنزال الرحمة والعناية الإلهية على البشر بوجود الإمام بينهم، وإنما هناك عدة أسباب جعلت من الغيبة أمراً حتمياً لامناص عنه ومن هذه الأسباب:

١) حفظه من أيدي الطغاة من بني العباس:

إن سبب غيبته هو ما تميّز به أهل زمانه من الطغيان والظلم، فلقد أسرف العباسيون في تقديم أصناف الظلم والاضطهاد لأهل البيت عليهم السلام وأتباعهم من العلويين بالقتل والتشريد، ولم يراعوا فيهم حرمة قرابتهم وانتسابهم لرسول الله. ويصف لنا أبو فراس الحمداني في قصيدته معاناة أهل البيت عليهم السلام من ظلم بني العباس، حيث قال:

إني أبيت قليل النوم أرقني قلب تصارع فيه الهم والهمم
يا للرجال أما لله متصر من الطغاة أما للدين منتقم
بنو علي رعايا في ديارهم والأمر تملكه النسوان والخدم^(١)

وبسبب انتشار الروايات المتواترة الصادرة من النبي الأعظم محمد ﷺ وعن الأئمة عليهم السلام، وما تناقلته تلك الروايات عن شخصية الإمام المنتظر ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، والذي سوف يظهر في آخر الزمان ليملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وأنه سوف يبید عروش الظالمين ويزيل سلطانهم، بدأ الخوف يدب في قلوب حكام العباسيين، خوفهم من أن يأتي ذلك الإمام الموعود ويقضي عليهم وعلى ملكهم، عندها ركزوا قدراتهم وإمكانياتهم في مراقبة دار الإمام الحسن العسكري عليه السلام ووضعوه تحت الإقامة الجبرية، يترقبون ولادة الإمام المنتظر من أجل قتله والتخلص منه.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: لا بد للقائم من غيبة. فقليل له: ولم يا رسول الله؟ قال: يخاف القتل»^(٢).

(١) حياة الإمام المهدي ص ١٤٦

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٩٠

عن زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا زرارة لا بد للقائم من غيبة؟ قلت: ولم؟ قال: يخاف على نفسه - وأوماً بيده إلى بطنه»^(١).

ويرى كثير من العلماء من يرى أن العلة الأولية لغيبة الإمام المهدي روعي له الفداء، هي الخوف من القتل، كما قال الشيخ الطوسي: لا علة تمنع من ظهور المهدي إلا خوفه على نفسه من القتل؛ لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار^(٢).

فأراد الله عز وجل أن يحجب وليه وحجته من عيون الأعداء ويبقيه لنشر العدل والإحسان، فكانت الغيبة المهدوية.

٢) امتحان الناس وتمحيصهم:

إن من علل غيبة صاحب الزمان عليه السلام الامتحان الإلهي للناس وتمحيصهم حتى تتضح حقيقتهم الإيمانية، فيتضح المؤمن من المنافق، وما ذلك إلا لعظم الأهداف الربانية التي سوف تتجلى بظهور القائم عليه السلام، والتي تقتضي وجود أناس مؤمنين متقين ذو إيمان ثابت وعقيدة راسخة يسرون على نهج أهل البيت عليهم السلام لا تحركهم المصالح الدنيوية والأهواء الشيطانية، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣)، وهذه الفئة المؤمنة هي المعنية بنصرة الحق وإقامة دولة العدل الإلهي.

ورد في إكمال الدين: الشيباني، عن الأسدي، عن سهل، عن عبد العظيم الحسيني، عن أبي جعفر الثاني، عن آباءه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (للقائم

(١) كمال الدين ص ٤٨١

(٢) حياة الإمام المهدي ص ١٦٥

(٣) الأحقاف ١٢

مناً غيبة أمدها طويل، كأني بالشيعة يجولون جولان النعم في غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه لم يقس قلبه لطول أمد غيبة إمامه فهو معي في درجتي يوم القيامة^(١).

قال أبو الحسن عليه السلام: (أما والله لا يكون الذي تمدون إليه أعينكم حتى تميزوا وتمحصوا وحتى لا يبقى منكم إلا الأندر، ثم تلا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «وكذلك القائم فإنه تمتد أيام غيبته، فيصرح الحق من محضه، ويصفو الإيمان من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يحس عليهم النفاق إذا أحسوا بالاستخلاف والتمكين والأمن المنتشر في عهد القائم عليه السلام»^(٣).

روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أما والله ليغيبنَّ، إمامكم سنيماً من دهركم ولتمحصنَّ حتى يقال: مات أو هلك بأي واد سلك، ولتدمعن عليه عيون المؤمنين، ولتكفأن كما تكفأ السنن في أمواج البحر، ولا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه وكتب في قلبه الإيمان وأيده بروح منه»^(٤).

٣) حتى لا تكون في عنقه بيعة لظالم:

ان المتبع لتاريخ حكام بني أمية والعباس، وما فعلوه من جرائم بشعة ضد أئمة أهل البيت عليهم السلام، يتيقن الحكمة الإلهية من حفظ الإمام الموعود الذي

(١) كمال الدين ص ٢٠٣

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١١٣

(٣) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٢٢

(٤) كمال الدين ص ٢٤٧

سيملاً الأرض عدلاً وقسطاً، ومن الطبيعي أنه لو ظهر الإمام عليه السلام لتعرض للقتل كما حدث لأبائه الطاهرين؛ لأن هؤلاء الحكام تصل إليهم أخبار المهدي عليه السلام، وأنه من ولد علي وفاطمة، وبظهوره سوف يبید أهل الفسوق والعصيان ويحطم عروش الظلم والطغيان، فأصبحوا يتبعون آثاره ويستقصون أخباره لقتله والتخلص منه، ولكن الله تعالى سلّمه من كيدهم وحفظه من شرهم بغيبته.

إن للقائم غيبة قال يخاف القتل، ولقد بين الإمام المهدي عليه السلام هذا السبب في قوله: (انه لم يكن لأحد من آبائي عليهم السلام إلا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإنني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي) ^(١).
والإمام المهدي عليه السلام أيضاً في دعائه يسأل الله أن يحفظه من الأعداء:
(اللهم احجبني عن عيون أعدائي، واجمع بيني وبين أوليائي، وأنجز لي ما وعدتني، واحفظني إلى أن تأذن لي في ظهوري) ^(٢).
فكانت الغيبة وسيلة لحفظه من مبايعة الظالمين والحكام الجائرين.

٤) ذنوب العباد وأعمالهم القبيحة:

إن أعمال العباد السيئة وجرأتهم على اقتراف المعاصي والذنوب تسبب في بُعد أولياء الله وحجبهم عنهم، كما جاء في بعض الروايات عن أهل البيت عليهم السلام: (إذا غضب الله تبارك وتعالى على خلقه نحانا عن جوارهم) ^(٣).
وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (واعلموا أن الأرض لا تخلو من حجة الله،

(١) كمال الدين ص ٤٨٥

(٢) بحار الأنوار ج ٩١ ص ٢٧٨

(٣) الكافي ص ٢٤٢

ولكن الله سيعمي خلقه منها، بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم^(١).
فغياب الإمام الحجة عليه السلام وحرماننا من طلته البهية، يمثل أثراً لأفعال
الناس، وعقوبة إلهية على انحرافهم الأخلاقي والسلوكي.

٥) الغيبة سزمن الأسرار الإلهية

عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام
يقول: (أن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها يرتاب فيها كل مبطل.

فقلت له: ولم جعلت فذاك؟

قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم.

قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟

فقال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من
حجج الله تعالى ذكره، عن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره،
كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل
الغلام، وإقامة الجدار، لموسى عليه السلام إلا وقت افتراقهما.

يا بن الفضل، إنّ هذا الأمر أمر من أمر الله تعالى، وسرّ من سرّ الله، وغيب
من غيب الله، ومتى علمنا أنّه عزّ وجلّ حكيم، صدقنا بأن أفعاله كلّها حكمة،
وإن كان وجهها غير منكشف لنا^(٢).

ولعمري أن غيبة الإمام المهدي عليه السلام قد أخفاها الله على عباده لحكمة
إلهية يقصر ذهن الإنسان عن فهمها وإدراك كنهها، كخفاء ليلة القدر وغيبة

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١١٣

(٢) علل الشرائع ج ١ ص ٢٤٦

الأنبياء من قبله، وإن كنا نقف على بعض أسرارها من خلال ما نقل إلينا من الروايات الشريفة

٦) يجري فيه سنن الأنبياء :

ورد في حديث سدير عن الصادق عليه السلام: (إن للقائم منا غيبة يطول أمدها . فقلت له: ولم ذلك يا بن رسول الله؟

قال: لأن الله عز وجل أبقى إلا أن يجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيبتهم، وإنه لا بد له يا سدير من انتهاء مدة غيبتهم، قال الله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ أي سنن من كان قبلكم^(١).

٧) قلّة الأنصار:

روي أن الإمام الجواد عليه السلام قال: (فإذا اجتمعت له هذه العدة - يعني ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا - من أهل الإخلاص أظهر الله أمره)^(٢). وهذا يوحي لنا أنه إلى الآن لم يجتمع هذه العدة التي تنصر الإمام وتذب عنه، لذلك فهو يعيش وحيداً فريداً.

ما الفائدة من الغيبة؟

كثّر الحديث عن فائدة الغيبة للإمام المهدي عليه السلام، والبعض يسأل هل ينتفع الشيعة بالقائم عليه السلام في غيبته؟

فهناك فئة تقول: إن وجوده وعدمه سواء:

وفئة أخرى تقول: لا ضرورة لوجوده لعدم استفادتنا منه.

(١) علل الشرائع ج ١ ص ٢٤٥

(٢) كمال الدين ص ٣٧٨

لكن الأمر، إذا أردنا أن نصل إلى الحقيقة ونعرف ما إذا كانت هناك فائدة تكمن وراء غيبته أم لا، لا بد أن نتبع الروايات لأهل البيت عليهم السلام لتوضح لنا المراد. روي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (اللهم بلي ولا تخلو الأرض من حجة قائم لله بحجته، إما ظاهر معلوم، وإما خائف مغمور، لئلا تبطل حجج الله وبيناته، في تمام الكلام) ^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا يزال هذا الدين قائماً إلى اثني عشر أميراً من قريش، فإذا مضوا ساخت الأرض بأهلها) ^(٢).

فجميع الروايات السابقة وغيرها من الروايات التي يضيق المجال لذكرها، تشير إلى النفع الذي يتحقق من وجود الإمام عليه السلام حتى وإن كان غائباً عن الأنظار. فوجوده لطف وفيض من الفيوضات الإلهية.. كما قال المحقق الطوسي قدس سره «وجوده لطف وتصرفه لطف آخر».

١- وجود الإمام المهدي عليه السلام أمانٌ لأهل الأرض، والإمام المهدي هو باعث لنزول الخير والبركات، وقوة لدفع الآفات والبليات، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ ^(٣).

٢- الإمام المهدي عليه السلام بوجوده يحيط المؤمنين برعايته وعنايته. ويحميهم من كيد أعدائهم، كما ورد في توقيعه المبارك: (إنا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء) ^(٤).

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٥ ص ٤٤٢

(٢) بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٦٧

(٣) الأنفال ٣٣

(٤) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٧٥

سُئِلَ النبي ﷺ نفس هذا السؤال: هل ينتفع الشيعة بالقائم عليه السلام في غيبته؟
فقال عليه السلام: (إي والذي بعثني بالنبوة إنهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب) ^(١).

وسئل الإمام الصادق عليه السلام: كيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟
فقال: (كما ينتفعون بالشمس إذا سترها سحاب) ^(٢).

وهنا يتبادر إلينا سؤال آخر وهو: ما وجه الشبه بين الانتفاع بالإمام عليه السلام في غيبته والانتفاع بالشمس المجللة بالسحاب؟
الجواب: أن الشبه بين الإمام المهدي عليه السلام والشمس المجللة بالسحاب من عدة وجوه. منها:

١- أن الإمام المهدي عليه السلام يشبه الشمس في عموم النفع، فكما أن الشمس تمثل مصدر النور والحرارة والطاقة في هذا الوجود، كذلك الإمام المهدي عليه السلام هو مصدر لنور العلم والهداية وحلول البركة والخيرات والنفحات الإلهية لجميع البشرية، فهو العلة الغائية لإيجاد الخلق، وبيمينه رزق الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء.

٢- إن الشمس وإن كانت مجللة بالسحاب، فذلك لا يقتضي إنكار وجودها، فعدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود. كذلك غيبة الإمام المهدي عليه السلام لا تعني عدم الوجود، بالإضافة إلى وجود الآثار الدالة على وجوده المبارك.

٣- وكما أن جميع الوجود ينتظر انكشاف الشمس عن السحاب للازدياد

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٩٣

(٢) ينابيع المودة لذوي القربى ج ١ ص ٧٦

من الانتفاع بها، أيضاً ينتظر الشيعة المخلصون العاشقون خروج إمام زمانهم ويمهدون لظهوره المقدس.

٤- إن إشعاع الشمس يتخلل البيوت والمنازل حتى لوجود العوازل، وكلما زالت الموانع، زادت نسبة الانتفاع بها. كذلك الإمام عليه السلام ينتفع الخلق بنور هدايته على قدر رفعهم للحجب الروحية والعلائق النفسية.

٥- وكما أنّ استتار الشمس خلف السحاب، لا يعدّ أمراً فاسداً على وجه العموم، وإنما أحياناً تكمن مصلحة وراء استتارها، كذلك الإمام المهدي عليه السلام غيبته أصلح لشيئته في ذلك الزمان من ظهوره.

المعشوق الغائب:

قد يتبادر إلى بعض الأذهان هذا السؤال: هل يتنافى العشق مع الغيبة، أم أنّه أمر ممكن؟

الجواب:

من الأمور الممكنة أن يرتبط الإنسان روحياً ووجدانياً ونفسياً بأمر غيبي، والارتباط بأمر ما لا يحتاج بالضرورة إلى فرض وجوده أو غيبته، كارتباط المؤمن بيوم القيامة، فنجدّه يتفاعل بعمق مع هذا الموضوع، مع أنه غير موجود ولم يتحقق وقوعه. فالارتباط وتعمق الارتباط بيوم القيامة يأتي من خلال الوحي المنزل على النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، وكذلك ما يحكم به العقل من ضرورة وجوده.

كذلك غيبة الإمام المهدي عليه السلام وأمر الارتباط به في غيبته، فنحن عندما نرتبط به وجدانياً ليس هذا فقط من باب تعبدي لما جاء في المصادر

الشرعية من نصوص، وإنما أيضاً من باب ما يقتضيه العقل السليم، والقدر المتيقن من الأدلة العقلية والنقلية، هو لزوم محبة الإمام الغائب وعشقه وإتباعه والتهيؤ لظهوره المبارك، وهناك أسباب نقلية وعقلية ومنطقية وجوهرية سوف نذكرها لاحقاً في باب لماذا العشق المهدوي؟

فغيبة وليّ الله عن أنظار الناس، لا تتنافى مع الارتباط الوجداني والعاطفي معه، بل تزداد العلاقة العشقية الكائنة بين الموالي العاشق ومعشوقه الغائب في زمن غيبته، فالحجاب الذي ضرب على رؤية الإمام المهدي عليه السلام وحجبه عن أنظار الخلق، لا يعتبر حجاباً عن معرفته أو حجاباً عن الشعور بوجوده أو الارتباط به.

وأيضاً غيبة الإمام عليه السلام لا تعني انفصاله عن البشرية، بل هي غيبة اتصالية تواصلية، إذ أنه حاضر، وحضوره وعشقه يتجلى في قلوب العاشقين. «بنفسي أنت من مغيب لم يخلو منّا، بنفسي أنت من نازح مانزح عنّا». فهناك نماذج من الأنبياء والأولياء غابوا عن أعين مجتمعاتهم، لكنّما غيبتهم أصبحت عاملاً قوياً في زيادة الارتباط بهم، بل تصل تلك العلاقة الارتباطية أحياناً إلى علاقة فنائية انصهارية، بحيث أنّهم يتحسّسون وجوده، ويشعرون بحضوره، ويترقبون ظهوره ويأنسون بمناجاته ويتلذذون ببركاته.

ونذكر هنا قصة نبيّ الله موسى عليه السلام حينما غاب عن قومه: عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما حضرت يوسف عليه السلام الوفاة، جمع شيعته وأهل بيته، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ حدثهم بشدّة تنالهم، يقتل فيها الرجال، وتشق بطون الحبالى،

وتذبح الأطفال، حتى يظهر الله الحقّ في القائم من ولد لاوي بن يعقوب، وهو رجل أسمر طويل، ونعته لهم بنعته، فتمسكوا بذلك، ووقعت الغيبة والشدة على بني إسرائيل وهم منتظرون قيام القائم أربع مائة سنة، حتى إذا بشروا بولادته ورأوا علامات ظهوره واشتدت عليهم البلوى، وحمل عليهم بالخشب والحجارة، وطلب الفقيه الذي كانوا يستريحون إلى أحاديثه فاستتر، وراسلوه فقالوا: كنا مع الشدة نستريح إلى حديثك، فخرج بهم إلى بعض الصحاري وجلس يحدثهم حديث القائم ونعته وقرب الأمر، وكانت ليلة قمراء، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم موسى عليه السلام، وكان في ذلك الوقت حديث السن، وقد خرج من دار فرعون يظهر النزهة، فعدل عن موكبه وأقبل إليهم وتحتة بغلة وعليه طيلسان خز، فلما رآه الفقيه عرفه بالنعته، فقام إليه وانكب على قدميه فقبلهما ثم قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرايك، فلما رأى الشيعة ذلك علموا أنه صاحبهم، فأكبوا على الأرض شكراً لله عز وجل، فلم يزداهم على أن قال: أرجو أن يعجل الله فرجكم، ثم غاب بعد ذلك، وخرج إلى مدينة مدين فأقام عند شعيب ما أقام، فكانت الغيبة الثانية أشدّ عليهم من الأولى وكان نيفاً وخمسين سنة واشتدت البلوى عليهم واستتر الفقيه فبعثوا إليه أنه لا صبر لنا على استتارك عنا، فخرج إلى بعض الصحاري واستدعاهم وطيب نفوسهم وأعلمهم أن الله عز وجل أوحى إليه أنه مفرج عنهم، فقالوا بأجمعهم: الحمد لله، فأوحى لله عز وجل إليه قل لهم: قد جعلتها ثلاثين سنة لقولهم «الحمد لله» فقالوا: كل نعمة فمن الله، فأوحى الله إليه قل لهم: قد جعلتها عشرين سنة، فقالوا: لا يأتي بالخير إلا الله، فأوحى الله إليه قل لهم: قد جعلتها عشراً، فقالوا: لا يصرف السوء إلا الله، فأوحى الله إليه قل لهم: لا تبرحوا فقد

أذنت لكم في فرجكم، فبينما هم كذلك إذ طلع موسى عليه السلام راكباً حماراً، فأراد الفقيه أن يعرف الشيعة ما يستبصرون به فيه، وجاء موسى حتى وقف عليهم فسلم عليهم فقال له الفقيه: ما اسمك؟

فقال: موسى.

قال: ابن من؟

قال: ابن عمران.

قال: ابن من؟ فالابن قاهت بن لاوي بن يعقوب.

قال: بماذا جئت؟

قال: جئت بالرسالة من عند الله عز وجل، فقام إليه فقبل يده، ثم جلس بينهم فطيب نفوسهم وأمرهم أمره ثم فرقهم، فكان بين ذلك الوقت وبين فرجهم بغرق فرعون أربعين سنة^(١).

إن الرواية السابقة والتي تتحدث عن وصية نبي الله يوسف عليه السلام لشيعة وغيبة نبي الله موسى عليه السلام، تلفت أنظارنا وعقولنا إلى لفتات جميلة واضاءات وهآجة في غيبة ولي الله وخليفته القائم المنتظر وهي:

١- إثبات إمكانية غياب خليفة الله في الأرض عن شيعة وخاصته، وقد تكون لحجة الله غيبة أو غيبتان أو أكثر، وقد تطول هذه الغيبة مدة من الزمن ليست بالقليلة، وذلك حسب ما تقتضيه الإرادة الإلهية، والتي تهدف غالباً إلى حماية القائد الإلهي من طواغيت زمانه، وتهيئة الظروف المناسبة لخروجه وقيامه بحركات إصلاحية لنصرة الحق والمستضعفين.

(١) كمال الدين ص ١٤٦

٢- المعاناة والآلام التي تعتصر قلوب الشيعة الموالين لغيبة وليهم وإمام زمانهم، فغيبة موسى عليه السلام الأولى استمرت ما يقارب أربعمئة سنة، وخلال هذه المدة ظل العشاق يتطلعون إلى ظهور معشوقهم ويتربصون بطلعته المباركة ليخرجهم من مواطن المحن والبلوى إلى مواطن السعادة والاستقرار.

٣- تُحدِّثنا الرواية أن العاشق لولي الله، الطالب لقربه، لا بدَّ من أن يبحث عن معشوقه الغائب، ويتعرّف على أوصافه ونعوته وعلامات ظهوره، لذلك طلب شيعة موسى عليه السلام من الفقيه أن يحدثهم عن المعشوق ويخبرهم عن أمر غيبته وظهوره، فالحديث عن المعشوق وذكره تطيب له النفس وينتفش له القلب، فينسى مابه من لوعة الفراق وحرارة البعاد. لذلك قالوا شيعة موسى للفقيه: «كنا مع الشدة نستريح إلى حديثك»

٤- أن العشق لولي الله الغائب، يتطلب منه التوجّه إلى الله بالدعاء لفرج معشوقه، وكلّما توجّه العشاق إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء ساعد ذلك على تسريع ظهوره المبارك، لذلك أوحى الله إلى شيعة موسى: «لا تبرحوا فقد أذنت لكم في فرجكم، فبيننا هم كذلك إذ طلع موسى عليه السلام راكباً حماراً».

٥- النكته الجميلة في الرواية، هي أنّ أمر غيبة حجة الله موسى عليه السلام وأمر ظهوره، سببهما يعود إلى أعمال العباد. وليس رغبة ذاتية للولي في الغيبة والاختفاء، ولا أن الله يريد أن يحجب وليه عن شيعته وعن أهل زمانه أو يحرمهم من فيوضاته، بل هو أمر متوقّف على فعل الإنسان نفسه تجاه إمام زمانه.

فالرواية تذكر أن كلیم الله موسى عليه السلام غاب عن شيعته بسبب ما فعله حكام ذلك الزمان من مظاهر الجور والطغيان والظلم والاضطهاد، ولكن عندما تهيأت نفوس المؤمنين وجسّدوا معنى العبودية الحقيقية لله سبحانه وتعالى وهي حالة الخضوع والاستسلام للأمر الإلهي، وصاروا مهئين نفسياً وروحياً لظهور القائم، حينها جاء الأمر الإلهي بتعجيل فرجهم بظهور إمام زمانهم، وهكذا الإمام المهدي روعي له الفداء.

آثار العشق المهدوي في غيبة المعشوق:

إن من اتصلت روحه بروح الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، وتعلق فكره بقضيته المقدسة، وتحرك جسده نحو التمهيد لظهوره المبارك، سوف تأتيه جذبة خاصة من قبل الإمام عليه السلام.

فالإمام المهدي عليه السلام له نفوذ روعي وجذبة نورانية خاصة تؤثر في تلك النفوس العاشقة والقلوب المستعدة للهداية، وهي ما يطلق عليها بالرحمة الرحيمية الخاصة والتي يتمتع بها بعض البشر بحسب قربهم وعشقهم، وهذه النظرة هي نوع من التربية الروحية التي تنفذ إلى نفوس عشاقه الوالهيين، وهذه الجذبة سنعبّر عنها بـ «الجمال».

إن عشق ولي الله الأعظم حتماً سيؤدي إلى الجمال، فالجمالية المنبعثة من شخصية الإنسان الكامل، لا بد أن تنتقل إلى من عشق تلك الشخصية وارتبط بها روحياً ووجدانياً، وسوف يكون هذا الجمال شاملاً لجميع جوانب حياته، وهنياً لمن كان في دائرة عناية المعشوق وجمال المعشوق.

ولنا أن نلقي نظرة على صور الجمال التي تتجلى في حياة العاشق لإمام

زمانه، وتمثل آثاراً جمالية تنطلق منها رائحة زكية وأشعة نورانية، جمال في صورته وجمال في سريره وجمال في سيرته وجمال في مسيرته. وهذا الجمال يسمو بالعاشق إلى أسمى المراتب من التكامل لتصنع منه شخصية ممهدة للظهور المبارك، وشخصية تعلن عن جاهزيتها واستعدادها للالتحاق بالركب المهدوي:

(١) الجمال الروحي:

العلاقة العشقية بين الإمام بقية الله صاحب الجمال والجلال والقداسة وبين الموالي العاشق، هي بمثابة جمالية الصلاة والذكر في حياة المؤمن، صلاة وذكر بمعناها الفلسفي، (ذكرنا أهل البيت شفاء من العلل والأسقام ووسواس الريب)^(١). هذه الصلاة وهذا الذكر، ألا وهو «العشق المهدوي»، من خصائصه تطهير النفس والروح من العلل والأسقام النفسية والروحية، متى ما قام بها العاشق تجردت روحه من الأوساخ المادية وتعلقت بالمعنويات وازدانت بالصفاء والنقاء والسكينة والطمأنينة، لكن كيف ينشأ الجمال الروحي من خلال العشق المهدوي؟

إن عشق الإمام المهدي عليه السلام يولد لدى العاشق استعداداً روحياً للتكامل، وهذا الاستعداد يتولد أولاً من رغبته الذاتية في الوصول إلى رضى المعشوق، وثانياً، هناك حقيقة لا بد أن نلتفت إليها، لها أثر عميق في عملية التطهير الروحي، وهي إيمان الإنسان وإحساسه بأن الإمام عليه السلام يطلع على أعماله ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢) هنا سيحاول

(١) بحار الانوار ج ١٠ ص ١٠٤

(٢) التوبة: ١٠٥

أن يظهر أمام معشوقه بصورة حسنة، فيتحرك ويسعى ويجتهد بتنقية روحه من الذنوب، وتطهيرها بالاستغفار والتوبة والإخلاص والتقوى، إلى أن تصبح روحه كسماء صافية وقد انقشعت عنها سحائب الظلمانية، وأشرقت فيها شمس نورانية، فعشق جمال الإنسان الكامل هو عروج للروح إلى التكامل الموصل إلى ساحة القرب الإلهي.

٢) الجمال الأخلاقي:

إن العاشق الذي سادت روحه إشراقة جمالية من جمال المعشوق، يسعى دائماً لأن يكون من خلّص أصحابه ليكون قريباً من معشوقه، «من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق فهو منتظر»^(١).

وعلى هذا، سيجاهد ويناضل بكلّ عزم ليكتسب محاسن الأخلاق من خلال عملية التحلية والتخلية وعملية الترويض والتطويع للنفس، حتى تحتضن روحه ونفسه الضمير الواعي وتتلقى بالقيم الأخلاقية الجميلة.. فيشعر حينها بأنّ روحه أصبحت كحديقة غناء تحتوي على شجرة رائعة ثمارها الأخلاق الحسنة، حق وعدل وصدق وصبر وحلم وعفو ومروءة وإحسان وكرم ووفاء وتواضع، كلّ من رآها انبهر من جمالها وأضفت عليه رونقاً يزخر بعطر الجمال المنبعث من جمالية الأخلاق. والجميل أن كل من يتعاطى من ثمار هذه الشجرة لا بدّ أن تؤثر في روحه وأخلاقه، لذلك تحدّثت المصادر الشرعية - كالقرآن الكريم والروايات الشريفة - عن جمالية الأخلاق وحسنها: قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾^(٢).

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٣ ص ٤١٧

(٢) سورة المعارج ٥

﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(١).

﴿فَمَتَّعُوهُمْ وَسَرَّحُوهُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾^(٢).

﴿وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾^(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الخلق الحسن جمال في الدنيا ونزهة في الآخرة»^(٤).

وكما أن للأخلاق جمالية في الدنيا على حياة العاشق، كذلك في الآخرة، حيث أن هذه الشجرة الجميلة التي زرعتها الإنسان العاشق، سوف تتجسد في الآخرة، «حسن الخلق شجرة في الجنة وصاحبها متعلق بغصنها يجذبه إليها»^(٥).

وبما أن الله خلق المؤمن على أحسن صورة، فلا بد من أن يضيفي على الحسن حسناً وعلى الجمال جمالاً «إِنَّكَ أَمْرٌ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ خَلْقَكَ فَأَحْسِنْ خَلْقَكَ»^(٦)، فجمالية صورة الإنسان تزداد جمالاً من جمالية الأخلاق وحسنها والتي هي أثر جمالية العشق المهدوي.

٢) الجمال العملي والسلوكي:

إن عشق الإمام يعني أن العاشق يستشعر وجود الإمام في غيبته، ويستشعر حضوره، يستشعر أنه يعيش مع الإمام والإمام يعيش معه في كل لحظاته وسكناته، يشعر بلذة القرب من المعشوق ويستشعر بمعيته المباركة، فيسعى

(١) سورة الحجر ٨٥

(٢) سورة الأحزاب ٢٨

(٣) سورة المزمل ١٠

(٤) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٣٩٣

(٥) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٣٩٣

(٦) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٣٩٤

إلى أن يدخل السرور على قلبه الطاهر المقدّس، من خلال طاعة الإمام والانقياد له في تطبيق الشرع الإسلامي، وسيصاب بالخجل والحياء عندما يقصّر في عمل من شأنه أن يزيد من حالة القرب والرضى الإلهي، فضلاً عن تقصيره في الأعمال الواجبة أو فعل الأعمال المحرّمة أو المكروهة.

هذا الشعور الدائم لدى العاشق، يكون لديه حركة جمالية في حياته، فمن الخطأ أن يهتم الإنسان بجمال مظهره وحسن صورته الظاهرية، بينما هو في سلوكه وتعامله قبيح، فهذا ليس بعاشق لإمام زمانه.

العاشق الحقيقي هو من كان جمال سلوكه يحكي عن تعلقه، ويرتل آيات عشقه، ويحاكي سلوكه وخلق معشوقه.

العاشق الحقيقي هو من يتقن عمله ويهتم بشؤون أسرته ويربي أطفاله تربية إسلامية صحيحة، ويراعي حقوق الآخرين ويتعامل معهم بمعالي الأخلاق، ويسعى لإصلاح ما فسد في المجتمع، ويدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، منطلقه جميل وفعله جميل وسلوكه جميل.

والنتيجة، سوف يمثل العاشق للمهدي في أسرته ومجتمعه نموذجاً إيمانياً ناصعاً، عاكساً للأخلاق التي يريدتها الإمام المعشوق أن تكون في مسيرة المشروع الإلهي.

٤) الجمال الفكري

إن جمال المعشوق الذي يشرق في قلب العاشق يعمل على إشراق فكره وسلامته؛ لأنّ مبدأ الفكر ومصدره هو الفؤاد، فكلمة تعلق قلب الموالى بحجة الله، كلما حلق فكره وارتقى؛ لأنّ العاشق يسعى دائماً إلى العلم والمعرفة، فالمعرفة هي فرع المحبة والعشق، ومتى تزوّد الإنسان بالعلم تنور فكره، وإن

عمل بالعلم تنوّرت بصيرته.. عندها سيتمكن من التمييز بين الحق والباطل،
وتصبح رؤيته للأمور رؤية سليمة، إلى أن يدرك حقائق الأمور ويرى الأشياء
كما هي، وهذا فيض الهي ينبعث من العشق المهدوي.

٥) جمال العاقبة:

إنّ اللحظات الأخيرة من حياة الإنسان، والتي تنقله إلى العالم الأبدى،
هي من أصعب اللحظات على روحه، لحظة توديع الدنيا ولحظة أن يكون
مرهوناً بعمله، لينتقل إلى عالم لا عمل فيه بل حساب، في هذه اللحظات
المخيفة والصعبة تتجلى فيها قيمة العشق المهدوي، وعشق آباءه الظاهرين.

جاء في تفسير الإمام العسكري عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال
المؤمن خائفاً من سوء العاقبة، لا يتيقن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون
وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له، وذلك أنّ ملك الموت يرد على المؤمن
وهو في شدة علة، وعظيم ضيق صدره، بما يخلف من أمواله، ولما هو عليه من
اضطراب أحواله في معامليه وعياله، وقد بقيت في نفسه مرارتها وحسراتها،
واقطع دون أمانيه فلم ينلها، فيقول له ملك الموت: مالك تجرع غصصك؟

قال: لإضطراب أحوالي واقتطاعك لي دون آمالي.

فيقول له ملك الموت: وهل يحزن عاقل من فقد درهم زائف واعتياض
ألف ألف ضعف الدنيا؟
فيقول: لا.

فيقول ملك الموت: فانظر فوقك، فينظر فيرى درجات الجنة وقصورها
التي يقصر دونها الأمانى، فيقول ملك الموت: تلك منازلك ونعمك وأموالك

وأهلك وعيالك، ومن كان من أهلك ههنا وذريتك صالحاً فهم هناك معك،
أفترضى به بدلاً ممّا هناك؟

فيقول: بلى والله.

ثمّ يقول: انظر، فينظر فيرى محمداً وعلياً والطيبين من آلهمما في أعلى
عليين، فيقول: أو تراهم؟ هؤلاء ساداتك وأئمتك، هم هناك جلاّسك وآناسك،
أفما ترضى بهم بدلاً ممن تفارق ههنا؟

فيقول: بلى وربّي، فذلك ما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ
اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ ﴿١﴾ فما أمامكم من الأهوال
كفيتها، ولا تحزنوا على ما تخلفونه من الذراريّ والعيال، فهذا الذي
شاهدتموه في الجنان بدلاً منهم، وابتشروا بالجنة التي كنتم توعدون، هذه
منازلكم وهؤلاء ساداتكم آناسكم وجلاّسكم»^(١).

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم: والذي نفسي بيده لا تفارق روح جسد صاحبها حتى يأكل من ثمر
الجنة أو من شجر الزقوم، وحتى يرى ملك الموت ويراني ويرى علياً وفاطمة
والحسن والحسين، فإن كان يحبنا قلت: يا ملك الموت ارفق به فإنه كان
يحبني وأهل بيتي.. وان كان يبغضني ويبغض أهل بيتي قلت: يا ملك الموت
شدّد عليه فإنه كان يبغضني ويبغض أهل بيتي، لا يحبني إلا أهل مؤمن
ولا يبغضنا إلا منافق شقي»^(٢).

(١) بحار الأنوار ج ٦ ص ١٧٦

(٢) إحقاق الحق ج ٩ ص ٤٥٩

A decorative rectangular border with intricate floral and scrollwork patterns, framing the central text. The border is composed of a thin line with small floral motifs, and larger, more detailed floral designs at the corners and midpoints of the top and bottom edges.

الباب الثالث

العاشق

الفصل الأول

لماذا العشق المهدوي؟

قد يسأل سائل: لماذا نهتم بالحديث عن حب المهدي عليه السلام وعشقه؟
نجيب على هذا التساؤل: ليس المهم أن نَعشَق ونحب، ولكن المهم هو
مَن نعشق؟ ومن نحب؟ وما هي آثار ونتيجة هذا العشق؟
إن قضية عشق الإمام المهدي عليه السلام قضية ضرورية ومن المسلمات في
العقيدة الإسلامية، لما يمثله العشق المهدوي من معارف وتعاليم دينية
ودروس أخلاقية وروحية وتربوية، فهو طريق للهدى والصلاح ومنبع للخير
والفلاح، لذلك يمثل منهجاً للعرفاء، الذين يعلمون من يعشقون ولماذا
يعشقونه؟ ويعرفون أي مستقبل مشرق ينتظر هذا العشق وهذا المعشوق، فما
قيمة الدنيا وما قيمة النفس والهوى أمام عشق المهدي عليه السلام.

١) عشق المهدي عليه السلام طريق إلى الله:

إن جميع الموجودات متوجهة غريزيا إلى الحق سبحانه وتعالى، وعاشقة
للوصول إليه ونيل بركاته، فهو المعشوق الحقيقي والأولي، لأنه الخير المطلق
والجمال الأكمل، فحينما تريد أن تصعد إليه تتخذ لها معشوقا قريبا للتوسل
بعشقه إلى ذلك المعشوق الحقيقي.

فإذا أراد العبد القرب الإلهي والوصول إلى الرضا والرحمة الربانية، عليه

أن يسلك طريق العارفين والسالكين، وهو طريق أهل البيت عليهم السلام، إنهم الطريق الأمثل للوصول إلى الله والمسلك الأوحى لنيل رضا الله، وذلك لعدة أمور منها: (أ) أهل البيت عليهم السلام ومن بينهم الإمام المهدي عليه السلام، في طليعة العرفاء والأدلاء على الله، والعارف هو «الواصل إلى الله سبحانه بنفسه لا ببدنه، والباري سبحانه متمثل في نفسه تمثل المعشوق في ذات العاشق»^(١).

قال الإمام الصادق: (العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله تعالى، ولو سها قلبه عن الله تعالى طرفة عين لمات شوقاً إليه، والعارف أمين ودائع الله تعالى، وكنز أسرارهِ، ومعدن نورهِ، ودليل رحمته على خلقهِ، ومطية علومهِ، وميزان فضله وعدله، وقد غني عن الخلق والمراد والدنيا، فلا مؤنس له سوى الله)^(٢).

فلم يعرف الله حق معرفته إلا أهل البيت عليهم السلام، لذلك معرفتهم نور يرشدنا إلى معرفة الحق سبحانه وتعالى. كما ورد في الزيارة الجامعة: (من عرفهم فقد عرف الله ومن جهلهم فقد جهل الله).

وروي أن أبا جعفر عليه السلام قال: (بنا عُبِد الله، وبنا عرف الله، وبنا وحد الله ومحمد صلى الله عليه وآله حجاب الله)^(٣).

وقال الإمام الباقر: (نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبب معرفتنا)^(٤).

فعندما عرفوا الله تجسدت فيهم أسماء الله الحسنى وتمثلت فيهم مظاهر صفاته العليا، كما ورد عنهم: «نحن الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد

(١) شرح نهج البلاغة - ج ٦ ص ٢٦٥

(٢) بحار الأنوار ج ٢ ص ١٤

(٣) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٠٢

(٤) ميزان الحكمة ج ١ ص ٤٢٧

عملاً إلا بمعرفتنا»^(١).

فمن أراد أن يتعرف على صفات الله الجمالية والجلالية ونعوته الثبوتية والسلبية عليه أن يقف على صفاتهم ويتدبر جمال شخصياتهم ليعرف الله. فصفات العلم والقدرة والرحمة والكرم وغيرها، فإن أهل البيت منبعها وأساسها، كما قال عنهم الإمام الهادي عليه السلام في زيارته: (كلامكم نور، وأمركم رُشد، ووصيتكم التقوى، وفعلكم الخير، وعاداتكم الإحسان، وسجيتكم الكرم، وشأنكم الحق والصدق والرِّفق، وقولكم حُكمٌ وحُتمٌ، ورأيكم علمٌ وحلمٌ وحزم).

والإمام المهدي عليه السلام فرع من تلك الشجرة المحمدية والدوحة العلوية، ومن بيت النبوة والإمامة، ذلك البيت الذي امتدحه القرآن الكريم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢).

إنه المرآة التي تعكس لنا المعرفة الإلهية الحقيقية المتمثلة في صفاته العليا وأسمائه الحسنی، لما يتصف به من صفات، وبما يتحلّى به من مكرّمات أخلاقية وروحية ونفسية. فالإمام المهدي عليه السلام هو القائد الإلهي الذي يمثّل خليفة الله في أرضه ويجسّد في وجوده صفات وأخلاق المستخلف، وقد تحدّثنا سابقاً عن أخلاقيات الإمام الحجة عليه السلام وصفاته.

ب) ولكمال معرفتهم لله كملت عبادتهم؛ لأن كمال العبادة حاصلة من كمال المعرفة، والعبادة فرع من المعرفة، كما ورد عن أبي جعفر عليه السلام: (إنما يعبد الله من يعرف الله)^(٣).

(١) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٥

(٢) الأحزاب ٣٣

(٣) الكافي ج ١ ص ١٨٠

وروي أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: (ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله) ^(١).

ج) الإمام المهدي هو الإنسان الكامل الذي له دور الإخراج والدفع من مرتبة التناقص إلى مرتبة الصعود والاكتمال، ومن خلال حبه وعشقه يعرج العبد العاشق روحياً وفكرياً وأخلاقياً إلى الله. إن العشق المهدوي يمثل علاجاً شافياً للعاشق لتيسير سبل الوصول إلى الله وإعطاء الحرارة والحيوية واللذة لجميع أنواع العبادة والتعبد. ولا يخفى علينا أن العشق والحب من الأمور التي تدفع الإنسان العاشق على العمل والحركة، فعاشق المهدي عليه السلام لا بد وأن يسعى دائماً لتطهير نفسه من الذنوب، والارتقاء بروحه إلى الكمالات، من خلال جهاد النفس والتحلي بالتقوى وعمل الخيرات وفعل الإيجابيات والالتزام بالأخلاق والآداب الإسلامية، طمعاً في رضا المعشوق.

فالعاشق المحقق في عشقه لا يمكن أن يسبب الأذى لمعشوقه من خلال ارتكاب ذنب أو عمل معصية، وخاصة أن المهدي يراقب تصرفاتنا وأعمالنا، فكل عمل فيه رضا المهدي بلا ريب هو طريق إلى الله.

«وَهَبْ لَنَا رَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَدَعَاءَهُ وَخَيْرَهُ مَا نَنَالُ بِهِ سَعَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَفَوْزاً عِنْدَكَ، وَاجْعَلْ صَلَاتَنَا بِهِ مَقْبُولَةً، وَذُنُوبَنَا بِهِ مَغْفُورَةً، وَدَعَاءَنَا بِهِ مُسْتَجَاباً، وَاجْعَلْ أَرْزَاقَنَا بِهِ مَبْسُوطَةً، وَهُمُومَنَا بِهِ مَكْفِيَةً، وَحَوَائِجَنَا بِهِ مَقْضِيَةً، وَأَقْبِلْ إِلَيْنَا بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَأَقْبِلْ تَقَرُّبَنَا إِلَيْكَ، وَانظُرْ إِلَيْنَا نَظْرَةَ رَحِيمَةٍ نَسْتَكْمِلُ بِهَا الْكِرَامَةَ عِنْدَكَ، ثُمَّ لَا تَصْرِفْهَا عَنَّا بِجُودِكَ، وَاسْقِنَا مِنْ حَوْضِ جَدِّهِ عليه السلام بِكَأْسِهِ وَبِيَدِهِ، رِيّاً رَوِيّاً هَنِيئاً

(١) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٦

سائغاً لا ظمأ بعده يا أرحم الراحمين»^(١).

(د) أهل البيت طريق إلى الله لأنهم علموا العباد طرق العبادة وطرق الطاعة، وأرشدوهم بأن طاعة الله سبحانه وتعالى لا بد أن تكون من خلال تطبيق أوامره ونواهيه وإتباع تعاليمه. ومن الأوامر الربانية التي ينبغي تطبيقها وجوب حب أهل بيت النبوة ﷺ، ومن بينهم القائم ﷺ ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٢).

فحبنا للإمام المهدي ﷺ وعشقنا له يعتبر تطبيقاً لأوامر المولى تبارك وتعالى، فهو واجب اعتقادي وضرورة من ضروريات ديننا الحنيف. وفي المقابل، إنكار حبه أو بغضه وعداوته يعتبر خروجاً من الملة الإسلامية، فحري بالمؤمن أن يطيع الله في ما أمره به وينتهي عما نهاه عنه.

(هـ) كذلك يعتبر التوسل بالإمام ﷺ من عوامل القبول والاستجابة الإلهية ومن موجبات المغفرة والرحمة الربانية، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾^(٣).

فإذا ما أراد العبد في هذا الزمان أن يتقرب إلى مولاه ويعرج بروحه إلى مقامات القرب الإلهي، فعليه أن يقترب إلى أقرب العباد إلى الله، وهو الإمام المهدي روي له الفداء، فهو باب الله الذي إليه يتوجه الأولياء، وهو السبب المتصل بين الأرض والسماء، ويتمسك بزمامه ويرتبط به أشد الارتباط، وهذا لن يكون إلا عن طريق حبه وعشقه، ولا بد أن الإمام المهدي ﷺ لن يخيب أمل راجيه ومحبيه.

(١) بحار الأنوار ج ٩٩ ص ١٠٩

(٢) الشورى ٢٣

(٣) الإسراء ٥٧

والخلاصة: أن العشق المهدوي يتولد من معرفة ويولد المعرفة، يتولد من معرفة الإمام المهدي عليه السلام ويوصل إلى معرفة الله عز وجل، ومن لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، والجاهلية طريق مظلم يبعدنا عن طريق الحق سبحانه وتعالى: «اللهم عرفني حجتك فانك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني»^(١).

(٢) المهدي حب الله:

إن من يحب شخصاً، لابد أن يحب محبوب ذلك الشخص، والمهدي عليه السلام هو محبوب الله، فلقد صرح المولى عز وجل عن حبه وعشقه للمهدي المنتظر، وأشار سبحانه وتعالى إلى علو مكانة المهدي في كثير من المواقف والمقامات، ومنها حديث ليلة الإسراء، حيث قال الله عز وجل لنبيه العظيم محمد صلى الله عليه وآله وسلم: (هؤلاء الأئمة، وهذا القائم يحلّ حلالي ويحرّم حرامي وينتقم من أعدائي، يا محمد أحبّه، فإني أحبه وأحب من يحبه)^(٢).

وكذلك في حديث المعراج: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لما عرج بي إلى السماء السابعة ومنها إلى سدرة المنتهى، ومن السدرة إلي حجب النور، ناداني ربّي جل جلاله: يا محمد أنت عبدي وأنا ربك، فلي فاضع وإياي فاعبد، وعليّ فتوكل، وبي فتق، قد رضيت بك عبداً وحبیباً ورسولاً ونبيّاً، وبأخيك علي خليفة وباباً، فهو حجتني على عبادي، وإمام لخلقّي، به يعرف أوليائي من أعدائي، وبه يميز حزب الشيطان من حزبي، وبه يقام ديني وتحفظ حدودي وتنفذ أحكامي، وبك وبه وبالأئمة من ولده أرحم عبادي وإمائي، وبالقائم

(١) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٨٧

(٢) بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٢٣

منكم أعرى أرضي بتسيحي وتقديسي وتهليلي وتكبري وتمجيدي، وبه أظهر الأرض من أعدائي وأورثها أوليائي، وبه أجعل كلمة الذين كفروا بي السفلى، وكلمتي العليا، وبه أحيي عبادي وبلادي بعلمي، وبه أظهر الكنوز والذخائر بمشيئتي، وإياه أظهر على الأسرار والضمائر بإرادتي، وأمدّه بملائكتي لتؤيده علي إنفاذ أمري، وإعلان ديني، ذلك وليي حقاً ومهدي عبادي صدقاً^(١).

فَعَشَقْنَا لِلْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَابِعٌ مِنْ عَشَقِ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ، وَحَبْنَا لِلْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَابِعٌ لِحُبِّ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ لَهُ، وَمَقَامَهُ السَّامِي فِي قُلُوبِنَا تَبْلُورٌ مِنْ شَرَفِ مَقَامِهِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وكذلك، عشق الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ من أفضل أنواع المحبة والعشق؛ لأنها في الله والله، ولأنها تستلزم محبة الله وكسب رضاه. «فإني أحبه وأحب من يحبه». وجاء في زيارة الجامعة (من أحبكم فقد أحب الله).

وكذلك محبة.

النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تستلزم محبة المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث أن المهدي من ذرية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولقد أمر بحب ذريته عندما قال: (لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وتكون عترتي أعز إليه من عترته)^(٢) وفي رواية أخرى قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من أحب أن يلقي الله وقد كمل إيمانه، وحسن إسلامه فليتول الحجة صاحب الزمان المنتظر، فهؤلاء مصابيح الدجى وأئمة الهدى وأعلام التقى، من أحبهم وتولاهم كنت ضامناً له على الله تعالى الجنة)^(٣).

(١) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٢٨

(٢) علل الشرائع ج ١ ص ١٤٠

(٣) بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٩٦

٣) المهدي ببقية الله:

قال تعالى ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾^(١).
 جاء في بحار الأنوار: أن المراد ببقية الله من إبقاء في الأرض من الأنبياء
 والأوصياء عليهم السلام لهداية الخلق أو الأوصياء والأئمة الذين هم بقايا الأنبياء في
 أممهم^(٢).

ويفسر الشيخ آية الله مكارم الشيرازي معنى «بقية الله»: هو كل موجود
 نافع باق من قبل الله للبشرية، ويكون أساس سعادتها وخيرها^(٣).

ومن هنا، فإن الإمام المهدي عليه السلام هو بقية الله في الأرض، لأنه سليل
 النبوة وامتداد الرسالة وورث الإمامة وبقية العترة والصفوة، لذلك يلقب ببقية
 الله، كما جاء في الخبر: عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سأله رجل عن القائم عليه السلام
 يسلم عليه بإمرة المؤمنين؟ قال: (لا، ذلك سمي الله به أمير المؤمنين لم يسمى
 به أحد قبله، ولا يتسمى به بعده إلا كافر).

قلت: جعلت فداك كيف يسلم عليه؟

قال: يقولون: السلام عليك يا بقية الله، ثم قرأ الآية^(٤).

فإن مجرد وجوده سلام الله عليه يعتبر لطف من الله تعالى، حيث يمثل
 وجوده المقدس رحمة وبركة إلهية تحل على سائر الموجودات، تمنحهم
 السعادة والاستقرار على وجه البسيطة. فيمنه رزق الوري، وبوجوده ثبتت

(١) هود ٨٦

(٢) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٢١١

(٣) الأمل ج ٧ ص ٣٦

(٤) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٢١٢

الأرض والسماء. روي أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: (ونحن أمان الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وبنا تنشر الرحمة وتخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منا لساخت بأهلها) ^(١).

وفائدة الإمام للبشرية باقية ومستمرة حتى بعد غيبته، فهو كالشمس التي يحجبها السحاب، فهي تظل ضرورية لديمومة بقاء الكائنات حتى وان سترها السحاب.

قال العلامة الطبطبائي: (إنّ وظيفة الإمام ومسؤوليته لم تنحصر في بيان المعارف الإلهية بشكلها الصوري، ولم يقتصر على إرشاد الناس من الناحية الظاهرية، فالإمام فضلاً عن تولّيه إرشاد الناس الظاهري، يتصف بالولاية والإرشاد الباطني للأعمال أيضاً، وهو الذي ينظم الحياة المعنوية للناس، ويتقدم بحقائق الأعمال إلى الله جل شأنه . وبديهي أنّ حضور أو غيبة الإمام الجسماني في هذا المضمار ليس له أي تأثير، والإمام عن طريق الباطن يتصل بالنفوس ويشرف عليها، وإن بعد عن الأنظار وخفي عن الأبصار فإنّ وجوده لازم دائماً وإن تأخر وقت ظهوره وإصلاحه للعالم) ^(٢).

والنفس الإنسانية دائماً تميل نحو مصدر الخيرات ومنبع العطاءات، والى من يحقق لها السعادة والازدهار. لذلك من الطبيعي أن تعشق بقية الله وتتغنى بحبه وتراقص طرباً بذكر اسمه، وتشتاق إلى رؤيته وتبحث عنه إذا غاب عنها وتناجيه بقولها: «أين بقية الله التي لا تخلو من العترة الهادية».

(١) بداية المعارف الإلهية ج ٢ ص ٦٨

(٢) النور ٥٥

٤) المهدي وعد الله:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

الآية السابقة فيها إشارة واضحة إلى أن المولى صاحب الزمان عليه السلام هو الإمام الموعود، الذي سوف يظهر في آخر الزمان في دولة إلهية وبحكومة العدل والحق، ليقوم في العالم بثورة إصلاحية تفيض على البشرية بالخير والصلاح والأمن والسلام وعبادة خالصة لله الواحد الديان.

كما قال عليه السلام: (لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي، اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً)^(٢).

وبما أن المهدي عليه السلام هو الوعد الإلهي الذي سيحقق العبودية الكاملة والخالصة لله تعالى في آخر الزمان، فينبغي للعبد أن يرتبط أكثر بهذا المعشوق. وكلّما زادت حالة العشق والولع بالإمام، زادت الرغبة في العمل الجاد، وزادت حالة الشوق إلى الارتقاء بالروح في مدارج الكمال الإنساني، فيصبح العبد مستعداً لاستقبال الأمل الموعود، ويكون جندياً مؤهلاً للالتحاق بالجيش المهدوي لنصرة الحق والحقيقة.

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٥ ص ٢٨١

(٢) الروم ٣٠

٥) العشق المهدوي فطرة الله:

لقد أودع الله تبارك وتعالى في الإنسان عشق الكمال والميل إلى الجمال، ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(١).

فجميع البشر بفطرتهم الأولية يعشقون الله؛ لأنه المصداق الحقيقي للكمال والجمال، وكذلك بفطرتهم الأولية يعشقون أهل البيت عليهم السلام؛ لأنهم مظهر حقيقي للكمال والجمال. وبما أن الإمام المهدي عليه السلام من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فإن عشقه عليه السلام هو عشق لذاته المقدسة وعشق لروحه الطاهرة والخالية من كافة الشوائب والذنوب..

ولعمري، أن شخصية الإمام المهدي عليه السلام هي الشخصية النورانية التي تبدد ظلمات الأرض بنورها الوهاج، وتنشر العدل والإحسان والأمن والأمان، وتخلص البشرية من جميع آلامها ومعاناتها كالاختناق الاجتماعي والاضطراب السياسي والتدهور الأخلاقي، فالإنسان أياً كان فكره واتجاهه، يهفو إلي عشق المهدي عليه السلام ويذوب في حبه.

كما قال الشاعر المسيحي بولس سلامة في عشقه للإمام علي عليه السلام:
 جلجل الحب في المسيح حتى عد من فرط حبه علويا
 أنا من يعشق البطولة والإلهام والعدل والأخلاق الرضيا
 فإذا لم يكن علي نبياً فلقد كان خلقه نبويا

٦) العشق المهدوي صنع الله:

وفي الكافي: عن سليمان ابن جعفر الجعفري قال: دخلت على أبي

(١) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ١٠٢

الحسن الرضا عليه السلام وبين يديه تمر برني، وهو مجدّ في أكله يأكله بشهوة، فقال لي: يا سليمان ادن فكل.

قال: فدنوت منه فأكلت معه وأنا أقول له: جعلت فداك إنني أراك تأكل هذا التمر بشهوة؟

فقال: نعم إنني لأحبه.

قال: قلت: ولم ذاك؟

قال: لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان تمرياً، وكان علي عليه السلام تمرياً، وكان الحسن عليه السلام تمرياً، وكان أبو عبد الله الحسين عليه السلام، وكان زين العابدين عليه السلام، وكان أبو جعفر عليه السلام، وكان أبو عبد الله عليه السلام، وكان أبي عليه السلام، وأنا تمرى وشيعتنا يحبون التمر لأنهم خلقوا من طينتنا،^(١).

قال أبو عبد الله عليه السلام (أنّ الله عز وجل خلقنا من عليين، وخلق أرواحنا من فوق ذلك، وخلق أرواح شيعتنا من عليين، وخلق أجسادهم من دون ذلك، فمن أجل ذلك كانت القرابة بيننا وبينهم، ومن ثمّ تحنّ قلوبهم إلينا)^(٢).

عن ابن أبي نجران قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: (من عادى شيعتنا فقد عادانا، ومن والاهم فقد والانا؛ لأنهم منا، خلقوا من طينتنا، من أحبهم فهو منا، ومن أبغضهم فليس منا، شيعتنا ينظرون بنور الله ويتقلبون في رحمة الله ويفوزون بكرامة الله)^(٣).

إن من الآيات العظيمة في الكون والتي تدلّ على حكمة الله سبحانه

(١) علل الشرائع ج ١ ص ١١٧

(٢) بحار الأنوار ج ٦٥ ص ١٦٧

(٣) النمل ٨٨

وتعالى، هي كيفية خلق أهل البيت عليهم السلام وطبيعتها، وامتزاج طبيعتهم بطينة الشيعة الموالين، فهذا ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١).

وربما تكون الحكمة الإلهية من هذا الصنع تكمن في تأصيل معاني الولاء، وتعميق أواصر المحبة بين الموالين وأهل البيت عليهم السلام؛ لإيجاد أفراد يرتبطون بأولياء الله وأحبابه ويلتفون حولهم وينصرونهم لتحقيق هدف العبودية لله في الأرض، وحركة المهدي عليه السلام خاصة، تتطلب عشاقاً يلتفون حوله ويمهدون الطريق لثورته المباركة ويبدلون فيه مهجهم، ويوطنون في لقاء الله أنفسهم حتى يكتب الله له النصر المبين، فان كان الموالي قد عجنت طبيئته بطينة الإمام الحجة ابن الحسن عليه السلام، فمن الطبيعي لقلبه أن ينجذب نحوه، وليس من المستغرب أن يتعلق به ويحن له ويشتاق إليه كحب الولد لوالده وتعلقه به.

٧) العشق المهدوي وفاء بعهد الله:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾^(٢).

لقد جاءت جملة من الآيات القرآنية بوجوب الوفاء بعهد الله، ومدحت الموفين لعهد الله وذمت الناقضين له، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٤).

(١) الرعد ٢٠

(٢) النحل ٩٥

(٣) آل عمران ٧٦

(٤) الإسراء ٣٤

وقد جاء في كتب التفاسير والأحاديث عدة معاني لعهد الله، ومنها أن عهد الله هو ولاية أهل البيت عليهم السلام، عن عيسى بن داود النجار، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عن أبيه في قول الله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾^(١)، قال: (العهد ما أخذه النبي على الناس في مودتنا وطاعة أمير المؤمنين)^(٢).

وقد ورد عنهم سلام الله عليهم هذا المضمون: (ونحن عهد الله، فمن وفى بدمتنا فقد وفى بدمة الله، ومن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله، ومن خفرهما فقد خفر دمة الله وعهده)^(٣).

ومن هنا نستدل أن العهد لله يتحصل من عدة طرق، ومنها المودة القلبية لأهل البيت ومنهم مهديهم.

إذاً لماذا لا نعشق المهدي عليه السلام وقد عجت طينتنا من طينته .

و لماذا لا نعشق المهدي عليه السلام وقد هدانا الله وأرشدنا إلى حبه والتعلق بكماله والتطلع إلى بهاءه وسناؤه .

ولماذا لا نعشق المهدي وهو الطريق الأمثل للحب المقدس والوسيلة النورانية الطاهرة التي تعرج بأرواحنا إلى العشق الأكبر والأعظم، وهو عشق المولى تبارك وتعالى.

ولماذا لا نعشق المهدي عليه السلام وهو يحمل الجمال المحمدي والخلق العلوي والظهر الفاطمي، صاحب آيات الجمال والكمال.

(١) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ١٨٨

(٢) بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٢٤٥

(٣) عصر الظهور ص ٣٤٢

ولماذا لا نعشق المهدي وهو وعد السماء ونداء الأنبياء وأمل الأوصياء والأولياء وصرخة الضعفاء.

لماذا لا نعشقه ولماذا لا نرتبط به وهو من ينتظر العالم بأسره ظهور طلعه البهية؛ ليملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

لماذا لا نعشقه وهو طبيب أرواحنا ومربي نفوسنا ومصلح لأحوالنا وبلسم جراحنا وطريق هدايتنا.

إن عشق المهدي عليه السلام، هو طريق للهدى والصلاح ومنبع للخير والفلاح، وهو منهج العرفاء الذين يعلمون من يعشقون ولماذا يعشقونه؟ ويعرفون أي مستقبل مشرق ينتظر هذا العشق وهذا المعشوق. فما قيمة الدنيا وما قيمة النفس والهوى أمام عشق المهدي عليه السلام، الذي عبر عن حبه المولى تبارك وتعالى (يا محمد أحبّه، فإني أحبه وأحب من يحبه).

إذاً هنينا لمن يعشق الإمام المهدي عليه السلام، وبورك قلب تعلق بحبه ومال إليه، ووصل ذلك الحب إلى درجة العشق والغرام.

الفصل الثاني

نماذج من العشق المهدوي

أولاً: العشق المهدوي عند أئمة أهل البيت عليهم السلام:

إن أهل البيت عليهم السلام في مقدمة العشاق وفي طليعتهم، والذين سَطَّروا لنا حديث العشق ونجوى المحبة مع معشوق آل محمد، وتحدثوا عن ولهم وحبهم وعبروا عن مشاعرهم الفياضة تجاه ولي الله، اعتقاداً منهم بأنه خليفة الله المنتظر والقائد الرباني الذي سيقم دولة إسلامية عادلة تنشر العدل والسلام. وكذلك عملوا على توجيه الأنظار وتحريك القلوب والمشاعر إلى المعشوق الحقيقي صاحب المقامات العالية والكمالات الروحية، والتركيز على خصوصياته وسماته التي يتصف بها لتقوى علاقة الناس به ويلتف الجميع حول قضيته المقدسة، وسوف نذكر نماذج مما روي عن الأئمة عليهم السلام في هذا المضمار.

العشق المهدوي في نهج الإمام الصادق عليه السلام:

إن الإمام الصادق عليه السلام كان مدرسة تربوية عظيمة، يعلمنا فيها معاني الولاء والحب المتجسدة في العشق المهدوي، ويطلعنا الإمام الصادق عليه السلام على الدروس التربوية والأخلاقية والروحية التي نكتسبها من ذلك العشق الطاهر، فتارة يعبر لنا عن حبه وولعه بالمهدي عليه السلام، وتارة يتحدث عن لوعته

وحرقته لفراق المعشوق وطول غيبته، وأحياناً أخرى يدعو له بتعجيل فرجه ودعوة الناس لنصرته، وكل ذلك لهو دليل واضح على العشق المهدوي.

روى سدير الصيرفي، قال: دخلت أنا والمفضل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، فرأيناه جالساً على التراب وعليه مسح خيبري مطوق بلا جيب مقصر الكمين وهو يبكي بكاء الواله الثكلي ذات الكبد الحري، قد نال الحزن من وجنتيه، وشاع التغير في عارضيه، وأبلى الدموع محجريه وهو يقول: «سيدي غيبتك نفت رقادي، وضيق علي مهادي، وأسرت مني راحة فؤادي، سيدي غيبتك أوصلت مصابي بفجائع الأبد، وفقد الواحد بعد الواحد يفنى الجمع والعدد، فما أحس بدمعة ترقى من عيني وأنين يفتر من صدري...»^(١).

وفي دعاء العهد يبين لنا الإمام الصادق عليه السلام الرغبة الأكيدة في الوقوف بين يدي المعشوق لتحقيق معاني النصر: (اللهم اجعني من أنصاره وأعوانه والذابين عنه والمسارعين إليه في قضاء حوائجه، والممثلين لأوامره والمحامين عنه والسابقين إلى إرادته والمستشهادين بين يديه، اللهم إن حال بيني وبينه الموت الذي جعلته حتماً مقضياً، فأخرجني من قبري مؤتزرراً كفني، شاهراً سيفي، مجرداً قناتي، ملبياً دعوة الداعي في الحاضر والبادي)^(٢).

ثم يوضح لنا مدى شوقه واشتياقه إلى رؤية الطلعة المباركة للمهدي المعشوق: (اللهم أرني الطلعة الرشيدة، والغرة الحميدة، واكحل ناظري بنظرة مني إليه).

(١) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٩٦

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٤٨

كذلك وسئل عليه السلام: هل ولد القائم؟ فقل: (لا لو أدركته لخدمته أيام حياتي) ^(١).

يا لها من كلمات وعبارات تُنبئ عما يحمله صاحبها من شوق دفين وحرقة اشتياق لرؤية هذا المعشوق، والتمني لنيل شرف الخدمة بين يديه.

العشق المهدوي في نهج الإمام الرضا عليه السلام:

كان الإمام الرضا عليه السلام في زمانه يلفت أنظار المجتمع من خلال حديثه معهم إلى غيبة المهدي عليه السلام وظهوره المرتقب، وكان عليه السلام يستخدم وسائل متعددة للإعلام عن ذلك الحبيب الموعود، ومنها الدعاء والروايات الشريفة والقصائد الشعرية وحالة الوقوف تعظيماً وتأديباً عند سماع اسمه المبارك. ومنها هذا الدعاء:

(اللهم ادفع عن وليك وخليفتك وحجتك على خلقك ولسانك المعبر عنك، والناطق بحكمتك، وعينك الناظرة بإذنك، وشاهدك على عبادك، الجحججاج المشاهد، العائد بك العائد عنك، وأعدّه من شر جميع ما خلقت وبرأت وأنشأت وصورت، واحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته، بحفظك الذي لا يضيع من حفظته به، واحفظه في رسولك وآبائه السادة، أئمتك ودعائم دينك، واجعله في وديعتك التي لا تضيع، وفي جوارك الذي لا يخفر، وفي منعك وعزك الذي لا يقهر، وآمنه بأمانك الوثيق الذي لا يخذل من آمنته به، واجعله في كنفك الذي لا يرام من كان فيه، وانصره بنصرك العزيز، وأيده بجندك الغالب، وقوّه بقوتك، وأردفه

(١) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٢٢٠

بملائكتك، ووال من والاه، وعاد من عاداه، وألبسه درعك الحصينة، وحفه بالملائكة حفاً^(١).

وروي أن الإمام الرضا عليه السلام قال: (بأبي وأمي سمي جدي وشبيهي شبيه موسى بن عمران عليه السلام، عليه جيوب النور تتوقد بشعاع ضياء القدس، كم من حري مؤمنة وكم من مؤمن متأسف حيران حزين عند فقدان الماء المعين)^(٢).
إن عبارة «بأبي وأمي» في الرواية السابقة دلالة على الاستعداد التام للفداء والتضحية بالغالي والنفيس من اجل هذا المعشوق.

وروي أحد علماء الإمامية وهو عبد الرضا بن محمد، وهو من أولاد المتوكل، ألف كتاباً في وفاة الإمام الرضا عليه السلام سماه، (تأجيل نيران الأحزان في وفاة سلطان خراسان) ومما تفرّد به هذا الكتاب ما رواه: إن دعبل الخزاعي عندما انشد الإمام الرضا قصيدته التائية ووصل إلى هذا البيت:

خروج إمام لا محالة قائم يقوم على اسم الله بالبركات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرج عنا الهم والكربات

نهض الإمام الرضا عليه السلام قائماً وأحنى رأسه المبارك ووضع يده اليمنى على رأسه وقال: (اللهم عجل فرجه ومخرجه وانصرنا به نصراً عزيزاً)^(٣).

وفي رواية أخرى انه بكى بكاء شديداً عندما سمع بإسم القائم عليه السلام فقال له: (يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين فهل تدري من هذا

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٥٤

(٢) آداب عصر الغيبة، ص ٧٦

(٣) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٥٤

الإمام؟ ومتى يقوم؟ .. يا دعبل الإمام بعدي محمد، وبعد محمد ابنه علي، وبعد علي ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره، لو لم يبق في الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً...^(١).

الإمام المهدي بنفسه يعلمنا معاني العشق:

ونجد العشق المهدوي في نهج الإمام المهدي عليه السلام، فلقد تفوّه الإمام المهدي بنفحات قدسية وكلمات شائقة واشراقات عالية عبر أدعيته الشريفة وأقواله الزاكية، وأدعية الإمام عليه السلام ومناجاته وأحاديثه تحمل بين طياتها معارف وقوانين في كيفية التخاطب والخطاب والتفاعل والانفعال مع معشوق آل محمد عليهم السلام وقضيته المقدسة.

أ) كسب محبة المعشوق:

علّمنا الإمام المهدي عليه السلام الاجتهاد في كسب محبة المعشوق، بعمل كل ما يقرب إلى محبته وترك كل ما يبعدنا عن سخطه؛ لأنّ طاعة الإمام المعشوق وكسب رضاه تؤدّي الى طاعة الله والتقرب إليه .. (فليعمل كل امرئ منكم ما يقرب به من محبتنا وليتجنب ما يدينه من كراهتنا وسخطنا)^(٢).

ب) منهج الدعاء له بالنصر والفرج:

تعلّمنا من مناجاة الإمام المهدي عليه السلام، ضرورة الدعاء والإلحاح على الله بالنصر والفرج للمعشوق، وهي من مظاهر الولاء والحب له. فقد ورد في دعاء

(١) إقبال الأعمال ج ١ ص ١٢٨

(٢) عصر الظهور ص ٣٤٥

الافتتاح المروي عنه عليه السلام «اللَّهُمَّ: أَعِزَّهُ وَأَعِزِّزْ بِهِ، وَأَنْصُرُهُ وَأَنْتَصِرْ بِهِ، وَأَنْصُرُهُ
نَصْرًا عَزِيزًا، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحًا يَسِيرًا. اللَّهُمَّ: أَظْهِرْ بِهِ دِينَكَ، وَمِلَّةَ نَبِيِّكَ، حَتَّى لَا
يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ، مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ. اللَّهُمَّ: إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ
كَرِيمَةٍ، تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى
طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ، وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١).

(اللهم وصل على وليك المحيي سنتك القائم بأمرك الداعي إليك
وحجتك على خلقك وخليفتك في أرضك وشاهدك على عبادك، اللهم أعز
نصره ومد في عمره وزين الأرض بطول بقائه، اللهم أكفه بغبي الحاسدين
وأعذه من شر الكائدين وادحر عنه إرادة الظالمين وخلصه من أيدي
الجبارين)^(٢).

ج) الهيام بالمعشوق:

من حالات العشق: إلهيام بالمعشوق، يتصور العاشق حالات المعشوق
المختلفة ويُعجب بكل حركة من حركاته ويُغرم بكل لحظة من لحظات
حياته الخاصة، فيقول له: فداك نفسي حينما تتحدث، وما أروع ثغرك حينما
تبتسم، وما أجمل مشيتك ووقفتك وكلماتك ومنطقك...

فهكذا يعلمنا المهدي عليه السلام كيف نتفاعل مع المعشوق الغائب على أنه
يعيش بيننا وفي قلوبنا وفكرنا، حتى أصبح هاجسنا الوحيد، وشغلنا الشاغل.
نفكر به وفي ألم غربته وكيفية خدمته ولحظة لقائه، يعلمنا كيف نخاطبه
وكيف نسلم عليه كما في زيارة (آل ياسين) التي خرجت من الناحية

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٠

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٤ ص ٤٦١

المقدسة، حيث تتجلى فيها صورة العشق الرائعة، حيث تلتهب عواطف العاشق وتجيئ لواعج عشقه فيبعث بسلامه ليس إلى شخص المعشوق فحسب، بل لكل حالاته الشريفة ولحظات المقدسة، في سكناته وحركاته ولحظات حياته، فتراه يقول: السلام عليك حين تقعد، السلام عليك حين تقوم، السلام عليك حين تقرأ وتُبين، السلام عليك حين تُصلي وتُتقن، السلام عليك حين ترُكع وتسجد، السلام عليك حين تُكبر وتُهلل، السلام عليك حين تحمد وتستغفر، السلام عليك حين تمسي وتصبح، السلام عليك في الليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى، السلام عليك أيها الإمام المأمون، السلام عليك أيها المقدم المأمول، السلام عليك بجوامع السلام).

فهذه الفقرات ليس الهدف منها فقط توجيه فكر العاشق إلى حركات الإمام البدنية، وإنما أيضاً إلى الأدوار الإلهية التي يقوم بها المعشوق، فعندما نقول: «السلام عليك حين تقوم» يعني أن قيام المهدي عليه السلام هو قيام رسول الله صلى الله عليه وآله، سواء القيام البدني ومثابته قوامه لجده رسول الله، أو قيامه العملي وهو النهوض لإقامة دولة العدل الإلهي، فالعاشق عندما يردد هذه العبارات يرتبط أكثر بالإمام ارتباطاً يجعله يرتقي بروحه وفكره إلى الكمالات.

د) رعاية الإمام لمحبيه:

إن الإمام المهدي يلفت أنظار الموالين العاشقين إلى ألطاف معشوقهم ورعايته الدائمة لهم، والعمل على حمايتهم من البلاء وصور العدا. وهذه الرعاية الكريمة والفيوضات العظيمة من المولى صاحب الزمان لأتباعه، هي دليل على عمق كرمه ولطفه وإحسانه، وهذه معاني كماله تعكس كمال المعشوق وجماله، فتزيد العاشقين عشقا وتزيد الوالهيين أنسا وطربا فقال عليه السلام:

(إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء)^(١).

(لأننا من وراء حفظهم بالدعاء الذي لا يحجب عن ملك الأرض والسماء، فلتطمئن بذلك من أوليائنا القلوب، وليثقوا بالكفاية منه، وإن راعتهم بهم الخطوب)^(٢).

(فإنا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنا شيء من أخباركم ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم)^(٣).

فهو ملاذ الموالين وكهف العاشقين.

ثانياً: العشق المهدوي في كلمات العلماء:

آية الله السيد حسن الأبطحي:

قال آية الله السيد حسن الأبطحي: إن المحبة لأولياء الله من الصفات الإنسانية الحميدة.. وخاصة حين تتوجه هذه المحبة إلى مركز دائرة الإمكان الإمام بقية الله (أرواحنا فداه) وكلما ازدادت محبة الإنسان لمقام ولي العصر المقدس عليه السلام كانت إنسانية هذا الإنسان أقرب إلى الكمال، ذلك أن المحبة للإمام هي نفسها المحبة لله تعالى، والذين آمنوا أشد حبا لله، ومحبة إمام الزمان من دواعي الحظوة بليقياه، فإذا استطعت أن تقوى محبتك له حتى تكون هذه المحبة بالمستوى اللائق بشأنه وبمقامه فانك ستحظى بزيارته.

ويقول السيد في مقدمة كتابه «الكمالات الروحية» (ومنذ أن كتبت

(١) نفس المصدر ص ٤٦٢

(٢) نفس المصدر ص ٤٦٠

(٣) الكمالات الروحية ص ٧٢

كتاب معراج الروح، وكتاب المصلح الغيبي، وكتاب اللقاء بإمام الزمان، وعرف محبّو المولى أني ممن يشتري جمال يوسف فاطمة الزهراء عليها السلام بخيطة زهيد... لو كنت في مكاني أما كنت تغص بالحسرة؟ أما يهجس في داخلك أن: لماذا أنا محروم من هذا الفيض العظيم؟ لم، لا يكون لي من هذه اللقاءات نصيب؟ ولم لا ينتفع أناس العالم بهذا الوجود المقدس؟ ألا يوجد موضع ما في زاوية من هذه الزوايا، بعيداً عن الناس جميعاً أسند فيه راسي على ركبتي من فرط الكرب والأسى وأظل أبكي وأبكي حتى أسلم الروح؟ آه ما أشقّ ألام الفراق وما أصعب احتمالها.

الميرزا محمد تقي الأصفهاني:

كان الميرزا الأصفهاني قدس سره يبحر في بحر الشوق وإلهيام لمولانا المهدي عليه السلام، فيقول في كتابه المعروف مكيال المكارم: (لا ريب في أنه كلما كان الإيمان أكمل كان الحب لأهله أكّد، وكلما كان المؤمن أكمل فينبغي أن يكون حبك له أشد وأكمل؛ لأن هذه المحبة هي بسبب الرابطة الإيمانية التي تكون بين المؤمنين، فبهذا التقرير يجب أن يكون حبك لإمام زمانك الذي هو أصل الإيمان وعروته وطود الولاية وذروته أشد من حبك لجميع المؤمنين، بل يكون هو عليه السلام أحب إليك من أهلك وبنيك، بل من ذاتك كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

إن وصله عليه السلام أهم حوائج المحبين وغاية منى المشتاقين ومنتهى رغبة العارفين.

فمسألة التعجيل فيه من رب العالمين أكثر دعواتهم واكبر حاجاتهم وأعظم مهماتهم، ومن طرائف ماسنح بالبال في هذا المقام وكتبته بقلم الاستعجال في الشوق إلى الوصال وتذكر مولاي في كل حال هذه الأبيات:

تولى شبابي في الفراق فأسرعا وأذن عمري بالرحيل فودعا
حييت بشوق الوصل دهرأ ولم أكن بشيء سوى تذكاره متمتعا
قد اشتد شوقي فيك يا غاية المنى ويا خير من صلتى ويا خير من دعا
ويا خير مقصود ويا خير موئل ويا خير من لبي ويا خير من سعى
وقد طال صبري في النوى اذ تركتني كئيبا غريبا باكيا متوجعا
فيامهجتني ياروح قلبي وراحتني أغثنني فقلبي كاد أن يتصدعا
حبيبي حبيبي طال همي وكربتني أغثنني سريعا قبل أن أتضيعا^(١)

المفكر الإسلامي الشهيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره:

يقول السيد الشهيد في كتابه «البحث حول المهدي»: والذي يبين أن المهدي هو المنتظر عالميا ويصور بين طياته تلهف البشرية لرؤية المهدي وبحثهم عن ذلك المعشوق:

(ليس المهدي تجسيدا لعقيدة إسلامية ذات طابع ديني فحسب، بل هو عنوان لطموح اتجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغة لإلهام فطري أدرك الناس من خلاله - على الرغم من تنوع عقائدهم ووسائلهم إلى الغيب - أن للإنسانية يوماً موعوداً على الأرض تحقق فيه رسالات السماء بمغزاها الكبير، وهدفها النهائي، وتجد فيه المسيرة المكدودة للإنسان على مرّ

(١) مكيال المكارم ج ١ ص ٢٦٩

التاريخ استقرارها وطمأنيتها بعد عناء طويل. بل لم يقتصر الشعور بهذا اليوم الغيبي والمستقبل المنتظر على المؤمنين دينياً بالغيب، بل امتدَّ إلى غيرهم أيضاً وانعكس حتى على أشدَّ الإيديولوجيات والاتجاهات العقائدية رفضاً للغيب والغيبيات، كالمادية الجدلية التي فسرت التاريخ على أساس التناقضات، وآمنت بيوم موعود تصفى فيه كل تلك التناقضات ويسود فيه الوثام والسلام.

وهكذا نجد أنَّ التجربة النفسية لهذا الشعور التي مارستها الإنسانية على مرَّ الزمن من أوسع التجارب النفسية وأكثرها عموماً بين أفراد الإنسان، وحينما يدعم الدين هذا الشعور النفسي العام ويؤكد أنَّ الأرضَ في نهاية المطاف ستمتلئ قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، يعطي لذلك الشعور قيمته الموضوعية ويحوِّله إلى إيمان حاسمٍ بمستقبل المسيرة الإنسانية، وهذا الإيمان ليس مجرد مصدر للسلوة والعزاء فحسب، بل مصدر عطاء وقوة. فهو مصدر عطاء، لأنَّ الإيمان بالمهدي إيمانٌ برفض الظلم والجور حتى... وهو مصدر قوة ودفع لا تنضب لأنه بصيص نور يقاوم اليأس في نفس الإنسان، ويحافظ على الأمل المشتعل في صدره مهما اذلَّهَّت الخطوب وتعملق الظلم، لأنَّ اليوم الموعود يثبت أنَّ بإمكان العدل أن يواجه عالماً مليئاً بالظلم والجور فيزعزع ما فيه من أركان الظلم، ويقوم ببناءه من جديد، وأنَّ الظلم مهما تجبَّر وامتدَّ في أرجاء العالم وسيطر على مقدراته، فهو حالة غير طبيعية ولا بد أن ينهزم، وتلك الهزيمة الكبرى المحتومة للظلم وهو في قمة مجده، تضع الأمل كبيراً أمام كل فردٍ مظلومٍ، وكل أمةٍ مظلومةٍ في القدرة على تغيير الميزان وإعادة البناء^(١).

(١) البحث حول المهدي ص ٥٣

سماحة السيدة أم مهدي الموسوي:

وأما أستاذتنا الفاضلة سماحة السيدة أم مهدي الموسوي تحدثت عن جماليات معاني العشق المهدوي في كثير من كتبها ومنها «الحسين والمهدي» حيث قالت فيه:

(اليوم وفي عصر الغيبة إن لم تكن أيها الموالي في القافلة المهدوية فالتحق بها كما يفعل العاشق المتوجه إلى المعشوق، سر نحو قافلة المهدي ولو كان الوصول يستغرق سنيناً، المهم أن تقصر المسافة فيما بينك وبين حجة الله قدر الإمكان إن كنت تريد الله تعالى، وترجو نجاة نفسك. المتخلف عن قافلته يحتاج إلى عنصر مهم ومعدن فريد، هو بحاجة إلى العشق الحقيقي حتى لا يغريه أمر يلهيه عن إكمال دربه، فإن الأيام والسنين هي بالنسبة لنا طريق، فلا تجعل حياتك في أي لحظة توقفك عن بلوغ القافلة أو تحرفك عن مسارك المستقيم، غدّ عشقك وجدد عشقك بحضور المحاضرات الحسينية والمهدوية والاستمرار في مناجاة المعشوق وطرق باب الله باستمرار^(١).

السيد منير الخباز:

وأما السيد منير الخباز حفظه الله عبّر لنا عن حب الإمام المهدي في كتابه «الحقيقة المهدوية» بقوله:

(من المفيد الاعتراف بأنّ علاقتنا بالإمام - المهدي عليه السلام - علاقة سطحية، علاقة جافة جداً، علاقة يابسة، ربّما تكون علاقتنا بأساتذتنا أقوى من علاقتنا بالإمام، ربّما تكون علاقتنا بأصدقائنا وأحبائنا أقوى من علاقتنا بالإمام، ربّما تكون علاقتنا بمراجعنا وزعمائنا أقوى من علاقتنا بالإمام، فلذا يجب مراجعة

(١) الحسين والمهدي ص ١١٢

الذوات لتكون علاقتنا بالإمام علاقة حبّ وعشق لا مجرد دعاء، فنحن ندعو للإمام ولكن ما يريد الإمام منا ليس مجرد لقلقة لسان في الدعاء، بل يريد علاقة حبّ وعشق؛ كي نكون أهلاً للقائه وأهلاً لتكريمه وأهلاً لتشريفه^(١).

العشق المهدوي عند الشعراء

السيد رضا الهندي قدس سره:

فيا مُغِذاً على وجناء مرتعها
 حب في المسير هداك الله كلّ فلا
 حتى يُبَوِّءَكَ الترحال ناحية
 وروضة أنجم الخضراء قد حسدت
 وأرض قدس من الأملاك طاف بها
 فأرخص الدمع من عينين قد غلتنا
 وقل ولم تدع الأشجان منك سوى
 يا صاحب العصر أدركنا فليس لنا
 طالت علينا ليالي الانتظار فهل
 فأكحل بطلعتك الغرّاً لنا مُقَلاً
 ها نحن مرمى لنبل النائبات وهل
 كم ذا يؤلف شمل الظالمين لكم
 فانفض فدتك بقايا أنفـس ظفـرت

قطع الفجـاج ولمع الـآل ما ترد
 عن الهدى فيه حتى للقطار صد
 تحل من كـرب الـلاجي بها العـقد
 حصباءها وعليها يحمـد الحـسد
 طوائف كلـها مروا بها سـجدوا
 على هـيب جـوى في القلب يتقد
 قلب الفريسة إذ يتناشها الأسد
 ورد هنيئ ولا عيش لنا رغـد
 يا ابن الزكي لـليل الانتظار غد
 يكاد يأتـي على إنسانها الرمد
 يعني اصطبار وهى من درعه الزرد
 وشملكـم بيدي أعدائكم بـدّد
 بها النوائب لما خانها الجـلد^(٢)

(١) الحقيقة المهدوية ص ١٧

(٢) عصر الظهور ص ٣١٨

من الشعراء الذين تغنوا بعشق الإمام المهدي عليه السلام عامر البصري:

إمام الهدى حتى متى وأنت غائب فمن علينا يا أبانسا بأوبية
تراءت لنا رايات جيشك قادمة ففاحت لنا منها روائح مسكة
وبشرت الدنيا بذلك فاغتدت مباسمها مفترة عن مسرة
مللنا وطال الانتظار فجدلنا بربك يا قطب الوجود بلقية^(١)

وأنشد السيد جعفر مرتضى العاملي في قصيدته «الانتظار المر»:

سَرْمَدِيًّا - يَا سَيِّدِي - صَارَ حُزْنِي غُضَّصًا مَرَّةً غَسَدَتْ لِدَاتِي
بَسْمَتِي لَوْعَةً، حَنِينِي شَجْوُ وَنَشِيدِي ثَوَاكِلِ الْعَبَّسَاتِ
أَشْتَاتِي أَمْ غُرْبَتِي لَكَ أَشْكَو أَنْتِ أَدْرِي بِغُرْبَتِي وَشَتَاتِي
ضَاقَ صَدْرِي وَعَيْلٌ صَبْرِي وَإِنِّي خَائِفٌ مِنْ ذُنُوبِي الْمُبَقَّاتِ
فَلَوْ إِنِّي أَحْظَى بِنَظْرَةِ عَطْفِ مِنْكَ لَمْ أَخْشَ كُلَّ مَا هُوَ آتِ
لَيْسَ إِلَّاكَ مِنْ يَدَاوِي جِرَاحِي فَجِرَاحِي أَعْيَتْ جَمِيعَ الْأَسَاةِ
هَبْ لِقَلْبِي حَيَاتِهِ وَتَعَاهِدْ بِالنَّسْدِ كُلَّ زَهْرَةٍ فِي حَيَاتِي
وَأَزْرِعِ الْأَفْقَ بِالسُّورُودِ يَغْشِي فَوُحْ أَطْيَابَهَا جَمِيعَ الْجَهَاتِ
وَأَمْسَحِ الْبُؤْسَ عَنِ عَيْونِي وَهَدِّدْ بِالسَّنَا خَاطِرِي وَبِالْبَسْمَاتِ
وَبَفِيضِ الْحَنَانِ وَالْحَسْبِ فَلْتُمْ رِعْ رِحَابِي وَلِيَفْعَمِ الطَّهْرُ ذَاتِي
سَيِّدِي جِئْتَ أَطْلُبُ الرَّفْدَ فَاعْطِفْ وَاسْتَجِبْ لِي بِسِحْقِ ذِي الثَّنَاتِ
أَتَمْنَى رِضَاكَ فَهُوَ نَجَاةٌ لِي، فَأَنْتُمْ - وَاللَّهِ - فُلُكُ النِّجَاةِ
أَتْرَانِي أَحْظَى بِقَسْرِكَ يَوْمًا أَتْرَانِي أَرَاكَ قَبْلَ وَفَاتِي

آه يا ليتني أراك وإنسي
أمنيات عزيزة وعذابٌ
منك قد نلت أعظم البركات
حبذا لو تحققت أمنياتي^(١)

الشاعر حسين كاظم الزامل: بعنوان: إني أحبك سيدي

خذني إليك فما قصدت سواك
رغم الضياع ورغم كل رزية
رغم المسافات البعيدة والأسى
أبقى أسبح باسمك المشفي و
حنت لك الأيتام وهي كثيرة
إني احبك سيدي ومخلصي
أناف في شتات استغيث فدلني
إني انتظرتك والزممان يهدني
مازلت احتضن الدروب مناظراً
ومشيت استبق الخيال مضرجاً
دعني أسافر في هواك فمنيته
أنت الصباح إذا تنفست عسعست
أنت الحياة وأنت كل سعادة
أنت الذي ذبح القنوط مجدداً
أنت المعد لقطع دابر ظالم
يا ماليء الدنيا بنورك بعدما

رغم السنين وجورها أهواك
أبقى أنقب من عساه رآك
والشوك والأصفاد رغم عداك
أبغى سوى أن اهتدي لرضاك
تشكو وتصرخ سيدي رحماك
روحي وكل العاملين فداك
وامدد يدك وضممني برداك
جور هنا ياسيدي وهناك
أصغي.. لعلني ارتوي بنداك
بدمي ولكن من يحيط مداك
هي أنت لا شيء ليدي سواك
كل الليالي وانجلت بضياك
أنت الجنان وعطرهن شذاك
في الروح عزمياً يستظل غلاك
وملاذ كل المتقين لواك
ساد الظلام وانحمت اشواك

(١) الموسوعة الشعرية المهدوية ص ١٠٥

يا هادماً مدن الضلالة والردى
يا ناشراً للفتح أعظم راية
لا تنتهي الدنيا ويختم سفرها
يا بن البتول ويا ابن أكرم مرسل
ومعز كل المدعقن عطاكا
وموحد الدنيا بفيض رؤاكا
حتى تعود لترتقي بهداكا
ضاقت ولا أمل يلوح سواكا^(١)

(١) الموسوعة الشعرية المهدوية ج٢ ص٢٣٦

A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns, framing the central text. The border is composed of repeating floral motifs connected by a central line.

الباب الرابع

دلائل العشق

الفصل الأول

مظاهر العشق المهدوي

إن للعشق مظاهراً ودلالات، فلا يكفي أن يكون العشق موجوداً في أعماق النفس، ولكن لا بد أن تظهر له علامات ودلائل في أفعال الإنسان وتصرفاته وأقواله . ولربما أيضاً تظهر علامات العشق على الشكل الخارجي والملامح الظاهرة للإنسان، وتتفاوت درجات العشق من إنسان إلى آخر، تبعاً لتفاوت نسبة الارتباط ودرجة العشق، ومتى توفرت هذه الصفات والخصائص في العاشق، فحتماً لا بد أن يحظى بمحبة المعشوق له ورضاه عنه ويكون مؤهلاً لاستقبال فيوضاته وبركاته.

أولاً: المودة القلبية:

العشق مصدره القلب، فعندما يميل القلب إلى الإنسان الكامل وينجذب إليه، فلا بد لهذا الميل القلبي أن يرتقي من درجة الحب الباطني إلى الحب الظاهري، وهذا ما يعبر عنه بالمودة، والمودة تعني إظهار المحبة القلبية وإبرازها من خلال الآثار التي تكشف عن الحب الكامن في القلب، وهذه الآثار إما أن تكون قولية أو فعلية، وتظهر على جوارح الإنسان كالعين واللسان والقلب وغيرها. فالبكاء، والعويل، وذرف الدموع، وقذى العين، وفقدان الهجوع، وخفقان القلب عند سماع اسمه، وانشغال الفكر بأمره، والدعاء له، وذكر محاسنه وفضائله والثناء عليه، والأنس بمناجاته والتلذذ بمخاطبته،

والجزع من فراقه، والتأثر القلبي عندما يعلم أنه كان سبباً في أذيته، جميعها دلالات ظاهرة تنم عن حب وعشق. كما قال احدهم:

إذا هممتُ بكتمان الهوى نطقت مدامعي بالذي أُخفي من الألم
فإن أبح افتضح من غير منفعة وإن كتمت فدمعي غير منكمتم^(١)

وهذه الحالة لن يصل إليها الإنسان إلا إذا كانت لديه معرفة بالإمام بقية الله، وجاهد نفسه على تطهيرها من الأمراض الروحية والرزائل الأخلاقية، لتكون هناك مجانسة بينه وبين إمام زمانه، وترك كل ما لا يتعلق بالإمام أو ينتسب إليه، بعدها سوف يغدو هذا الإنسان محباً للإمام المهدي عليه السلام ومولعاً بحبه، وسوف يجد نفسه عاشقاً لجماله وجلاله المقدس، ومن آثار المودة القلبية ما يلي:

أ) الحرقّة والبكاء على غياب المعشوق:

إنّ من مظاهر العشق أنّ المحب يناجي محبوبه الغائب بكلمات الندبة والألم والحسرة على غيابه، ويبكي عليه وعلى غيابه بكاء الشكلى، فكلّما زاد حبه لمعشوقه كلّما زاد بكاءؤه وضجيجه على بعباده وكثر أنينه على فراقه.

(عزيز عليّ أن أبكيك ويخذلك الورى، عزيز عليّ أن يجري عليك
دونهم ما جرى، هل من معين فأطيل معه العويل والبكاء؟ هل من جزوع
فأساعد جزعه إذا خلا؟ هل قذيت عين فساعدتها عيني على القذى؟

وأفضل ما قيل في هذا المقام:

قلبي إليك من الأشواق محترق ودمع عيني من الآماق مندفق
الشوق يحرقني والدمع يغرقني فهل رأيت غريقاً وهو محترق^(٢)

(١) مكيال المكارم ص ٢٩٣

(٢) مكيال المكارم ص ١٦٢

ب) الشوق إلى رؤية المعشوق:

الشوق يعني الميل والرغبة إلى الشيء عند غيبته^(١) «ويفسر السيد الشيرازي الشوق بأنه: طلب كمال ما هو حاصل بوجه غير حاصل بوجه، فإن العادم لأمر ما رأساً لا يشتاقه ولا يطلبه إذ الشوق للمعدوم المحض والطلب للمجهول المطلق أمر مستحيل، وكذا الواجد لأمر ما لا يشتاقه ولا يطلبه لاستحالة تحصيل الحاصل^(٢)».

إن من الأمور المؤلمة أن يكون المعشوق والمحجوب بعيداً عن المحب والواله، فالبعد والفراق يسببان الألم والعذاب والاضطراب في قلب العاشق؛ لأنه يفتقد رؤيته وسماع صوته والتي تمثل سكناً وراحة وأنساً للقلب المتيماً. ومن الدلائل أن يرى من شوقه مثل السقيم في الفؤاد غلائل ومن الدلائل ضحكه بين الوري والقلب محزون كقلب الثاكل^(٣)

فكيف إذا كان هذا المعشوق هو ولي العصر الإمام المهدي عليه السلام هو الإنسان الكامل الخالي من العيوب، والمقدس من كل نقص، والغائب عن الأنظار، فيليق به أن يُشتاق إليه .. ويحق للموالي أن يتلهف ويتشوق إلى رؤيته ويخاطبه بكل حرقة (يا ابن أحمد هل إليك سبيل فتلقى؟ هل يتصل يومنا منك بعدة فنحظى؟ ثم يسأله عن موعد لقائه: متى نغاديك ونراو حك؟ متى ترانا ونراك؟).

ويلح على الله عز وجل أن يمن عليه برؤية قسماات وجهه النورانية والتي تحكي عن جمال الله (فأره سيّده يا شديد القوى، وأزل به عنه الأسى

(١) جامع السعادات

(٢) الحكمة المتعالية ج ٧ ص ٢٣٧

(٣) مكيال المكارم ج ٢ ص ١٥١

والجوى، وبرد غليله يا من على العرش استوى).

وهذا مما صدر فعله من أمير المؤمنين عندما جاء إليه سائل يسأل عن المهدي عليه السلام، فوضح له الإمام علي عليه السلام صفات المهدي وعلاماته وأمره ببيعته وإجابة دعوته، ومن ثم دعا الله بالنصر له وأن يكون خروجه فرج للأمة، ثم عبر عليه السلام عن حالة الشوق إلى رؤية ابنه المهدي، تقول الرواية: وأوماً بيده إلى صدره شوقاً إلى رؤيته»^(١).

عن أحمد بن إبراهيم قال: شكوت إلى أبي جعفر محمد بن عثمان شوقي إلى رؤية مولانا عليه السلام، فقال لي: مع الشوق تشتهي أن تراه؟ فقلت له: نعم.

فقال لي: شكر الله لك شوقك وأراك وجهه في سر وعافية، لا تلتمس يا أبا عبد الله أن تراه، فإن أيام الغيبة تشتاق إليه، ولا تسأل الاجتماع معه إنه عزائم الله والتسليم لها أولى ولكن توجه إليه بالزيارة)^(٢).

وقد عبر الإمام الشيخ كاشف الغطاء في قصديته عن الشوق الذي يخالج قلب العاشق، كان مطلعها:

بنفسي بعيد الدار قرّبه الفكر وأدناه من عشاقه الشوق والذكر^(٣).

فطلب الموالي لرؤية ولقاء المعشوق إنما يصدر من هيجان المحبة والعشق الكائن في صدره، فكلما ازدادت درجة المحبة للمحب كلما كان الإلحاح على رؤيته والشوق إلى رؤيته أشد وأعظم. ورؤية الإمام

(١) بحار الأنوار ٥١ ص ١١٥

(٢) مكيال المكارم ج ٢ ص ١٤٩

(٣) حياة الامام المهدي ص ٢٤٦

المهدي عليه السلام كما قال جده الإمام الصادق عليه السلام بمثابة الكحل في العين (وأكحل ناظري بنظرة مني إليه) فكما أنّ للكحل فوائد جمة للعين من ناحية تقويتها وإضفاء شيء من الجمال والسناء عليها، كذلك رؤية جمال طلعة الإمام البهية وغرته الحميدة، لها أهداف عبادية ومعنوية للرائي.

فالعبادية تتحقق من خلال رؤية الموالي للإمام المعصوم والإنسان الكامل، والتي تتضمن آثار روحية وقيم تربوية وتهذيبية، تسهّل على الإنسان سيره التكاملي إلى الله.

وأما الضرورة النفسية والمعنوية تتجسد في رؤية جماله، الذي يبعث على السعادة والنشوة في قلب العاشق والعزيمة على السير في طريق الصلاح.

إمكانية رؤية الإمام الحجّة عليه السلام:

هناك ثمة من يقول بأن الإمام المهدي عليه السلام لا يتردد على الناس ولا يمكن رؤيته.

ولكن جملة من العلماء الأفاضل صرحوا بأن الإمام الحجّة عليه السلام يتردد بين الناس ويراقبهم، ولكن لا يعرفونه.

قال أبي عبد الله عليه السلام: (فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله يفعل بحجته ما فعل يوسف، وأن يكون صاحبكم المظلوم المجحود حقه صاحب هذا الأمر يتردد بينهم، ويمشي في أسواقهم، ويطأ بسطهم، ولا يعرفونه حتى يأذن الله عز وجل أن يعرفهم نفسه، كما أذن ليوسف حين قال: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون؟ قالوا: أءنك لأنت يوسف، قال: (قال: أنا يوسف وهذا أخي) ^(١).

(١) علل الشرائع ج ١ ص ٢٤٤

وقال عليه السلام أيضاً: (يفقد الناس إمامهم، فيشهدهم الموسم فيراهم ولا يرونه) ^(١).

وأما عن إمكانية رؤية الإمام الحجة عليه السلام فهو أمر مشروع وممكن، أثبتته عديد من العلماء في الكتب المعتمدة لشيعتنا أهل البيت عليهم السلام، ولقد أجاب السيد السيستاني حفظه الله عن مدى صحة دعوى أحد المؤمنين الذين يدعون رؤية الإمام الحجة عليه السلام، فقال: يمكن رؤيته - عليه السلام - ويصعب تصديق الدعوى إلا مع شاهد موجب للقطع أو الوثوق ^(٢).

ويقول العلماء: إن كثيراً من الأمور العبادية والتعبدية التي نقلت عن المعصومين عليهم السلام من آثارها رؤية الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام، مثل الأدعية الماثورة والأغسال المستحبة وبعض الأوراد العبادية، وهذا يدل على مندوبية طلب رؤية الحجة، كدعاء العهد المروي عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال عن فضله: (من قرأ بعد كل فريضة هذا الدعاء فإنه يرى الإمام محمد بن الحسن عليه وعلى آبائه السلام في اليقظة أو في المنام) ^(٣).

وهذا الحديث يصرح وبشدة بأن رؤية الإمام ممكنة حتى في عالم اليقظة، وأن عبارة «اللهم أرني الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة.. الخ» الواردة في دعاء العهد، تعم بإطلاقها زمان غيبته وحضوره كما يقرر بذلك صاحب مكيال المكارم ^(٤).

(١) بحار النوار ج ٥٢ ص ١٥١

(٢) استفتاءات السيد السيستاني ص ٤٥٨

(٣) بحار الأنوار ج ٨٢ ص ٦١

(٤) مكيال المكارم ج ٢ ص ٢٥٢

وكذلك فضل قراءة بعض السور القرآنية مثل سورة الإسراء (من قرأ سورة بني إسرائيل في كل ليلة جمعة لم يمت حتى يدرك القائم..)^(١)
وعن الإمام الباقر عليه السلام: (من قرأ المسبحات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يرى القائم)^(٢).

وأيضاً، ما روي في جنة المأوى للعالم النوري رحمه الله تعالى عن كتاب الاختصاص للشيخ المفيد (رضي الله عنه) عن أبي المغرا عن الإمام موسى بن جعفر قال سمعته عليه السلام يقول: (من كانت له إلى الله حاجة وأراد أن يرانا، وأن يعرف موضعه، فليغتسل ثلاث ليال ينجي بنا فإنه يرانا ويغفر له بنا، ولا يخفى عليه موضعه) الخبر.

قال المحدث النوري بعد ذكر الحديث: قوله: (يناجي بنا) أي يناجي الله تعالى بنا ويعزم عليه ويتوسل إليه بنا أن يرينا إياه، ويعرف موضعه عندنا. وقيل: أي يهتم برؤيتنا، ويحدث نفسه بنا ومحبتنا فإنه يراهم، أو يسألنا ذلك. انتهى كلامه^(٣).

والأمر الآخر: أن كثيراً من أمهات الكتب الشيعية ومنها البحار، تحمل في بطونها قصصاً كثيرةً وعجيبةً عن تشرف عديد من العلماء وأهل التقوى والدين بلقائه الميمون، وهذا دليل واضح على إمكانية رؤيته المباركة.

وكثيرة هي الأمور التعبدية التي توحى لنا بأن طلب رؤية الإمام أمراً ممكناً وأمراً مستحباً ومرغوباً إليه في الدين الإسلامي.

(١) وسائل الشيعة ج ٦ ص ٢٢٦

(٢) وسائل الشيعة ج ٧ ص ٤١٠

(٣) مكيال المكارم ج ٢ ص ٣٥٢

(ثمّة رجل من أهل الولاء والذوق.. كان يغتسل غسل زيارة الإمام ولي العصر عليه السلام كلما دخل الحمام للاستحمام، يفعل ذلك استناداً إلى استحباب الغسل لزيارة الإمام الحي أيضاً، يقول هذا الرجل: انا في ترقب دائم للفوز بزيارة الإمام في أي مكان.. فما لي إذن لا أغتسل غسل زيارة الإمام مادمت قادراً عليه، فأكون على استعداد دائم للقاءه عليه السلام؟

سنوات.. وهو يهيئ نفسه من خلال هذا العمل، للقاء إمام الزمان عليه السلام، حتى كان يوم - كما يذكر هو - تهيأ له فيه ماء مباح كل الإباحة لا احتمال لشيء من الغصب فيه، فاغتسل بنية الغسل عن كل ما يحتمل أن يكون في ذمته من أغسال الجنابة السابقة، أو الأغسال التي ربما كان قد اغتسلها فيما مضى بماء غير مباح، ونوى في هذا الغسل بالضميمة غسل زيارة الإمام بقية الله روي فداه، ثمّ لمّا أتم غسله خرج من الماء، لكنه ما كاد يرتدي ثيابه ويتعطر بشيء من الطيب.. حتى ملأ عينيه جمال الإمام صاحب الأمر عليه السلام (١).

ج) كثرة مناجاة المعشوق:

المناجاة: هي خطاب المحب مع محبوبه وحديث قلبي بين العاشق ومعشوقه، ووقفه يبث فيها العاشق ما في قلبه، ويفضي فيها عن خلجات نفسه، ويشكو فيها همومه وآلامه وأشواقه، ويعرض عليه حوائجه ومطالبه، فالمناجاة لا يقصد منها فقط الطلب، بل يراد منها أيضاً حالة الأُنس والمؤانسة والاستئناس، والنفس تتوق دائماً إلى الحديث مع من يحقق لها الأُنس

(١) الكمالات الروحية ص ١٤٧

والسعادة، فإن كان الموالي يعشق الإمام المهدي، فسوف يبحث دائماً عن أقصر الطرق وأسرعها إليه وهي المناجاة. فيفرغ نفسه في كل يوم ليختلي مع المهدي المعشوق يتكلم معه، ويتحدث إليه ويخاطبه، ويرنو إليه متوسلاً لينال عنايته ويحظى بلطفه .

مالي وقفت وأنت قبلة حاجتي يرنو لقدس غلاك ضعف بياني
أهفو فتستعصي عليّ يراعتني ويداي بالسدعوات تحتلجان
أثراك تحرمني النوال وقد جئنا بفناء جودك مرقمي ولساني
إني أضأتك في غياهب حيرتي فانساب يُشرق بالولاء جناني
وعقدتُ في جبل الولاية نيتي أن الإمام بعينه يرعاني
يا قائم الأطهار أقعدني الضنى فاكشف جلتُ فذاك ما أضناني
والطف وجُد واعطف على متوسل يا نور سبحة سورة الإنسان^(١)

فالمناجاة كفيلة بأن تصنع ارتباطاً قوياً وعلاقة متينة بين الموالي وبين إمام زمانه، فيكون ذلك داعياً إلى محبة الإمام له وكسب رضاه، كما كان الإمام الصادق يناجي الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف بقوله: (سيدي غيبتك نفت رقادي...).

قصة شاب توجه قلبه بحب بقية الله الأعظم:

ننقل هذه القصة ولكن بتصرف طفيف، لقد روى أحد علماء أصفهان يقول: (في شهر رمضان في إحدى السنوات، عزمت أن أجعل حديثي كله في مدينة مشهد المقدسة عن إمام الزمان عليه السلام، خلال الليالي الأولى كنت أراقب

(١) الموسوعة الشعرية المهدوية ص ١٩٠

حالات المستمعين في المجلس، لأتعرّف على من يصغي لما أقول باهتمام، ومن يستهويه كلامي ويؤثر فيه، وعلى من يكون حظه قلة العناية والاهتمام، ميّزت شاباً كان يحضر المجلس، وفي الليالي الأولى كان يتخذ مكانه في أطراف المجلس، ولكنه بدأ يدنو من المنبر في الليلة التالية، وما يزال يقترب، حتى جاءت الليلة الخامسة أو السادسة، كان يقعد عند المنبر. فيحضر قبل الآخرين ليجلس في هذا المكان، كان حديثي - عندما ارتقي المنبر - عن الإمام ولي العصر، ومن الطبيعي أن يتخذ الحديث في الليلة الأولى السمة العلمية - إلى حد ما - ثمّ كان الكلام في الليالي التالية يتحول بالتدريج من البحث العلمي إلى الإشارة الذوقية، وقد لاحظت - وأنا ابتداءً بالخطاب الروحي الذوقي - أن حالة الشاب كانت تتغير تغيراً ينفرد به عن كل الحاضرين، حالة عجيبة، كان يصيح «يا صاحب الزمان» والدموع تتحدر من عينيه، ويتلوى أحياناً مأخوذاً بجذبة روحية خفيفة.

هذه الحالات كانت تتزايد بتعاقب الليالي، حتى إذا اقتربت ليالي آخر الشهر.. جعلت حديثي حول «واجبات الشيعة» ومحبة الإمام ولي العصر عليه السلام، كنت أقول علينا: أن نحبه و، أبين ما ينبغي أن نفعله في عصر الغيبة، وكان هذا الشاب يتلوى ويطلق من فؤاده صيحات عشق حارقة: «يا صاحب الزمان.. يا صاحب الزمان» مما قلب حالي وغير الجو الروحي لديّ، واذكر أنني كنت أقرأ في تلك الليالي هذه الأشعار:

يا من بيده العوالم يا سيّد الإنس والجن

يا صاحب الزمان الغوث والأمان

أما هو فكانت دموعه كعاصرات السحاب .. كما مرأة قد تُكَلِّت بولدها الشاب، ويسقط في حالة من الوهن والضعف، وانعكس ذلك على الحاضرين في المجلس، فارتفع عويلهم وبكاءهم.

وبعد أن انقضت أيام شهر رمضان وانطوى المجلس، انصبَّ عزمي على أن ألقى هذا الشاب. فان قلبي قد تعلق به. أجل.. إنني محب شَغِف وعاشق متيم لمن يمشي على خطى إمام الزمان عليه السلام، أنا محب لمحب إمام الزمان، عاشق لمحب إمام الزمان، لهذا رحلت أبحث هنا وهناك، أسأل معارفي عن هذا الشاب من هو؟ وماذا جرى له وما عنوانه؟ أخيراً توصلت إلى أنه صاحب نصف دكان للبقالة في أحد أحياء مشهد.

فانطلقت إلى البحث عنه وجدت دكانه مغلقاً، سألت الجيران عنه، قالوا: إنه منذ أسبوع أغلق دكانه ولا ندري أين هو الآن، وأخيراً وبعد ما يقرب ثلاثين يوماً، كنت خارجاً من داري وإذا بالشباب أمامي، ولكن بأي حال؟! رأيته نحيفا شاحب الوجه مهزولاً، قد غارت وجنتاه، ولم يبق منه غير جلد وعظم! وما أن وصل إلي حتى أرخى عينيه بالدموع وناداني باسمي قائلاً: رحم الله على أبيك وأطال الله في عمرك، ثم نشج يبكي وهو يقبل وجهي وكتفي، وكانت تعروه حالة هزة يرتعش لها جسمه عند ذكر حبيبه، سألته ما خطبك يا ولدي.. ما لذي حدث؟

فقال لي: لقد أضرت - في تلك الليالي - النار في قلبي حتى انخلع، تعرفت على محبة إمام الزمان عليه السلام، كان قلبي خالياً من هذه المحبة خلواً تماماً، ولم يكن هذا مني بالشيء الصحيح، وبدأ قلبي يتحرك شيئاً بعد شيء، وأخذ

الشوق إلى رؤيته ينبض في داخل فؤادي، قلبي كان يلتهب في صدري
ويضطرم بآلام الفراق. وفي الليالي الأخيرة، كان قلبي يرتعش لما كنت أصبح
«يا صاحب الزمان» وما عادت لي في النوم من رغبة، فقدت أي ميل إلى
الطعام والشراب، كل همي أن أنادي من أعماقي: «يا صاحب الزمان» وأن
أمضي للبحث عنه حتى ألقاه. كان قلبي يتحرق لرؤية مالك قلبي، أغلقت
الدكان ومضيت إلى جبل يبعد عن مشهد نصف فرسخ، وقضيت هناك عدة
ليالي أنادي «أين أنت يا حبيبي؟ أين أنت يا مولاي الرحيم؟ وأخيراً سكبت
على نيران قلبي ماء الوصال.. أخيراً شاهدت حبيبي ووضعت هامتي على قدمه
مرغت وجهي على قدم معشوقي ومالك فؤادي»^(١).

ثانياً: الطاعة والإخلاص:

إن القرآن الكريم أمرنا بطاعة الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢).

عن جابر بن عبد الله الأنصاري: لما أنزل الله تعالى على نبيه (صلى الله
عليه وآله وسلم): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ
مِنْكُمْ﴾، قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أولي الأمر الذي قرن الله
طاعتهم بطاعتك؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين
بعدي. أولهم علي بن أبي طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ علي بن الحسين،

(١) الكمالات الروحية ص ٢١٠

(٢) النساء ٥٩

ثمّ محمّد بن علي، المعروف في التوراة بالباقر - وستدر كه يا جابر، فإذا لقيته فاقراه مني السلام - ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ علي بن موسى، ثمّ محمّد بن علي، ثمّ علي بن محمّد، ثمّ الحسن بن علي، ثمّ سمّي، وكنّي حجة الله في أرضه، وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي. ذلك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، وذلك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان...^(١).

الطاعة هي الإتيان بالمأمور به والانقياد والتسليم له وإتباع وتطبيق أوامره. لقد فسر الإمام الصادق عليه السلام المعنى الحقيقي لطاعة ولي الأمر فقال: (وان طاعته طاعة الله وطاعة رسول الله والتسليم له في كل أمر والرد إليه والأخذ بقوله)^(٢). كما جاء في الزيارة: (من أطاعكم فقد أطاع الله) لو كان حبك صادقاً لأطعته ان المحب لمن أحب مطيع، ولقد أشاد الإمام الصادق روي له الفداء بطاعة أنصار الإمام المهدي عليه السلام حيث قال: (هم أطوع له من الأمة لسيدها)^(٣). إن الطاعة سمة العاشق، لأنّ العلاقة المتوقدة تحرك الإنسان العاشق بقوة ودافعية نحو طاعة المعشوق والتسابق لتطبيق أرادته، والسعي الحثيث لنيل رضاه وتجنب ما يوجب غضبه وسخطه، وأنّ يقدم له عملاً خالصاً من الشوائب، ولعمري كل ما كان العاشق أكثر طاعة وإتباعاً للمعشوق، كلّما كان أكثر حظاً بمودة المعشوق وبمحبتته وإحسانه ينعم بلقائه الميمون. (ولو أن

(١) الميزان ج ٤ ص ٤٠٩

(٢) بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٤٠٧

(٣) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٠٨

أشباعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم).

فحري بالموالي العاشق والمحب الولهان، أن يسأل ربّه مراراً وتكراراً ليله ونهاره، أن يرزقه طاعة ولي أمره الإمام المهدي عليه السلام، والأهم من ذلك أن يجتهد في الوصول إلى حالة التقوى والإخلاص، وتتمثل في عمل الطاعات والبعد عن المعصية وتوطين النفس على فعل المكرمات والتحلي بالفضائل، ليحدث التماثل الروحي والباطني بينه وبين إمام زمانه فيفوز بلقائه ويسعد برؤيته.

أويس القرني أسوة حسنة لطالبي العشق المهدوي:

إن أويس القرني وأصله من اليمن، عاش في عصر النبي صلى الله عليه وآله لكنه لم يُوفق لرؤية شخصه المقدس وطلعته المباركة، إلا أنه كان يعشق النبي بقلبه وروحه. وكانت هناك علاقة وطيدة بين النبي صلى الله عليه وآله وأويس، كانت علاقة محبة عجيبة. عندما جاء أويس إلى المدينة ليرى النبي صلى الله عليه وآله، كان رسول الله قد غادر المدينة في غزوة له، فعاد أويس إلى بلده، وعندما قدم النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة قال: «أرى هنا نور الله وأشم رائحة الله».

عجباً، لماذا عبّر النبي عن أويس بأنه نور الله ورائحة الله؟ وكيف وصل إلى هذه الدرجة؟ وكيف كسب أويس رضا النبي صلى الله عليه وآله وحبّه؟

يقول آية الله الشيرازي: «إنّ للإيمان والعمل الصالح نوراً وضياء بسعة عالم الوجود، ويعمّ نور المحبة الحاصل منهما كل أرجاء عالم الخلقة، وإنّ الذات الإلهية المقدّسة تحبّ أمثال هذا الفرد، فهم محبوبون عن كل أهل

السماء، وتقذف هذه المحبة في قلوب أهل الأرض»^(١).

إذاً لا بد أن أويساً كان عبداً صالحاً مخلصاً مطيعاً لله ولإمام زمانه، لذلك استحق حب الله وثناء النبي ﷺ، ونال هذه المكانة الشريفة لديه، حتى عبّر عنه سيده ومولاه «بنور الله ورائحة الله».

إنه وصل إلى مقام أسمى وأفضل من كثير من الصحابة الذين رأوا النبي وعاشروه مدة طويلة، ولا بد أن عشق أويس وحبه لإمام زمانه كان دافعاً حقيقياً لأن يرتقي بنفسه وروحه وأخلاقه، فوصل إلى ساحة الرضا الإلهي والرضا المحمدي ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٢).

وهكذا أئمتنا عليهم السلام كانوا يشيرون إلى شيعتهم العاشقين والمحبين ببعض الوصايا والنصائح، بأن من يريد رضا أئمته فليلتزم بالطاعة والإخلاص. روي أن الإمام الصادق عليه السلام قال لشيعته: (إني والله لأحب ربحكم وأرواحكم، وإنكم على دين الله ودين ملائكته، فأعينوا بورع واجتهاد)^(٣).

وكذلك جاءت التوصية المباركة من الإمام المهدي عليه السلام قائلاً: (فليعمل كل امرئ منكم ما يقرب به من محبتنا ويتجنب ما يدينه من كراهتنا). فالعاشق الحقيقي هو من يبادر إلى طاعة معشوقه وامتنال أوامره.

ثالثاً: إيثار هوى المعشوق على هوى النفس:

الإيثار هو: تفضيل الغير على النفس، قال الإمام الصادق عليه السلام: (دليل

(١) الأمثل ج ٩ ص ٥١٥.

(٢) مريم ٩٦.

(٣) مكيال المكارم ج ٢ ص ١٥٠.

الحب إيثار المحبوب على ما سواه^(١).

وقال عليه السلام: (وإذا هاج ريح المحبة استأنس ظلال المحبوب، وآثر المحبوب على ما سواه)^(٢).

من علامات المحبة، ومن دلالات العشق صفة الإيثار، وهو أن يؤثر المحب محبة محبوبه على محبة نفسه، ويقدم مصلحة محبوبه على مصلحته، وأن يؤثر هوى محبوبه على هواه، ورضا معشوقه على رضاه.

محبة الإمام تقتضي تطبيق أوامره واجتناب نواهيه، فإذا همَّ المؤمن المحب بفعل أو قول، لابد أن يفكر هل فيه رضا إمامه أو سخطه؟ فإن كان فيه رضاه، أقدم على فعله، وإن كان فيه سخطه أحجم عنه.

الإيثار أن نفكر في مصلحة الإمام عليه السلام أكثر ما نفكر في مصالحنا الشخصية، وأن نهتم بذات الإمام المقدسه أكثر مما نفكر في ذواتنا، يجب أن نفكر كيف نكون أنصاراً للإمام عليه السلام؟

كيف نعين الإمام عليه السلام على ما قلده الله من مهام؟

كيف ندافع عن قيم وأهداف الإمام عليه السلام؟

كيف نخدم الإمام عليه السلام؟

كيف نساهم في تحقيق دولة الإمام عليه السلام؟

كيف نعمل على تعجيل فرج الإمام عليه السلام؟

كيف ندخل السرور على قلب الإمام عليه السلام؟

(١) ميزان الحكمة ج ١ ص ٤٩٨

(٢) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٢٣

فمن يفعل ذلك ويحقق معنى الإيثار في حياته سوف يجني منه آثاراً جميلة، من أجلها وأفضلها أن يحظى بمحبة الإمام عليه السلام وعشقه له، ويتشرف بمدح الإمام له ودوام ذكره على لسانه الشريف، إلى أن يصل إلى مقام القرب المهدوي، فيستحق أن ينسبه الإمام المهدي له فيقال عنه مهدوي، كما نسب النبي صلى الله عليه وآله سلمان الفارسي إلى اسمه المبارك فقال صلى الله عليه وآله: «سلمان منا أهل البيت»^(١)، فيا ليت شعري ما كان يفعله سلمان حتى استحق هذه النسبة الشريفة والمكانة العالية؟

روى الشيخ الطوسي عن منصور بن برزج، قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ما أكثر ما أسمع منك يا سيدي ذكر سلمان الفارسي! فقال عليه السلام: لا تقل «سلمان الفارسي»، ولكن قل «سلمان المحمّدي»، أتدري ما كثرة ذكري له؟ قلت: لا.

قال عليه السلام: لثلاث خصال: إحداهما: إيثاره هوى أمير المؤمنين عليه السلام على هوى نفسه، والثانية: حبه للفقراء، واختياره إيّاهم على أهل الثروة والعدد. والثالثة: حبه العلم والعلماء، إن سلمان كان عبداً صالحاً حنيفاً وما كان من المشركين^(٢). ولعشق سلمان لأمر المؤمنين عليه السلام، عشقته الجنة وتشتاق إلى أن يكون من روادها، كما جاء في الرواية: (أن الجنة لأشوق إلى سلمان من سلمان إلى الجنة، وإنّ الجنة لأعشق لسلمان من سلمان للجنة)^(٣).

(١) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٧٠

(٢) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٢٨

(٣) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٤١

رابعاً: التخلق بأخلاق المعشوق:

لقد ذكرنا فيما سبق عن مواصفات الإمام المهدي عليه السلام الأخلاقية، وتحدثنا أنه عليه السلام جمال الإنسان الكامل الذي يجسد أخلاق الله على الأرض. صدر الدين الشيرازي قال: (فإذن لابد أن يكون المعشوق موجوداً غنياً عن إرادة الطالب، فطلبه ذا عظمة وجلال لينبعث بتصور جماله العشق والشوق لينبعث منه الحركة الموصلة إلى المطلوب من التشبه والافتداء، فيكون تصور الجمال سبب العشق، والعشق سبب الطلب، والطلب سبب الحركة الحاصلة منها التشبه به)^(١).

والموالي العاشق يجدر به أن يقتدي بسنة إمامه ويهتدي بهديه، فكيف بالعاشق الواله . فعشقه لإمام زمانه لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال التخلق بأخلاقه والاتصاف بصفاته، ومن المحال أن يكون الإنسان متعلقاً قلبياً بالإمام المظهر لأخلاق الله، وهو في ذات الوقت بعيداً عن المنهج الأخلاقي الرباني الذي يسير عليه ولي الله، ويكون متحلياً برذائل الأخلاق ومتصفاً بمساوئها، لأن ديدن العاشقين هو إتباع منهج عشاقهم واقتفاء آثارهم، فكراً وسلوكاً وخُلُقاً، حتى يصبحون وكأنهم صورة مصغرة منهم. فعاشق الإمام القائم لابد أن يجاهد نفسه على التحلي بهذه المواصفات العالية والأخلاق السامية من ورع وتقوى وحلم وعدل وسخاء وزهد وإيثار ونصرة المظلومين.

وروى الكليني عن الإمام زين العابدين عليه السلام، قال: (لا حَسَبَ لقرشي ولا لعربي إلا بتواضع، ولا كرم إلا بتقوى، ولا عمل إلا بالنية، ولا عبادة إلا بالتفقه، إلا وإن أبغض الناس إلى الله من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله)^(٢).

(١) المبدأ والمعاد ص ٢٨٥

(٢) الكافي ج ٨ ص ٢٣٤

وقال الإمام الباقر عليه السلام لجابر: (يا جابر لا تذهبن بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول: أحب علياً وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعلاً؟ فلو قال: إني أحب رسول الله، فرسول الله صلى الله عليه وآله خير من علي عليه السلام، ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته، ما نفعه حبه إياه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله عز وجل [وأكرمهم عليه] أتقاهم وأعملهم بطاعته، يا جابر والله ما يتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو؛ وما تنال ولا آيتنا إلا بالعمل والورع) ^(١).

ومن خلال التخلق بأخلاق الإمام، يصبح الإنسان الموالي داعياً لمنهج الإمام عليه السلام ومحركاً للناس نحو مشروعه المبارك من دون أن يخطب أو يتفوه بكلمة. وهذا ما يسمى «بالدعوة الصامتة». كما ورد في الرواية (وان تكونوا لنا دعاة صامتين) ^(٢).

(١) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٩٧

(٢) شرح إحقاق الحق ج ٢٨ ص ٤٠٨

الفصل الثاني

انتظار المعشوق

الانتظار يعني التهيؤ والاستعداد العقائدي والأخلاقي والفكري، وهو عملية استنفار وتجنيد المؤمنين العاملين لله لإحراقهم في ركب الإمام الحجة عليه السلام.

ويقول عنه الميرزا محمد تقي الأصفهاني بأنه: «كيفية نفسانية ينبعث منها التهيؤ لما تنتظره، وضده اليأس، فكلما كان الانتظار أشد كان التهيؤ أكد، ألا ترى أنه إذا كان لك مسافر تتوقع قدومه ازداد تهيؤك لقدمه كلما قرب حينه، بل ربما تبدل رقادك بالسهاد لشدة الانتظار، وكلما تفاوت مراتب الانتظار من هذه الجهة، كذلك تفاوت مراتبه من حيث حبك لمن تنتظره. فكلما اشتد الحب ازداد التهيؤ للحبيب، واوجع فراقه بحيث يغفل المنتظر عن جميع ما يتعلق بحفظ نفسه، ولا يشعر بما يصيبه من الآلام الموحجة والشدائد المفطعة»^(١).

دلالات الانتظار:

إن الانتظار ليس عبارات ورؤى نظرية، ولا يقصد به أيضاً الصورة السلبية المشتملة على التقاعس والقيود عن العمل، وإنما هو سلوك عملي، وممارسة تطبيقية، وحركة ايجابية، مع وجود العوامل المناسبة والترتيبات اللازمة والاستعدادات الملائمة.

(١) مكيال المكارم ج ٢ ص ١٢٧

فمن ينتظر قدوم شخص عزيز، أو مناسبة جميلة، أو رحلة مهمة، فماذا ستكون علامات الانتظار؟ بل كيف إذا كان الشخص المُنتظر هو ولي الله وخليفة الله، وأن تلك المناسبة هي الوعد الإلهي لتحقيق المعنى الحقيقي للاستخلاف في الأرض، وتلك الرحلة هي الرحلة الإيمانية النورانية التي تحقق النصر والفتح المبين، فهذا الانتظار ليس بالأمر إلهين، وفي نفس الوقت ليس بالأمر الصعب المستحيل.

على الإنسان أن يُدرك عمق معنى الانتظار، ويسأل نفسه انه ينتظر من؟ ويتربص من؟ ويتحسس قدوم من؟ سوف يصل بعد ذلك إلى انه ينتظر موكب إلهي في طبيعته ذلك القمر المنير، القائد الهمام . إنه موكب النور والرحمة، الذي تحفّ به الملائكة، وتحوطه أنصار الله وأنصار رسوله وأنصار حجة الله من أولياء وصالحين وأتقياء وأبدال من الأولين والآخرين.

عندها سيكون انتظاره شاقاً وقوياً، لكنّه محفوفاً بالسعادة والطمأنينة، فحجم الانتظار يترتب على حجم المعرفة وحجم الاستعداد، ومن هنا نشير إلى عدة صفات ودلالات للمنتظر منها الحسي والعملي او الحركي والقولي:

(أ) الترقب لظهوره:

جاء في لسان العرب أنّ الترقب بمعنى: الانتظار، وبمعنى تنظر وتوقع شيء، والرقب: المنتظر، وقوله تعالى: ولم «ترقب قولي»: أي لم تنتظر قولي^(١).

إذاً الترقب هو معنى من معاني الانتظار وحالة من حالاته، كما جاء في

(١) لسان العرب ج ١ ص ٤٢٤

قوله تعالى: ﴿وَازْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ أي انتظروا لتتصروا بقواكم وجماعتكم وأموالكم.. وجاء في الزيارة الجامعة: (منتظر لأمركم مرتقب لدولتكم).

فلا يحتمل الترقب معاني التقاعس والغفلة، بحيث يترقب وهو قاعد في مكانه، وإنما يحمل معنى الحركة والعمل والسعي الحثيث وكثرة التفكير والنظر. وقد يغلب على الترقب حالة الاستمرارية والملازمة، فيترقب الموالي إمام زمانه الإمام المهدي عليه السلام بأن يستطلع مجريات الأمور، ويرصد الأحوال، ويراقب الإرهاصات التي تسبق مجيء الإمام وتسبق قدومه المبارك. ويترقب ظهوره الميمون ليله ونهاره، فيعمل على تمهيد المجتمع، سواء على الصعيد الفردي أو الجماعي. (فلو تطاولت الدهور وتمادت الأعمار، لم ازدد فيك إلا يقيناً، ولك إلا حباً، وعليك إلا متكلاً ومعتمداً، ولظهورك إلا متوقفاً ومنتظراً، وجاهدي بين يديك مترقبا، فأبذل نفسي ومالي وولدي وأهلي وجميع ما حولني ربي بين يديك والتصرف بين أمرك ونهيك يا مولاي) ^(١).

عن محمد بن الفضيل عن الرضا عليه السلام قال: سألته عن انتظار الفرج فقال: (أو ليس تعلم الفرج من الفرج؟ ثم قال: ان الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَازْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ ^(٢)).

ب) التحسس لظهوره:

التحسس من «حس» وهو البحث عن الشيء بالحواس، ذهب البعض

(١) بحار الأنوار ج ٩٩ ص ٩٩

(٢) الميزان ج ١٠ ص ٢٧٦

بأنّ التحسّس هو السعي في معرفة الأشخاص^(١).. وقيل: هو البحث عن الأمور المطلوبة.

وقال ابن عباس: إنّ التحسّس هو البحث عن الخير.

ونفهم من جميع هذه المعاني السابقة، أنّ مرحلة التحسّس هي أيضاً من مراحل الانتظار. العاشق يظل يبحث عن المعشوق المنتظر، والمعدّ لإقامة دولة الحق والعدل والقائد الهمام، الذي سوف يقتل الظالمين المتكبرين ويدمر مصاديق الشرك والضلال. ويبحث عنه هنا وهناك، ويتحسّس قدومه ويندبه بأسمائه وصفاته الفاضلة وكمالاته العالية التي جديرة بأن تأسر قلوب العباد جميعاً، لعلّه يتوفّق لرؤيته ووصاله ونيل بركاته.

ومن العجيب والمستغرب أن لا يبالي المؤمن الموالي بغيبة ولي الله الأعظم والتي حزنت لها قلوب الأئمة من أهل البيت، ودعاء الندبة يلفت أنظارنا إلى الكلمات والعبارات التي ينطق بها العاشق الباحث عن معشوقه:

(أَيْنَ الْخَيْرَةِ بَعْدَ الْخَيْرَةِ، أَيْنَ الشُّمُوسِ الطَّالِعَةِ، أَيْنَ الْأَقْبَارِ الْمُنِيرَةِ، أَيْنَ الْأَنْجُمِ الزَّاهِرَةِ، أَيْنَ أَعْلَامِ الدِّينِ وَقَوَاعِدِ الْعِلْمِ، أَيْنَ بَقِيَّةِ اللَّهِ الَّتِي لَا تَخْلُو مِنَ الْعِثْرَةِ الْهَادِيَةِ، أَيْنَ الْمُعَدِّ لِقَطْعِ دَائِرِ الظُّلْمَةِ، أَيْنَ الْمُتَنْتَظِرِ لِإِقَامَةِ الْأَمْتِ وَالْعِوَجِ، أَيْنَ الْمُرْتَجِي لَا زَالَةَ الْجُورِ وَالْعُدْوَانِ، أَيْنَ الْمُدَّخِرِ لِتَجْدِيدِ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ، أَيْنَ الْمُتَخَيِّرِ لِإِعَادَةِ الْمِلَّةِ وَالشَّرِيعَةِ، أَيْنَ الْمُؤَمَّلِ لِأَحْيَاءِ الْكِتَابِ وَحُدُودِهِ، أَيْنَ مُخَيِّ مَعَالِمِ الدِّينِ وَأَهْلِيهِ، أَيْنَ قَاصِمِ شَوْكَةِ الْمُعْتَدِينَ، أَيْنَ هَادِمِ أِبْنِيَةِ الشُّرْكِ وَالنِّفَاقِ، أَيْنَ مُبِيدِ أَهْلِ الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ وَالطُّغْيَانِ، أَيْنَ حَاصِدِ فُرُوعِ الْغِيِّ وَالشَّقَاقِ (النِّفَاقِ)، أَيْنَ طَامِسِ آثَارِ

الزَّيغِ وَالْأَهْوَاءِ، أَيْنَ قَاطِعُ حَبَائِلِ الْكِذْبِ وَالْأَفْتِرَاءِ، أَيْنَ مُبِيدُ الْعُتَاةِ وَالْمُرَدَّةِ، أَيْنَ مُسْتَأْصِلُ أَهْلِ الْعِنَادِ وَالْتَّضْلِيلِ وَالْإِلْحَادِ، أَيْنَ مُعِزُّ الْأَوْلِيَاءِ وَمُذِلُّ الْأَعْدَاءِ، أَيْنَ جَامِعُ الْكَلِمَةِ (الْكَلِمِ) عَلَى التَّقْوَى، أَيْنَ بَابُ اللَّهِ الَّذِي مِنْهُ يُؤْتَى، أَيْنَ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ يَتَوَجَّهُ الْأَوْلِيَاءُ، أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، أَيْنَ صَاحِبُ يَوْمِ الْفَتْحِ وَنَاشِرُ رَايَةِ الْهُدَى، أَيْنَ مُؤَلَّفُ شَمْلِ الصَّلَاحِ وَالرِّضَا، أَيْنَ الطَّالِبُ بِذُحُولِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَبْنَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، أَيْنَ الطَّالِبُ (الْمُطَالِبُ) بِدَمِ الْمُقْتُولِ بِكَرْبَلَاءِ^(١).

والتحسس يشمل البحث الميداني والوجداني والفكري عن الإمام المهدي عليه السلام، إلى أن يصل الباحث إلى رحابه عليه السلام ويتشرف ببلقائه ويتوقف برضاه. ومرحلة التحسس الفكري يتطلب المعرفة الحقيقية للإمام صاحب العصر والزمان، فمعرفة مطلب لنا كموالين (اللهم عرفني حجتك، فان لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني) فكلما كان الإنسان الباحث المتحسس أكثر معرفة بإمام زمانه، كان أكثر إحساساً وشعوراً بقضيته المقدسة، وأسرع تحركاً في البحث عن مصدر السعادة وينبوع الخيرات، وهو المهدي عليه السلام.

وكذلك سوف يعيش المنتظر حالة الأمل والترقب الدائم لظهور دولته المباركة، وفي المقابل لن تمتلكه حالة اليأس والقنوط والتي بإمكانها أن تضعف من عزيمته وتؤثر على همته وتزلزل ثباته ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٢).
وأما التحسس الميداني هو أن يبحث عنه في الأماكن التي يتصور

(١) إقبال الأعمال ص ٥٠٩

(٢) يوسف ٨٧.

أنه عليه السلام يزورها ويتردد عليها، ويحاول أن يتواجد في هذه الأماكن والتوسل به، فمن عادة المحب الوقوف على المنازل والمواقف التي تذكره بمحبوبه وتذكره بشخصيته

النورانية وأخلاقه السامية وصفاته الجمالية، فيسعد بذكره ويأنس بمناجاته، ويسأل الله له الفرج والنصر، كما قال الشاعر:

ومن مذهبي حب الديار لأهلها وللناس فيما يعشقون مذاهب

ومن هذه الأماكن بيت الله الحرام، وعند قبر جدّه النبي محمد صلى الله عليه وآله، وقبر جدته فاطمة الزهراء عليها السلام، وقبر جدّه الإمام الحسين، وقبر الحمزة سيّد الشهداء، ومسجد السهلة، ومسجد جمكران.

حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري قال: سألت محمد بن عثمان العمري فقلت له: أرايت صاحب هذا الأمر؟ فقال نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام، وهو يقول: اللهم أنجز لي ما وعدتني^(١).

ومن يحسن بالمهدي عليه السلام ويتحسّنه سوف يوليه أشدّ الاهتمام والرعاية، ويقدم له عناوين الطاعة والامتثال، ويقبل عليه بالصالحات.

بينما الذنوب والمعاصي، ستؤدي حتماً إلى قطع وسائل الاتصال وتعطيل مصادر الإحساس، فتصنع حجباً غليظة تحجب الموالي من فيوضاته المباركة، وتمنعه من رؤية إمام زمانه، وسماع حسيسه ونجواه، وفقدان وسائل الصلة والتواصل. «عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَرَى الْخُلُقَ وَلَا تُرَى وَلَا أَسْمَعُ لَكَ حَسِيْسًا وَلَا نَجْوَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ تُحِيطَ بِكَ دُونِي الْبَلْوَى وَلَا يَنَالِكَ مِنِّي ضَجِيحٌ وَلَا شَكْوَى».

(١) مكّيال المكارم ج ٢ ص ٤٨

كما قال عليه السلام: (ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم).

ج) المرابطة استعداداً لظهوره:

الرباط: هو الإقامة على جهاد العدو، وأصل المرابطة أن يربط الفريقان خيولهم في ثغر كل منهما معداً لصاحبه، فسميَ المقام في الثغور رباطاً^(١). والمرابطة مفردة من مرادفات الانتظار، مثل التوطئة، والتذليل والتمهيد، والتهيئة، والاستعداد. وكلما ازداد انتظار العاشق لضيفه المعشوق، كلما ازدادت حالات الاستعداد والتهيؤ لقدمه.

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢) قال: (اصبروا على المصائب، وصابروهم على التقية، وربطوا على من تقتدون به واتقوا الله لعلكم تفلحون)^(٣).

وقال الشيخ الطبرسي «اصبروا» يتناول لزوم العبادات واجتناب المحرمات، و«صابروا» يتناول ما يتصل بالغير كمجاهدة الجن والإنس، وما هو أعظم منها مجاهدة النفس. «ورابطوا» يدخل فيه الدفاع عن المسلمين، والذب عن الدين. «واتقوا الله» يتناول الانتهاء عن جميع المناهي والزواجر،

(١) الكافي.

(٢) آل عمران ٢٠٠

(٣) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٣٩٦

والإثمار بجميع الأوامر، ثمّ يتبع جميع ذلك الفلاح والنجاح^(١).
 إنّ المرابطة تعني الاستعداد والإعداد، سواء على الصعيد الفردي أو
 الجماعي، انتظاراً لقدم الإمام المهدي عليه السلام، وتعني كذلك حماية وصيانة
 الثغور الداخلية والخارجية من الانحراف والانحلال.

والمرابطة على الثغور الداخلية يقصد بها ما يرتبط بداخل الإنسان، وهي
 نفسه الأمانة بالسوء، والتي تعتبر أعدى أعدائه. «إلهي إنيك أشكو نفساً بالسوء
 أماراً، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك موعنة، ولسخطك متعرضة، تسلك بي
 مسالك المهالك، وتجعلني عندك أهون هالك، كثيرة العليل، طويلة الأمل، إن مسها
 الشر تجزع، وإن مسها الخير تمنع، ميالة إلى اللب واللهو، مملوءة بالغفلة والسهو،
 تُسرع بي إلى الحوبة، وتُسوفني بالتوبة»^(٢).

فالإنسان المؤمن العاشق يحب أن يربط إمام زمانه، أي أن يربط نفسه
 بحبل ولايته وإتباعه والاقتران به ونصرته وخدمته، وأن يكون على أفضل
 صورة وأفضل حال عند قدوم المحبوب الغائب، وأن لا يكون في نفسه وبيته
 ما يكدره أو يحزنه، ويهيئ نفسه، بأن يهتم بجمال هيئته وتزيين بيته، حتى
 يصل إلى أفضل حالة من الاستعداد والتهيئة.

ويقتضي ذلك أن يكون مرابطاً على ثغور العقيدة والفكر والأخلاق،
 لحراسة النفس وصيانتها من الأفكار المنحرفة والعقائد الباطلة التي تبعد عن
 الخط المستقيم، ويحصل له ذلك من خلال التزود بالمعارف الإسلامية
 والعلوم الدينية، ثمّ يجاهد على تهذيب نفسه بالورع والاجتهاد، وكسب

(١) مجمع البيان ج ٢ ص ٤٨٢

(٢) بحار الأنوار ج ٩١ ص ١٤٣

الفضائل الروحية والأخلاقية، والابتعاد عن الرذائل الأخلاقية (من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق) (١).

(أحسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً) (٢).

وأما المرابطة على الثغور الخارجية ﷺ فتتمثل في التحرك على الصعيد الاجتماعي، فلا بدّ أن يتحرك المنتظر لتهيئة أرضية المجتمع لقدم الإمام صاحب الزمان والمساهمة في ثورته المباركة. فلا يظنّ الإنسان بأنّ التوطئة تشمل إصلاح النفس فقط، وإنما أيضاً تتطلب إصلاح المجتمع؛ لأنّ المجتمع يمثل البيئة التي تحتضن الفرد ويعده عقائدياً وفكرياً وأخلاقياً وروحياً، وتهيئة المجتمع تتطلب القيام بعدة عمليات إصلاحية منها:

١- حثّ أفراد المجتمع على التمسك بكتاب الله وسنة نبيه المصطفى

محمد ﷺ.

٢- تعريف أفراد المجتمع بأهداف الثورة المهدوية وبمهام الغيبة الكبرى، وتفعيل ثقافة الانتظار لصنع مجتمع منتظر للإمام المهدي ﷺ، يتسم أفرادُه بالعقيدة الإيمانية والقيم الأخلاقية، استعداداً لاستقبال الإشارات الإلهية المتمثلة في نوره المبارك.

٣- نشر الثقافة المهدوية باستخدام الوسائل الجماهيرية المتاحة، كالتلفاز والانترنت والمنبر الخطابي والمجلس الحسيني وغيرها.

٤- تعميق قضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٤٠

(٢) الكافي ج ٢ ص ١٠٢

٥- مناقشة قضايا الأمة الإسلامية المعاصرة والدفاع عن مصالحها، فمن البديهي أن يستشعر الفرد المسلم هموم الأمة ويبادر إلى علاجها قدر المستطاع.

٦- توعية الرأي العام المسلم بما يحاك ضده من مؤامرات وحمولات شعواء، تهدف إلى تحطيم الشخصية الإسلامية وتشويه الفكر الإسلامي.

ومن الطبيعي أنّ هذا البرنامج الجهادي يحتاج إلى حالة من الصبر والثبات والعزيمة في تهذيب النفس وتربيتها، ومقاومة كل العقبات والصعوبات التي تواجهه في هذه المهمة، حتى يظهر المهدي ويقوم الدين الإسلامي من جديد، لذا قال الله تعالى: ﴿واصبروا﴾.

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً، إن الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر)^(١).

وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: (طوبى لشيعتنا المتمسكين بحبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين على مواليتنا والبراءة من أعدائنا، أولئك منا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة، فطوبى لهم، ثم طوبى لهم، وهم والله معنا في درجتنا يوم القيامة)^(٢).

د) الدعاء بتعجيل ظهوره:

الدعاء لتعجيل فرج القائم عليه السلام من صور الانتظار والانتصار القولي، وينشأ من العشق والحب والشوق للمهدي عليه السلام. ومن يظن أنّ إمامه المهدي عليه السلام

(١) بحار الأنوار ج ٢٨ ص ١٢٦

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٤ ص ١٤٠

أحب إليه من نفسه وروحه وأهله، فلا بد أن يتوجه إلى الخالق سبحانه وتعالى بقلبه ولسانه ويدعو لإمام زمانه بالنصر والفرج في كل مكان وفي كل زمان. قال أبو عبد الله عليه السلام: (فلما طال على بني إسرائيل العذاب ضجوا وبكوا إلى الله أربعين صباحاً، فأوحى الله إلى موسى وهارون يخلصهم من فرعون، فحط عنهم سبعين ومائة سنة.

قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام: هكذا أنتم لو فعلتم لفرج الله عنا، فأما إذا لم تكونوا فإن الأمر ينتهي إلى منتهاه) ^(١).

إن ظهور الإمام المهدي هو وعد إلهي سيتحقق في يوم من الأيام. ولكن زمانه ووقته مناط باستعدادات البشر وقابلياتهم، فمتى كانوا مستعدين لظهوره سيكون الظهور معجلاً، سواء كان ذلك الاستعداد فكرياً أو نفسياً، والدعاء مصداق من مصاديق الاستعداد النفسي والفكري والروحي، فكلما كان العبد شديد الرغبة لظهور الإمام، وروحه تتوق إلى ذلك الجمال عليه السلام وفكره متعلق بما يعجل في قدومه، كلما كان كثير الدعاء والإلحاح على الله بتعجيل فرج مولاه، وهذا ما تدل عليه كلمة الإمام: «هكذا أنتم لو فعلتم».

أي لو دعوتهم الله لعجل الله تعالى فرج الحجة، كما فعل بنو إسرائيل حينما أكثروا من الدعاء في حالة من الضجيج والبكاء بأن يخلصهم من البلاء بظهور نبيهم، فحط الله عنهم مائة وسبعين سنة، وتقدم الخلاص والنجاة بهذه المدة الزمنية. لكن إن لم تكونوا مستعدين للظهور المبارك ولم تبدلوا جهداً في التوسل والتضرع إلى الله، سوف يتأخر ظهوره. فالدعاء إذن من موجبات تعجيل الفرغ المبارك للمهدي عليه السلام.

فالدعاء للقائم عليه السلام كما أنه يعجل في فرجه، فهو أيضاً يحمل آثاراً وفيوضات عظيمة وبركات جمة يحصل عليها الداعي، ومن هذه الآثار:

١- إن الدعاء للحجة عليه السلام يمثل عنصر عبادي يعمل على توثيق الارتباط بالله تعالى والتقرب إليه، حيث أن التوجه بالدعاء لحجة الله وخليفته في أرضه، فيه رضا لله سبحانه وتعالى ووسيلة سريعة تنقلنا إلى ساحة القرب الإلهي.

٢- يحصل الداعي من خلال دعائه، دعاء الإمام الحجة له، يقول القمي في تفسيره: «فإذا دعا المؤمن لمولاه عليه السلام بخالص الدعاء كافأه مولاه أيضاً بخالص الدعاء، ودعاؤه مفتاح كل خير ومقلاع كل ضير»^(١). فطوبى لمن يدعو له إمام زمانه.

٣- الدعاء لفرج القائم عليه السلام، هو إكرام لجدّه النبي الأعظم محمد عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام و الانتصار لفكرهم ومنهجهم .

روي عن مولانا الصادق عليه السلام أنه قال: (إنّ من حقوقنا على شيعتنا أن يضعوا بعد كل فريضة أيديهم على أذقانهم ويقولوا ثلاث مرات: «يا رب محمد عجل فرج آل محمد احفظ غيبة محمد، يا رب محمد، انتقم لابنة محمد»^(٢)).

٤- وهذا الأمر يكون سبباً لاستحقاق الداعي العطايا الإلهية في يوم الآخرة، ولا ريب أن الإمام عليه السلام يشفع يوم القيامة لمن كان يدعو له وأن لا يتركه يعذب في النار، لأن الدعاء مصداق للنصرة والخدمة وموجب لإدخال السرور على قلب الإمام، فلا بد أن يحشر الداعي في حزب أهل البيت عليهم السلام.

(١) مكيال المكارم ج ١ ص ٢٠٨

(٢) مكيال المكارم ج ٢ ص ١٠

(ومن نصرنا بلسانه فانه في حزننا يوم القيامة) ^(١). وأما في الحياة الدنيا يكون الدعاء فرجاً للداعين وقضاء لحوائجهم، (و أكثروا من الدعاء بتعجيل الفرج فإن في ذلك فرجكم) ^(٢).

٥- ومن خصائص الدعاء للحجة عليه السلام أيضاً، يمنح الله الداعي نعمة الأمن والأمان في يوم ظهور الإمام المهدي عليه السلام، وينجيه من الهلاك والفتن (والله ليغيبن غيبة لا ينجو من الهلكة فيها إلا من ثبته الله عز وجل على القول بإمامته ووقفه فيها للدعاء بتعجيل فرجه) ^(٣).

٦- انبعاث روح الهمم وإثارة العزائم والرغبة عند الإنسان الداعي للتكامل الروحي والإصلاح النفسي من خلال تطهير الروح والنفس من الرذائل .

(١) مكيال المكارم ج ١ ص ٤٦٥

(٢) حياة الإمام المهدي ص ١٦٦

(٣) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٤

الفصل الثالث

خدمة العشوق

إن خدمة الإمام المهدي عليه السلام من معاني الانتظار، وهو انتظار حركي وعملي يساهم في عملية التمهيد لظهوره المبارك وإزالة بعض العقبات التي يمكن أن تؤخر وتؤجل في الدولة الإلهية المنتظرة والمرتبقة لإقامة العدل والعدالة.

روى العالم الفقيه أحمد الأردبيلي في كتابه حديقة الشيعة رواية عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام ما مضمونها: (ما من مؤمن يتمنى خدمته ويدعو لتعجيل فرجه إلا أتاه آت على قبره وناداه باسمه: يا فلان قد ظهر مولاك صاحب الزمان، فان شئت فقم واذهب إلى حضرة الإمام، وإن شئت فتم إلى يوم القيام)^(١).

فمجرد التمني لخدمة الإمام وعقد النية القلبية لخدمته عليه السلام، هي بحد ذاتها محطة شرف وتقديس إلهي لذلك الموالي، فيخير الموالي الخدم لمولاه بين الرجعة مع الإمام المهدي ورؤية طلعتة البهية والوقوف بجانبه والتشرف بنصرته، وبين المنام واللقاء به يوم القيامة. فكل هذا التبجيل الإلهي، فقط لأنه تمنى أن يخدم دولة الإمام بقية الله في أرضه وأن يقوم بكل عمل من اجل نصرته وتعجيل ظهوره، فكيف بمن تحرك وسعى في خدمته؟

والإمام المهدي من أهل البيت الذين تتشرف بخدمتهم الملائكة، والإمام الصادق عليه السلام في مقام آخر يتمنى بنفسه خدمة ابنه القائم عليه السلام، وأي خدمة

(١) مكيال المكارم ج ١ ص ٣٤٥

يتمناها؟ خدمة ليس بجزء من حياته، وإنما خدمة تدوم بدوام عمره الشريف (ولو أدركته لخدمته أيام حياتي) وسأل الله في دعائه التوفيق لهذه الخدمة: (اللهم اجعلني من أنصاره وأعوانه والذابين بين يديه والمسارعين إليه في قضاء حوائجه والممثلين لأوامره)..

فالموالي العاشق يتعلم منه أن يبذل كل حياته وعمره من أجل المعشوق، وأن يعدّ نفسه خادماً له.. فعلاقة الخادم مع سيّده تقتضي أن يعمل كل ما يرتضيه منه ويجتنب سخطه منه، ويعينه ويقضي له حوائجه.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: (أربعة أنا شفيعهم يوم القيامة ولو آتونني بذنوب أهل الأرض: معين أهل بيتي، والقاضي لهم حوائجهم عندما اضطروا إليه، والمحِب لهم بقلبه ولسانه، والدافع عنهم بيده)^(١).

فلو تأملنا قليلاً في الرواية السابقة، فسوف نستنبط منها الأمور التي تمنحنا شفاعَةَ النبي محمد ﷺ، ومن بينها خدمة أهل البيت ﷺ، حيث قال ﷺ «معين أهل بيتي والقاضي لهم حوائجهم عندما اضطروا إليه».

والإعانة: مصدر من أعان عوناً، وتعني المساعدة والنصرة، فالإمام الحجة ابن الحسن ﷺ يحتاج في غيبته، إلى من يعينه ويسانده على أمر الأمة وإصلاحها، وهذه الإعانة على نوعين: إما أن تكون مادية أو معنوية.

الإعانة المادية:

وهي أن يساهم الإنسان الموالي بما رزقه الله من أموال، فالأموال التي يمتلكها إنما هي ملك لله وملك لخليفته المنصوب الحجة ابن الحسن، وما لدينا من خيرات وبركات فمصدرها الإمام عليّ عليه السلام «بيمينه رزق الوري». فعليه،

(١) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٧٧

ينبغي للموالي أن ينفق أمواله في خدمة مالكيها وإعانة صاحبها، فيجعلها طوع يديه ويبدلها في كل ما يحقق رضاه ويسرع في خلاصه من غربته. وذلك من خلال صرفها في الجهات الخيرية، مثل إنشاء المؤسسات الدينية، والمعاهد العلمية، وطباعة الكتب والمنشورات التي تهتم بالقرآن وعلوم أهل البيت عليهم السلام، ومساعدة المحتاجين من فقراء وأيتام آل محمد، والمساهمة في كل مشروع خيري. وذلك من أجل صنع مجتمع مهدوي، مجتمع تتحقق فيه صفات الانتظار تعجيلاً في الظهور المبارك.

الإعانة المعنوية:

أن يسعى الموالي في مجتمعه لصناعة أفراد مؤمنين منتظرين لإمام زمانهم، فيكون همه إرشاد الناس وهدايتهم إلى طريق الحق والعدل، ويعمل على نشر الثقافة المهدوية بينهم، وتعريفهم بالمهدي وأهداف دولته المباركة، وترغيبهم في التهيئة والاستعداد النفسي والروحي والعلمي لاستقبال إمام زمانهم والتمهيد لهذا الظهور الميمون، ويتم ذلك عن طريق عدة أمور منها:

أ) العلم والتعليم:

إن الإمام الحجة عليه السلام يحتاج إلى أنصار وأعوان يمتلكون العلم والمعرفة، ذوي كفاءات عقلية وعلمية، فلذلك يتوجب على الموالي أن يسلح نفسه بالعلم والثقافة والمعرفة، وخاصة المستمدة من الثقافة القرآنية التي تمثل نوراً وإشعاعاً للإنسان يستطيع من خلالها أن يميز بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، وأن يصون نفسه من الانحرافات الفكرية والمادية المضللة، كذلك كلما كان الإنسان أكثر علماً ومعرفةً بإمام زمانه كان أكثر ارتباطاً وتعلقاً بشخصيته المباركة. ولا نقصد هنا المعرفة السطحية التي تتمثل في معرفة اسمه

وكنيته وصفاته الجسمية والشكلية فقط، وإنما المقصود بها المعرفة الحقيقية والمتكاملة، كمعرفة دلائل ظهوره المبارك، من أجل أن لا تلتبس علينا الأمور ولا تغوينا دعاوى المضللين، وكذلك معرفة الفتن التي ستظهر في آخر الزمان لنعمل على اجتنابها، وأيضا معرفة شروط المنتظر الحقيقي لطلعته الشريفة بهدف تحقيقها وتطبيقها عملياً.

وبعد أن يغوص في بحار العلم والمعرفة، سوف يكون قادراً على القيام بعد ذلك بمهمة تعليم الآخرين وتثقيفهم، فيسعى جاهداً لانتشال ظلمات الجهل والغفلة التي تحيط بمن حوله من الناس، وإشاعة نور العلم والمعرفة في أرجاء المجتمع. (من كان من شيعتنا عالماً بشريعتنا وأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلم جهلهم إلى نور العلم الذي حبوناه به، جاء يوم القيامة وعلى رأسه تاج من نور يضيء لأهل جميع تلك العرصات، وعليه حلة لا يقوم لأقل سلك منها الدنيا بحذافيرها، ثم ينادي مناد يا عباد الله هذا عالم من تلامذة بعض علماء آل محمد ألا فمن أخرجته في الدنيا من حيرة جهله فليتشبث بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى نزه الجنان)^(١).

والأفضل من ذلك أن يكون المعلم بنفسه قدوة صالحة وخير مثال للشخصية المؤمنة (كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم)^(٢) روي أن الإمام الهادي عليه السلام قال: (لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه الصلاة والسلام من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله، ولكنهم الذين يمسون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢

(٢) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٣٠٩

يمسك صاحب السفينة سكانها أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل^(١).
 عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام قال: قال الحسين بن علي عليه السلام:
 (من كفل يتيماً قطعته عنا محتتنا باستارنا، فواساه من علومنا التي سقطت
 إليه حتى أرشده وهداه، قال الله عز وجل: أيها العبد الكريم المواسي لأخيه،
 أنا أولى بالكرم منك، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علمه
 ألف ألف قصر، وضموا إليها ما يليق بها من سائر النعيم)^(٢).
 قال موسى بن جعفر عليه السلام فقيهٌ واحد يُنقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عنا وعن
 مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه، أشد على إبليس من ألف عابد. لأن العابد همّه
 ذات نفسه فقط، وهذا همّه مع ذات نفسه ذوات عباد الله وإمائه لينقذهم من يد
 إبليس ومردته، فلذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد وألف ألف عبادة)^(٣).

ب) تهذيب الناس وهدايتهم:

إن هداية البشر وتربيتهم من الأهداف السامية التي بعث من أجلها الأنبياء
 والرسل عليهم السلام: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
 وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٤).
 والموالي الذي يحمل بقلبه عشق المهدي، لا بد أن يكون شخصية رسالية
 إيمانية تتبع منهج الأنبياء عليهم السلام في إصلاح الأمة وتوعيتها. يسعى إلى جذب
 قلوبهم إلى الباري تبارك وتعالى، وتعريفهم بالمنهج التربوي والأخلاقي عند
 أهل البيت عليهم السلام، وذلك من خلال الاجتهاد في طرح الدروس الأخلاقية

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٦

(٢) الإمام المهدي في القرآن والسنة ص ٥٢١

(٣) الإمام المهدي في القرآن والسنة ص ٥٢١

(٤) الجمعة ٢

والتربوية، وحثهم على إصلاح النفس الإنسانية والارتقاء بها إلى مدارج الكمال روحياً وفكرياً وأخلاقياً.. ونشر معاني المحبة والألفة فيما بينهم..
 فيصنع بذلك مجتمعاً منتظراً مؤهلاً لاستقبال الركب المهدوي والجهاد بين يدي المولى صاحب العصر والزمان، فيسعى لتربية جيل مؤمن وصالح عقائدياً وفكرياً وأخلاقياً.

ج) نشر الثقافة المهدوية:

ان التسارع والتسابق في نشر الثقافة المهدوية من صور الخدمة المهدوية، فالعاشق للإمام الحجة عليه السلام لابد أن يكشف جهوده وطاقاته في خلق أجواء عامة لتحريك المجتمع نحو الفكر المهدوي وتعريفهم بالعتيدة المهدوية، ونشر الثقافة المهدوية التي تهدف إلى تفعيل قضايا الإصلاح في المجتمع البشري، وهذا من خلال عدة مجالات منها:

١- التعريف بالقضية المهدوية عن طريق برامج إعلامية متعددة تواكب عصر التكنولوجيا، ولذلك لابد للموالي أن يكون شخصاً إعلامياً يحمل على عاتقه مسؤولية تأسيس وبناء مجتمع مهدوي منتظر للإمام الحجة صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف. وهذا من خلال توفير إعلام ثقافي وثقافة إعلامية تمتلك عناصر جيدة وأساليب ناجحة، واستراتيجيات مقننة لإيجاد حالة من القوة والفاعلية في عملية التأثير على هذه المجتمعات، حتى تدعن للوعد الإلهي فتجند نفسها لنصرة الحق والعدالة والقيم الإنسانية، وتقف صفاً مع الإمام العادل والولي الصالح لتحارب معالم الجهل والطغيان والظلم وتشر راية السلام والأمان، ولنا أن نذكر بعضاً من هذه الطرق:

● إقامة المحاضرات والندوات والمؤتمرات والتي تبحث في هذه القضية وتنمي وعي الجمهور بها، (من أعاننا بلسانه، على عدونا انطقه الله بحجته يوم موقفه بين يديه عز وجل) ^(١).

● إنتاج مسلسلات ومسرحيات وأفلام سينمائية تاريخية ضخمة تدبلج بمختلف اللغات تتعلق بعقيدة الإمام المهدي.

● كتابة المقالات الصحفية والقصص والأشعار الأدبية، وتأليف الكتب، ونشر المطبوعات من أجل هذه القضية.

● عمل مسابقات وأنشطة ثقافية مستمرة تعنى بالقضية المهدوية .

٢- تفعيل ثقافة الانتظار لصنع مجتمع ممهد ومنتظر للإمام المهدي عليه السلام يتسم أفرادُه بالعقيدة الإيمانية والقيم الأخلاقية، التي تصبح مؤهلة تاهيلاً سليماً لاستقبال الأنوار والإشراقات الإلهية المتمثلة في نوره المبارك.

٣- تطهير المجتمع الإسلامي من خطورة الأفكار الضالة والأكاذيب الباطلة والتيارات المغرضة والمعادية لعقائد الإسلام، والتي لا تمت إلى القضية المهدوية بصلة. فعلى سبيل المثال الأفكار التي تنكر الفكرة المهدوية أصلاً وتدعي بأن المهدي عليه السلام هو عيسى بن مريم، أو التي تدعي المهدوية أو تنسبها إلى أحد من الناس غير صاحبها.

٤- تحذير المجتمع من النفوس الخبيثة التي تدعي المهدوية، وليس لها هدف سوى زعزعة الإسلام والمسلمين.

٥- حث أفراد المجتمع الإسلامي بتكوين علاقة روحية وعاطفية مع الإمام المهدي عليه السلام.

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ١٣٥

فليس من الصعب أن يكون الإنسان من الدعاة إلى محبة الإمام المهدي ومن المحركين إلى عشقه، روي أن الإمام الباقر عليه السلام قال: (أوحى الله تعالى أحبيني وحبيني إلى خلقي، قال موسى: يا رب انك لتعلم انه ليس احد أحب إلي منك فكيف لي بقلوب العباد؟ فأوحى الله إليه: فذكرهم نعمتي وآلائي فإنهم لا يذكرون مني إلا خيراً) ^(١).

فلا بد أن يسعى الإنسان إلى تحبيب الناس بالإمام المهدي عليه السلام وترغيبهم في الارتباط به؛ لأنه ولي الله وباب الله ولديه ميراث الأنبياء، وهو مصدر للكمالات الإلهية، وبنوره يرتقي الإنسان إلى مدارج السعادة الحقيقية والأبدية، كما جاء في دعاء الندبة: «أين باب الله الذي منه يؤتى، أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء، أين السبب المتصل بين الأرض والسماء».

حيث أنه لا حب إلا بمعرفة، ولا ارتباط إلا بمعرفة، فالإنسان الجاهل بالإمام وبمنزلته عند الله وبسيرته العطرة والكرامة والبعيد عنه روحياً وعاطفياً لا يمكن له أن يعشقه أو يرتبط به.

٦- توعية المجتمع بأهمية الاستعداد المستمر والدائم روحياً وعملياً لظهور الطلعة الرشيدة، وهذا ما وصى به الإمام المهدي بنفسه المؤمنين حيث قال: (فليعمل كل امرئ منكم ما يقرب به من محبتنا، ويتجنب ما يذنيه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتة فجاءة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة والله يلهمكم الرشد ويلطف لكم في التوفيق برحمته) ^(٢).

وهذه العلاقة تقتضي من الإنسان عشق الإمام وملازمته والشعور بغيبته وغرْبته والدعاء له بالفرج.

(١) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٢٢

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٤ ص ٤٦١

الفصل الرابع

علائم ظهور المعشوق

معرفة علائم ظهوره:

العلائم مفردتها علامة، والعلامة هي السمة والأمانة، وتعني ما ينصب فيتهدى به..

فعلائم الظهور تمثل منارات يتهدى بها الإنسان إلى قرب ظهور الحجة الشكينة، لكن ما الهدف من معرفة علائم الظهور في حال أننا أيقنا وجزمنا بحتمية الظهور المبارك؟ وهل عدم معرفتها تؤثر في تعجيل أو تأخير الظهور؟
الجواب: إن معرفة علائم الظهور لا تؤثر في نفس الظهور، ولا توجد علية أو سببية بين معرفة العلائم وبين نفس الظهور، وإنما معرفتها يؤثر في نفس المؤمن المنتظر للظهور المبارك لإمام زمانه، ومن أهم فوائد معرفة علائم الظهور ما يلي:

١- إن تحقق العلامات يعتبر تصديقاً للبشارات السماوية بالقضية المهدوية التي أعلن عنها الأنبياء والأولياء مما يقوي الجانب العقدي عند المؤمن.
٢- إن تحقق علامة تلو أخرى، يولد الأمل في قلوب المؤمنين فتطمئن بقرب الفرج.

٣- إن معرفة العلائم تجعل إيمان الإنسان قوياً وثابتاً لا يتزلزل ولا يتأثر بالدعاوي الباطلة لمدعي المهدوية، ولا ينحرف وراء الصيحات المنحرفة

والضالة لمدعي السفارة والنيابة.

٤- إن معرفة ملامح اليوم الموعود وإرهاصاته تخلق في نفس المنتظر حالة الجذ والاجتهاد والاستعداد لاستقبال ذلك اليوم المبارك ولنصرة الإمام المهدي عليه السلام.

٥- إن الموالي العاشق إذا تعرّف على علائم الظهور، وما يؤول إليه المجتمع البشري من فساد وانحراف، يسعى مباشرة إلى تغيير الوضع المأساوي، فيقوم بعمليات الإصلاح، سواء كان على الصعيد الفردي أو الاجتماعي، فيبدأ بإصلاح نفسه ومن ثمّ إصلاح الآخرين من حوله.. لا أن يسترخي ويضعف أمام هذا السيل الجارف من البلاءات والمحن، بل ينشر الوعي والثقافة بين جمهور الناس لمكافحة الظلم والفساد، كما ورد في توقيعه الشريف لأبي إسحاق: (إذا بدت لك أمارات الظهور والتمكين فلا تبطيء ياخوانك عنا) ^(١).

وعلائم الظهور تنقسم إلى عدة أقسام:

القسم الأول: العلامات الغير مقارنتة للظهور المبارك:

وهي العلامات العامة التي تحدث قبل ظهور الإمام القائم عليه السلام بعشرات السنين. سئل الإمام علي متى يخرج الدجال؟ فقال له علي عليه السلام: (اقعد فقد سمع الله كلامك وعلم ما أردت، والله ما المسؤول عنه بأعلم من السائل، ولكن نذلك علامات وهيئات يتبع بعضها بعضا كحذو النعل بالنعل، وإن شئت أنبأتك بها قال: نعم يا أمير المؤمنين.

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٦

فقال ^{عائشة}: احفظ، فان علامة ذلك إذا أمت الناس الصلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرشا، وشيدوا البنيان وباعوا الدين بالدنيا، واستعملوا السفهاء، وشاوروا النساء، وقطعوا الأرحام، واتبعوا الأهواء، واستخفوا بالدماء. وكان الحلم ضعفاً، والظلم فخراً، وكانت الأمراء فجرة، والوزراء ظلمة، والعرفاء خونة، والقرءاء فسقة وظهرت شهادات الزور، واستعلن الفجور وقول البهتان والإثم والطغيان، وحليت المصاحف، وزخرفت المساجد، وطولت المنار، وأكرم الأشرار، وازدحمت الصفوف، واختلفت الأهواء، ونقضت العقود، واقترب الموعود، وشارك النساء أزواجهن في التجارة حرصاً على الدنيا، وعلت أصوات الفساق، واستمع منهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، واتقى الفاجر مخافة شره، وصدق الكاذب، وأوتمن الخائن، واتخذت القيان والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، وركب ذوات الفروج السروج، وتشبه النساء بالرجال، والرجال بالنساء، وشهد شاهد الزور من غير أن يستشهد، وشهد الآخر قضاء لدمام بغير حق عرفه، وتفقه لغير الدين، وآثروا عمل الدنيا على الآخرة، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، وقلوبهم انتن من الجيف وأمر من الصبر، فعند ذلك الوحا الوحا العجل العجل^(١).

الرواية السابقة تصف معالم الانحراف والانحلال وضياع الشرائع والأحكام، وما يحدث من تبدل للمفاهيم والقيم والمبادئ في المجتمعات البشرية. وهذه الانحرافات والتغيرات تحدث في جميع جوانب المجتمع الإنساني، سواء الجانب السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو الأخلاقي أو العبادي، مثل إضاعة الصلاة والأمانة والكذب والخيانة وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وشهادة الزور وغيرها.

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٩٤

القسم الثاني: العلامات القريبة من زمن الظهور المبارك:

وهي العلامات الخاصة التي تحدث في زمن الظهور المبارك، ومنها ما هو غير قطعي الحدوث، ومنها ما هو قطعي الحدوث. وكلا القسمين منه ما هو دال على الأحداث الشخصية، ومنها ما هو دال على حدوث الآيات السماوية والأرضية، ومما ما دل على التغيرات الاجتماعية:

أولاً: علائم غير حتمية الوقوع:

أي يحدث وقوعها، ويحتمل عدم وقوعها، فهي ليست من العلائم القطعية. وهي:

أ) خروج الحسيني الهاشمي:

وهو من العلائم التي لا يقطع بحدوثها، وغير محتومة الوقوع، وتعددت الروايات التي تخبر عن هذه العلامة، ومفادها أن هذا السيد رجل من بني هاشم، ومن ذرية رسول الله ﷺ، وأنه في سن الشباب، وبكفه اليمنى خال، ويخرج من خراسان.

وتذكر الروايات أن الحسيني يصل بجيشه إلى العراق بعد خروج جيش السفيناني من الكوفة، وارتكابه الفجائع وإراقته للدماء وسببه للنساء وحملهن إلى الشام. وعندما يصل الهاشمي إلى الكوفة، عندها يعلم بخروج السفيناني من الكوفة متوجهاً إلى الشام، ثم يصل اليماني أيضاً إلى الكوفة ومعه جيش جرار، فيخرج اليماني والهاشمي بجيشهما لملاحقة السفيناني، فيلتقيان بالسفيناني ويقع بينهما قتال كبير، فينتصر الهاشمي ويقضي على جيش السفيناني كاملاً، ويرجع إلى الكوفة بعد استنقاذ السبايا.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: (يخرج شاب من بني هاشم بكفه اليمنى خال، من خراسان برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح يقاتل أصحاب السفيناني فيهم مهم) ^(١).

ب) الكسوف والخسوف:

قال الإمام الباقر عليه السلام: (آيتان بين يدي هذا الأمر: خسوف القمر لخمس - أي قبل خمسة أيام من نهاية الشهر - وكسوف الشمس لخمس عشرة، ولم يكن ذلك منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض، وعند ذلك يسقط حساب المنجمين) ^(٢).
في الحالات الطبيعية والاعتيادية أن كسوف الشمس يحدث أواخر الشهر، بينما خسوف القمر يحدث في وسط الشهر، لكن هذه القاعدة سوف تتبدل وتتغير قبيل ظهور الإمام عليه السلام، بحيث يتغير زمان الخسوف والكسوف، ويتبدل المجرى الطبيعي لسير الشمس والقمر والكرة الأرضية.

والرواية توضح أن الخسوف سيحدث في آخر الشهر وأما الكسوف سيحدث في وسط الشهر، وهذا الأمر إعجاز إلهي ليس من صنع البشر، ولا من قبيل الصفة، لذلك تعتبر هذه الظاهرة علامة سماوية لظهور الحجة عليه السلام.

ج) الإبادة البشرية:

هناك عديد من الأحاديث تصرّح بهلاك الناس وإبادتهم، وسواء كانت الإبادة بسبب القتل أو الجوع أو الأمراض.

فعن الإمام علي عليه السلام: (بين يدي القائم - أي قبل ظهور المهدي - موت

(١) شرح إحقاق الحق ج ٢٩ ص ٤١١

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٠٧

أحمر، وموت أبيض، وجراد في حينه، وجراد في غير حينه كألوان الدم، فأما الموت الأحمر فالسيف، وأما الموت الأبيض فالطاعون^(١).

ثانياً: علائم حتمية الوقوع:

وهي العلامات التي تحدث قطعاً وتكون مقارنة ومتزامنة مع الظهور المبارك، بعضها يحدث قبل أيام من الظهور، وبعضها يحدث قبل قيام الإمام وبدء النهضة المهدوية، وهي خمس علامات كما جاء في الروايات: (قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني، والسفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء)^(٢).

أ) اليماني:

وردت العديد من الروايات تخبر عن خروج اليماني، لكنها في نفس الوقت لا تعطي معلومات كافية لمعرفة هذه الشخصية.

(وخروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً)..

وليس في الرايات أهدى من راية اليماني، هي راية هدى لأنه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس وكل مسلم وإذا خرج اليماني فانهض إليه فإن رايته راية هدى، ولا يحل لمسلم ان يتلوى عليه فمن فعل ذلك فهو من أهل النار، لأنه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم)^(٣).

فتحكي هذه الرواية على أن اليماني رجل هاشمي، وأن رايته راية هدى،

(١) إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب ص ١٢٨

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٠٤

(٣) معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٢ ص ٢٥٥

بمعنى أنه رجل صالح يدعو إلى طريق الهدى والصلاح، وأنه يخرج في سنة واحدة أو في شهر واحد مع خروج السفيناني والهاشمي، ثم توصي الرواية بالالتحاق بجيشه وجنوده؛ لأنه ناصرٌ للحق يدعو إلى إتباع الإمام المهدي والالتحاق لنصرته.

ب) السفيناني:

السفيناني: هو رجل يرجع نسبه إلى بني أمية، ويقال أن اسمه «عثمان بن عنبسه»، روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس، وهو رجل ربعة، وحش الوجه، ضخم الهامة، بوجهه أثر جدري، إذا رأته حسبته أعور، اسمه عثمان وأبوه عنبسة، وهو من ولد أبي سفينان، حتى يأتي أرضاً ذات قرار ومعين، فيستوي على منبرها) ^(١).

فهو أموي النسب، بل وأموي الطباع والأفعال. أوصافه لا تفترق عن أوصاف آبائه وأجداده، فقد دلت عليه الروايات التي تتحدث عنه، بأنه رجل متوحش، وحشي الطباع، قاسي القلب، سفاك الدماء، قاتل النفس المحترمة، هاتك للحرمات، ويبيح المنكرات ويعيث في الأرض الفساد والظلم..

روي عن حذيفة بن اليمان أن النبي ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قال: (فينا هم كذلك يخرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين: جيشاً إلى المشرق، وآخر إلى المدينة، حتى ينزلوا بأرض بابل من المدينة الملعونة، يعني بغداد، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويفضحون أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة

(١) إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب ج ٢ ص ١١٢

كباش من بني العباس) (١).

عن أبي عبد الله: (لو رأيت السفيناني رأيت أخبث الناس، أشقر أحمر أزرق يقول: ثاري ثم النار ثاري ثم النار، ولقد بلغ من خبثه أنه يدفن أم ولد له وهي حية مخافة أن تدل عليه) (٢).

والأدهى من ذلك أنه كأسلافه يحمل حقداً وكرهاً دفيناً لأهل البيت عليهم السلام، يقتل الناس على الهوية وبتهمة إتباعهم وولائهم لأهل البيت. (ويقتل من كان اسمه محمداً وأحمداً وعلياً وجعفرأً وحمزة وحسناً وحسبنا وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم وخديجة وعاتكة حنقا وبغضا.. ثم يبعث فيجمع الأطفال، ويغلي الزيت لهم فيقولون إن كان آباؤنا عصوك فنحن ما ذنبنا؟ فيأخذ منهم اثنين اسمهما حسن وحسين فيصلبهما، ثم يسير إلى الكوفة فيفعل بهم كما فعله بالأطفال، ويصلب على باب مسجدها طفلين أسماؤهما حسن وحسين، فتغلي دماؤهما كما غلي دم يحيى بن زكريا عليه السلام) (٣).

ولهذا العداً لأهل البيت عليهم السلام المتأصل في نفس السفيناني، سوف يخطط للقبض على الإمام الحجة بعد أن تصل أخبار ظهوره المقدس في المدينة ومكة.

حينها يجهز السفيناني جيشاً مؤلفاً من ١٤٢ ألف رجلاً، يبعث قسماً منه مؤلفاً من ١٢ ألف رجلاً إلى المدينة للقبض على الإمام المهدي، والقسم الآخر إلى العراق. أما ما يتعلق بالجيش الذي ذهب إلى المدينة يمكث فيها

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٨٦

(٢) إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب ج ٢ ص ١١٥

(٣) معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٢ ص ٩٢

ثلاثة أيام يكثرون فيها النهب، وبعدها يتجهون إلى مكة المكرمة لملاحقة الإمام وقتله عليه السلام، وعندما يصلون إلى منطقة صحراوية بين المدينة ومكة، تبتلعهم الأرض ولا ينجو منهم إلا رجلان، رجل يذهب إلا الإمام ليخبره بهلاك الجيش، والآخر يذهب للسفياني ليخبره بمصير الجيش.

أما جيش السفياني الذي يقصد العراق يعث أيضا في مناطقها ومدنها إلى أن يصل إلى الكوفة، هناك يخرج إليهم خمسة آلاف جندي من بغداد إلى الكوفة لمحاربة جيش السفياني، فيتقابل العسكران ويتقاتلان ويكون الانتصار للسفياني وجيشه، وبعد ذلك يرجع جيش السفياني إلى الشام.

فيتوجه الإمام عليه السلام نحو الشام لمحاربة السفياني، ويلتقي الجيشان جيش المهدي وجيش السفياني، ويجري حوار بين المهدي والسفياني ينتهي بمبايعة السفياني للإمام المهدي عليه السلام، لكن الطبع الأموي متأصل في شخصية السفياني، فلا يبرح حتى ينكث عهده. وفي اليوم التالي يأخذ بإعداد العدة وحشد الحشود لحرب الإمام عليه السلام، فتحدث آنذاك معركة حامية الوطيس بين معسكر العدالة ومعسكر الظلم، تنتهي بالنصر المبين لصوت الحق والعدل، فينصر الله المهدي على السفياني فيقتله ويفني أنصاره.

ج) النفس الزكية:

قتل النفس الزكية من العلامات التي لا تفك عن الظهور المبارك، بينها وبين الظهور خمسة عشر ليلة حسب تصريح الروايات، عن صالح قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (ليس بين قيام القائم وبين قتل النفس الزكية إلا خمس عشرة ليلة)^(١).

اختلف في نسب شخصية النفس الزكية، فقيل: إنه حسني، وقيل: حسيني، ولكن في نهاية الأمر يعود نسبه إلى آل بيت رسول الله ﷺ. وذكرت الروايات أنه غلام في سن الشباب، وسبب تسميته بالنفس الزكية، لأنه يقتل بين الركن والمقام بلا ذنب ولا جرم، سوى أنه مبعوث من قبل الإمام المهدي عليه السلام، ويحمل رسالة شفوية منه إلى أهل مكة، ومضمون الرسالة لا يحمل عنوان السب أو الشتم أو التهديد، وإنما كان بعنوان الاستنصار والاستنجاد بأهل مكة. ومجرد أن يبلغهم ما تحمله رسالة الإمام، يقتلوه بين الركن والمقام.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «يا قوم إن أهل مكة لا يريدونني، ولكني مُرسل إليهم لأحتج عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتج عليهم» فيدعو رجلاً من أصحابه فيقول له: امض إلى أهل مكة فقل: يا أهل مكة.. أنا رسول فلان إليكم وهو يقول لكم: إنا أهل بيت الرحمة ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذرية محمد وسلالة النبيين، وإنا قد ظلمنا واضطهدنا وقهرنا وابتزنا حقتنا منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا، فنحن نستنصركم فانصرونا. فإذا تكلم هذا الفتى بهذا الكلام أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام وهي النفس الزكية^(١).

وما هذه الصورة المروعة لقتل النفس الزكية، إلا دليل وشاهد على ما يصل إليه المجتمع آنذاك من انحطاط فكري وسلوكي وأخلاقي واستخفاف بالحق والقيم والمبادئ..

وفي قتل نفسٍ بعد ذاك زكيةً أماراتُ حقٍّ عند من يتذكرُ
وآخرُ عند البيتِ يُقتلُ ضيعةً يقومُ فيدعو للإمام فينحرُ^(٢)

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٠٧

(٢) شرح إحقاق الحق ج ٢٩ ص ٢٢٩

د) الخسف بالبيداء:

إن هذه العلامة عندما تحدث، لا تحدث بسبب هزة أرضية أو زلزال أو أمر طبيعي أو فيزيائي، وإنما هو عذاب إلهي وانتقام من العزيز الجبار للسفياي وجيشه، حسب ما وضحنا آنفاً في قصة السفياي عندما ابتلعتهم الأرض. فالخسف هو عبارة عن انشقاق الأرض في البيداء وإحداث حفرة عميقة لإسقاط جيش السفياي في أعماقها، فتنهال فوقهم أطنان التراب فيدفنون تحتها وتكون بذلك خاتمتهم.

هـ) الصيحة السماوية:

الصيحة أو النداء السماوي هي العلامة الحتمية والتي لا تنفك عن يوم الظهور المبارك، وتعلن عن بداية اليوم الموعود، وكما أنها تمثل رسالة إعلامية من قبل السماء تبشّر بقيام المهدي عليه السلام وضرورة مبايعته، (يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة فيها ملك ينادي: هذا خليفة الله المهدي فاتبعوه). وحسب الروايات أن بين الصيحة وظهور المهدي عليه السلام ما يقارب ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر، فيكون النداء في ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك، وقيام المهدي عليه السلام في يوم عاشوراء، قال أبو عبد الله عليه السلام: (إن القائم صلوات الله عليه ينادي باسمه ليلة ثلاث وعشرين، ويقوم يوم عاشوراء يوم قتل فيه الحسين بن علي عليه السلام)^(١).

وهذه الصيحة ليس من فعل البشر، وإنما هي إعجاز إلهي، يسمعها جميع الناس على الكرة الأرضية، وتثير حالة التزلزل وتحدث حالة التغيير بين الناس، وهي لحظة الاختبار لجميع الأفراد من حيث التوجهات والأفكار.. عندما

ينادي المنادي أن علياً عليه السلام مع الحق فاتبعوه، حينها ستكون بشرى وبشارة لأهل الأرض وتهديد ووعيد للظالمين الطغاة النازحين عن طريق الحق والعدل، وستعم الفرحة قلوب المؤمنين العاشقين، ويدب الخوف والقلق في قلوب المجرمين الحاقدين.

قال الامام الباقر عليه السلام: «وينادي مناد من السماء باسم القائم عليه السلام لا يبقى راقداً إلا استيقظ، ولا قائماً إلا قعد، ولا قاعداً إلا قام على رجله فزعاً من ذلك الصوت، فرحم الله من اعتبر بذلك الصوت، فأجاب، فإن الصوت الأول هو صوت جبرائيل الروح الأمين»^(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (إذا نادى منادي أن الحق في آل محمد عليهم السلام، فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس، ويسرون فلا يكون لهم ذكر غيره)^(٢).

وفي رواية أخرى (وقد نودوا نداءً يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب يكون رحمة للمؤمنين وعذاباً للكافرين)^(٣).

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٣٠

(٢) حياة الامام المهدي عليه السلام ص ٢٧٩

(٣) الغيبة ص ٤٣٩

A decorative rectangular border with intricate floral and vine patterns, featuring large floral motifs at the corners and smaller ones along the sides.

الباب الخامس

أنصار المعشوق

الفصل الأول

أصحاب وأنصار المهدي عليه السلام

إن من الضروري للقائد السماوي والذي قد أنيط به مهمة سماوية تقتضي ثورة إصلاحية عالمية، أن يكون له أصحاب وأنصار يعينونه على أداء مهمته السماوية، وقيام ثورته العالمية، وإقامة الحكومة الإسلامية العادلة. فوجود الأنصار خلف القيادة له أهمية في نجاح الحركة التغييرية والبلوغ إلى نهاية الهدف؛ لذلك لا بد أن يتميز هؤلاء الصفوة الذين اختارهم الله ومنحهم شرف صحبة القائم بصفات وسمات أعطتهم هذه المكانة .

وإن عشق الإمام المهدي عليه السلام يتطلب نصرته ..ومن أراد أن يصل إلى مقام نصرته عليه السلام، فلا بد أن يتجاوز مراحل متتالية:

المرحلة الأولى: أن يسعى الإنسان سعياً حثيثاً إلى نصرته الإمام عليه السلام من خلال الدعاء والتوسل والعمل للإصلاح الفردي والجماعي.

وأما المرحلة الثانية تقتضي إيجاد المؤهلات والقدرات في الموالى، والتي تمكنه من الارتقاء إلى مقام النصرته المهدوية، وهي التي ذكرناها سابقاً في دلالات الانتظار.

من ثم تأتي مرحلة الغربة والتمحيص والاختبار الإلهي لمعرفة قدرته على الثبات على تلك المؤهلات، وعدم التزلزل والتنازل عن المبادئ عند

مواجهة الصعوبات والضغطات النفسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية . وبالتالي لا بد أن يكون هناك تفاوت في درجة الامتحان على حسب درجة الإخلاص والثبات والتضحية، لذلك يتطلب أن يتعرف الموالى على أصحاب الإمام وأنصاره وعشاقه ليصل إلى مرتبتهم ومنزلتهم.

الفرق بين مقام الصحبة والنصرة:

ولقد جاءت الروايات توضح لنا عدة نقاط تتعلق بأصحاب الإمام المهدي وأنصاره، وتوضح الفرق بين مقام النصرة والصحبة. ومنها:

١- أن عدد أصحاب الإمام عليه السلام عدد أصحاب بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وخمسين امرأة.

روي عن الإمام زين العابدين: (المفقودون عن فرشهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدة أهل بدر، فيصبحون بمكة وهو قول الله عز وجل أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً وهم أصحاب القائم) ^(١).

وهذا دليل على الشبه القائم بين ثورة النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وثورة الإمام المهدي وأصحابه، حيث أن الإمام عليه السلام يدعو الناس إلى أمر جديد كما دعى إليه رسول الله وان الإسلام يعود غريباً كما بدأ غريباً.

فهذا العدد من الأصحاب وهو الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، هم من خاصة أصحابه وخيارهم، وهم حكام الله في أرضه وقادة لجيوش الإمام المهدي. ولكن للمهدي عليه السلام فئة أخرى غيرهم، وهم الأنصار المؤمنون الذين يلتحقون به في مكة وغيرها. وان عدد جيشه الذي يخرج إلى مكة يصل ما

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٥ ص ٢٠

يقارب عشرة آلاف رجل من الأنصار، والذي يصل إلى العراق يبلغ مئات الألوف، فان للإمام ملايين الأنصار والمخلصين .

٢- وأيضاً أنّ هناك فرق في مستوى النصرة بين الأصحاب والأنصار، فالأصحاب هم ذوي المقامات العالية في مقام النصرة، ويليهم الأنصار. وسبب التفاوت في درجاتهم يرجع إلى الاختلاف والتباين في مستوى الإخلاص التي تبرزها مرحلة التمحيص والاختبار في عصر الغيبة، لذلك يُوكّل إلي الأصحاب الدور القيادي في جميع المجالات، كما عبّر عن ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «هم أصحاب الألوية»^(١) بينما الأنصار يعملون تحت إمرتهم وقيادتهم.

٣- ونتيجة للتفاوت في درجة الإخلاص أيضاً، يكون الأصحاب أسرع التحاقاً بإمام زمانهم من الأنصار، وأسرع مبايعة له، حيث يلتحقون بالمهدي عليه السلام في مكة ويحضرون خطبته ويبايعونه.. بينما الأنصار يفتدون إلى مكة بعد الخطاب بعدة ليالي .

٤- إن الأصحاب أنفسهم يتفاوتون في درجاتهم، فهم يتكونون من ثلاث مجموعات: مجموعة تدخل مع الإمام إلى مكة، ومجموعة تسير إليه في السحاب أو الهواء، ومجموعة تبيت ذات ليلة في بيوتهم فلا يشعرون إلا وهم في مكة.

قال الإمام الباقر: (منهم من يفقد عن فراشه ليلاً فيصبح بمكة، ومنهم من يرى يسير في السحاب نهاراً، يعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبه.

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي ص ٥٥ ص ٢٢

قلت جعلت فداك أيهم أعظم إيماناً؟

قال: الذي يسير في السحاب نهارة^(١).

ولعلّ الإمام عليه السلام في الرواية يشير إلى أن الذين يسرون في السحاب أفضل من الذين يفقدون عن فرشهم ليلاً، فسيرهم في السحاب على نحو الإعجاز والكرامة؛ لأنهم الأبدال الذين يتصل بهم ويكلفهم أعمال يقومون بها.. بينما المفقودون من فرشهم ليلاً، فيبيتون تلك الليلة ولا يعلم أحدهم أنه عند الله أحد أصحاب الإمام، لكن صفاتهم من تقوى وعبادة وإيمان أهلتهم للوصول إلى هذا المقام، فينقلهم المولى تبارك وتعالى إلى مكة المكرمة ليتشرفوا بخدمة الإمام المهدي عليه السلام.

٥- تصف الروايات أنّ أغلب أصحاب المهدي عليه السلام من الشباب، لا كهول فيهم. وإن كان فيهم كهول فإنّ عددهم قليل جداً كالملح في الزاد، وأنهم من خيرة العباد، وأنهم الفقهاء والحكّام والقضاة، وأنّ الله يؤلّف بينهم فلا يستوحشون من احد، ولكن الأنصار متفاوتو الأعمار.

٦- أنّ الأصحاب متنوعون من ناحية اللغة والديانة والقوميات والأوطان، فمنهم المسلمين وغير المسلمين، والعرب والعجم، رجالاً كانوا أو نساء، فالمرأة في عصر الإمام المهدي لها دور عظيم في حكومة الإمام عليه السلام، لكنهم متحدّين في العقيدة والتفكير والرأي والقول.

وسوف نعرض في هذه الصفحات بعض النماذج الناصعة من الأصحاب والأنصار على مختلف عصورهم، لنوضح الصفات المشتركة بينهم، خاصة

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٦٨

الإيمانية منها والأخلاقية والنفسية. والهدف من هذا العرض هو أن يتعرف الموالي العاشق على جوانب هذه الشخصيات النورانية، ويقتدي بها في التحلي بصفاتها العالية وخصالها الحميدة، ويجسدها على مسرح الحياة ليتمكن من الانضمام في ذلك الموكب الرباني، فنصرة المهدي عليه السلام لن تتحقق إلا عندما تتوفر في الإنسان معايير خاصة من الصفات .

مؤمن آل فرعون:

يدعى حزقيل أو حزبيل، كان يعيش في زمن نبي الله موسى عليه السلام، وهو من أسرة فرعون، وقيل: انه ابن عمه. لذلك كان له منصب عالي ومكانة رفيعة في المملكة الفرعونية، حيث اعتبره فرعون خليفته على ملكه وولي عهده، لذلك كان يشاركه في جلساته الاستشارية.

ولكن حزقيل كان عبداً مؤمناً يكتُم إيمانه، وكان مؤمناً بنبي زمانه نبي الله موسى عليه السلام، ويرى بأنه رجل صالح وشخصية ربانية . لذلك كان يتأمل في أن يقوم موسى عليه السلام بثورة إلهية ضد ظلم وجبروت فرعون، فجعل من نفسه ناصحاً ومخلصاً له، يدافع عنه ويحميه من الأخطار التي ممكن أن تحدث به من فرعون وأعوانه، ويذكر القرآن موقفه البطولي حينما وقف أمام أعوان فرعون وهموا بقتل موسى عليه السلام فقال لهم: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾^(١).

وروي أن الإمام الصادق عليه السلام قال عنه: (كان حزبيل مؤمن آل فرعون،

يدعو قوم فرعون إلى توحيد الله ونبوة موسى، وتفضيل محمد رسول الله ﷺ على جميع رسله وخلقه، وتفضيل علي بن أبي طالب والخيار من الأئمة على سائر أوصياء النبيين، والى البراءة من ربوبية فرعون^(١).

وكذلك مدحه النبي محمد ﷺ ولقبه بالصديق: (الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذي قال: يا قوم اتبعوا المرسلين، وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم)^(٢).

وجاء في مجمع البيان معنى الصديق: هو المصدق بكل ما أمر الله به وبأنبيائه، لا يدخله في ذلك شك، ويؤيده قوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(٣).

وقال صاحب العمدة: الصديق هو الملازم للصدق الدائم في صدقه، والصديق من صدق عمله قوله^(٤).

ومما سبق يتضح لنا جلياً، عدة من الخصال الحميدة التي كان يتصف بها حزقيل ومنها: قوة إيمانه، وصلابة عقيدته، ومعرفة حجة الله في ذلك الزمان، والعمل على خدمته، والدفاع عن أهدافه السامية، وأن عشقه لأهل بيت النبوة محمد وآله الطاهرين وسمو أخلاقه، قلده وسام البطولة وأهّلته لأن يكون من الراجعين في عصر ظهور الإمام المهدي والناصرين له والمساهمين في تحقيق دولة العدل والإنسانية.

(١) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ١٢

(٢) الميزان ج ١٧ ص ٨٣

(٣) مجمع البيان ج ٣ ص ١٢٦

(٤) بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٤١٣

روي أن الإمام الصادق عليه السلام قال: إذا قام قائم آل محمد استخرج من ظهر الكعبة سبعة عشر رجلاً، خمسة من قوم موسى الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أصحاب الكهف، ويوشع وصي موسى، ومؤمن آل فرعون، وسلمان الفارسي، وأبا دجانة، ومالك الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً^(١).

أصحاب الكهف:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(٢).

لقد عبرت الآيات القرآنية عن أصحاب الكهف بالفتية الذين آمنوا بربهم. والفتوة لا يقصد منها صغر السن، وإنما دلالة على صفة الشجاعة والشهامة والقوة، فكانوا عدداً من الفتية تجمعهم صفة الإيمان والنصرة للحق، ولشدة إيمانهم وتعلقهم بالرب تبارك وتعالى، وإتباعهم لتعاليم ولي عصرهم المسيح عيسى عليه السلام، رفضوا كل صور الشرك والظلم والفساد التي انتشرت في مجتمعهم، وتخلوا عن مناصبهم الدنيوية وامتيازاتهم المادية، وعمدوا إلى اللجوء إلى الكهف، ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾^(٣).

لجأوا إلى ذلك الغار الذي يفتقد إلى مظاهر الزينة والنعيم ويحاط بأنواع المخاطر والصعاب، وذلك من أجل الابتعاد عن طرق الباطل ومواطن التلوث العقائدي والروحي، والانفراد بعبادة الله عز وجل، والتقرب إليه بالصلاة والدعاء.

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٥ ص ١٢٢

(٢) الكهف ١٣

(٣) الكهف ١٠

وبينما هم على ذلك الحال من التحنث، أماتهم الله في كهفهم أمداً طويلاً
«ثلاثمائة وتسع سنين» حسب ما صرح به القرآن الكريم ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ
ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾^(١).

وبعد ذلك بعثهم المولى تبارك وتعالى بعد هذا الدهر الطويل. فوجدوا
أن الأوضاع والأحوال قد تغيرت وتبدلت عما كان عليه قومهم.
وتشير الآيات القرآنية إلى لفظة أخلاقية إيمانية صدرت من أصحاب
الكهف، وهي عندما استيقظوا من نومتهم بحثوا عن طعام لهم، فبالرغم من
شدة جوعهم، لم يفكروا بكمية الطعام، وإنما كان تفكيرهم ينصب على نوعية
الطعام، بحيث يكون طعاماً طاهراً زاكياً نقياً من الشبهات؛ لأنه أفضل وأقوم
لطهارة الروح والجسد. وهذه صفة من صفات أنصار الحق ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ
بِرِزْقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا
يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾^(٢).

ولكن سرعان ما انكشف حالهم للناس واجتمعوا عليهم فأخبروهم عن
قصتهم، وبعد سويعات من البعث قبضهم الله إليه، وبعدها اختلف الناس في
أمرهم، وأول ما فكر به العقلاء من أهل المدينة هو اتخاذ مسجد أو ضريح
على أجسادهم ليكون صرحاً لنصرة الحق والعدل. ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ
لَنَنْخِذَنَّهُمْ عَلَىٰ مَسْجِدًا﴾^(٣).

(١) الكهف ٢٥

(٢) الكهف ١٩

(٣) الكهف ٢١

المفضل بن عمر الجعفي:

هو أبو عبد الله مفضل بن عمر الجعفي الكوفي، من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام .. ومن خواصهما وثقاتهما، وكان رجلاً صالحاً فقيهاً، وهو صاحب الرسالة المعروفة بتوحيد المفضل المروية عن الصادق عليه السلام:

(وقد جمع من فواضل الخصال ما قلّ أن يجمعه سواه من الفقهاء الرواة وأعيان الثقات، فهو قد جمع إلى العلم الجم، والفضل الغزير، والصلاح والورع، والوكالة عن الإمامين عليهما السلام، يجمع لهما حقوق الأموال، ويصلح ما بين الناس من أموالهما، ويداري الضعفاء امتثالاً لأمرهما، وجد في قضاء حوائج إخوانه) ^(١).

عن هشام بن أحمد قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن المفضل بن عمرو هو في مصنعة له، في يوم شديد الحر، والعرق يسيل على خده، فيجري على صدره، فابتدأني فقال: (نعم والله الذي لا إله إلا هو، الرجل المفضل بن عمر الجعفي، حتى أحصيت بضعاً وثلاثين مرة، ويقولها ويكررها. وقال: نعم الوالد بعد والد) ^(٢).

وروي أنّ الإمام الرضا قال لمحمد بن سنان: (يا محمد إنّ المفضل كان أنسي ومستراح) ^(٣).

وقال أيضاً عنه بعد موته: (رحم الله المفضل فقد استراح) ^(٤).

(١) موسوعة المصطفى والعترة. ج ١٠ ص ٤٤٢

(٢) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٦٨

(٣) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٤٠

(٤) موسوعة المصطفى والعترة. ج ١٠ ص ٤٤٢

إن اتصاف المفضل بالخصال الحميدة والصفات الجليلة، كالعلم والفقہ والصلاح والورع والتقوى ومداراة الناس وقضاء حوائج أخوانه المؤمنين وخدمة أئمة زمانه من أهل البيت عليهم السلام، استحق وبجدارة أن يكون من أصحاب القائم عليه السلام بإشادة من الإمام الصادق عليه السلام حيث قال عليه السلام: (يا مفضل، أنت وأربعة وأربعون رجلاً تحشرون مع القائم، تأمر وتنهى، والناس إذ ذاك أطوع لك منهم اليوم)^(١).

صبانة زوجة حزقييل:

صبانة هي زوجة حزقييل مؤمن آل فرعون، ولقد كانت كزوجها امرأة صالحة مؤمنة تقيم في قصر فرعون، لقبت بالماشطة؛ لأن عملها كان ماشطة تمشط لبنات فرعون، وتقوم كذلك على خدمتهم.

عن ابن عباس عن النبي قال: (لما أسري بي إلى السماء مررت برائحة طيبة، فقلت لجبرائيل: ما هذه الرائحة؟ فقال: رائحة ماشطة آل فرعون وأولادها كانت تمشط ذات يوم بنت فرعون فوق المشط من يدها فقالت: بسم الله.

فقالت بنت فرعون: أبي.

قالت: لا بل ربي ورب أبيك.

فقالت لها: لأخبرن بذلك أبي. فلما أخبرته، دعا بها وبولدها، وقال لها:

من ربك؟

فقالت: إن ربي وربك الله، فأمر بالتنور من نحاس فأحمى وأمر بها

وبولدها أن يلقوا فيه.

(١) دلائل الإمامة. ص ٤٦٤

فقلت له: إن لي إليك حاجة. فقال: وما هي؟

قلت: تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنهما.

قال: لك ذلك لما لك علينا من الحق، ثم أمر بأولادها فalcقوا قبلها واحداً واحداً في التنور حتى كان آخر أولادها ولداً صيباً رضيعاً. - فأنطقه الله قبل أو ان نطقه - فقال: اصبري يا أماء فانك على الحق، وألقيت في التنور مع ولدها. ولما قتل فرعون امرأة حزقيل وأولادها كانت آسية متطلعة من كوة في قصر فرعون تنظر إلى الماشطة امرأة حزقيل كيف تعذب وتقتل، وحينما قبضت روحها عاينت آسية الملائكة وقد عرجت بروحها^(١).

فالشجاعة والقوة في الحق والوقوف بصلابة أمام رموز الباطل والظلم، هي من أسمى الصفات التي توسمت بها صبانة في حياتها، حتى كتب الله لها الرجعة مع الإمام صاحب العصر والزمان، لتكون ناصرة ومجاهدة في زمن الظهور. عن المفضل بن عمر يقول: يكرم مع القائم عليه السلام ثلاث عشر امرأة.

قلت: وما يصنع بهن؟

قال: يداوين الجرحى، ويقمن على المرضى، كما كان مع رسول الله .

قلت: فسمهن لي.

فقال: القنواء بنت رشيد، وأم أيمن، وحبابة الوالبية، وسمية أم عمار بن ياسر، وزبيدة، وأم خالد الأحمسية، وأم سعيد الحنفية، وصبانة الماشطة، وأم خالد الجهنية^(٢).

(١) فاطمة والمفضلات من النساء ص ٢١

(٢) دلائل الإمامة. ص ٤٨٥

أم أيمن:

وهي بركة بنت ثعلبة الحبشية، وكانت زوجة لمولى رسول الله زيد بن حارثة، فهي والددة أسامة بن زيد، وتكنى أم أيمن لأنه كان لديها ولد اسمه أيمن من زوجها الأول عبيد الحبشي، وقيل: أنها كانت لوالد النبي عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام، ومن ثمّ صارت مولاة للنبي ميراثا.

لذلك يقال أنها من مرضعات النبي وتشرفت بحضانتها، وقامت بخدمته، فكان النبي يناديها «أمه»، ويقول: «هي أمي بعد أمي»^(١). وإذا نظر إليها يقول: «هذه بقية أهل بيتي»^(٢).

ومن ثمّ تولّت خدمة ابنته مولاتنا فاطمة الزهراء، ويقال بأنها مكثت مع الزهراء ليلة زفافها بأمر المؤمنين لتؤنسها، هاجرت الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة، شهدت معركة احد وحنين وخيبر. وكانت تداوي الجرحى وتسقي الماء.

وأما ابنها أيمن فيقال: إنه استشهد في معركة حنين.

وروي أن النبي قال: «من سرّه أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن»^(٣).

وتعتبر أم أيمن من رواة الأحاديث، وتوفيت في عهد عثمان.

(١) كنز العمال ج ١٢ ص ١٤٦

(٢) الطبقات الكبرى ص ٢٢٣

(٣) كنز العمال ج ١٢ ص ١٤٦

الفصل الثاني

الصفات المشتركة في أنصار المهدي عليه السلام

الصفات المشتركة:

إن جميع أنصار المهدي عليه السلام وأصحابه، رجالاً كانوا أو نساءً، وبمختلف أسمائهم التي صرّحت بها الروايات، وبمختلف قومياتهم ودياناتهم ولغاتهم، وبمختلف مراتبهم ومنازلهم، وبمختلف عصورهم، سواء منهم من كان يعيش قبل عصر الظهور أو زمن عصر الظهور المبارك، لو كشفنا عن سيرة حياتهم وتأملنا في جوانب شخصياتهم لوجدناهم جميعاً يتماثلون ويتحدون في أغلب الصفات . وهي صفات جليلة ومميزات سامية أهلتهم إلى أن يكونوا قادة وجنوداً وأصحاب مناصب وأدوار في الدولة الإلهية في آخر الزمان، والتي سوف تتحقق على يد الإمام صاحب العصر والزمان لدمغ الباطل وإحقاق الحق ونشر العدالة الإنسانية في أرجاء المعمورة، وبهذه الصفات الجليلة سيقفون مع ولي العصر، إنهم بهذه الصفات جعلت لهم منزلة عظيمة ومقام كبير عند المولى تبارك وتعالى وعند خاتم الأنبياء والمرسلين النبي محمد صلى الله عليه وآله. فكان رسول الله يصرّح أمام أصحابه بعبارات الشوق والحنين لرؤية أصحاب المهدي وأنصاره ويتمنى لقاءهم فيقول: (وددت لو رأيت إخواني).

أو يقول: (آه شوقاً إلى إخواني).

فالنبي ﷺ جعلهم في مقام الأخوة، ومقام الأخوة أرفع وأسمى من مقام الصحبة، أي أن أصحاب المهدي أعظم مكانة عند رسول الله من أصحابه الذين عاشروه ونصروه، حتى أن الصحابة أنفسهم سألوا النبي ﷺ: أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟

قال: (أنتم أصحابي، وإخواني الذين لم يأتوا).

فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟

فقال: (أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم،

ألا يعرف خيله؟)

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: (فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على

الحوض)^(١).

وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: (أولئك خلفاء الله في أرضه

والدعاة إلى دينه، آه آه شوقاً إلى رؤيتهم)^(٢).

(١) التقوى والصلاح:

إن من أولى الصفات التي يتحلّى بها أصحاب الإمام المهدي عليه السلام، هي

وصولهم إلى الدرجات العليا من التقوى والصلاح، والتقوى كما عرفها الإمام

الصادق عليه السلام: (أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك)^(٣).

(١) الحق المبين في معرفة المعصومين ص ٦٠٩

(٢) نهج البلاغة ج ٤ ص ٢٨

(٣) بحار النوارج ٦٧ ص ٢٨٥

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

فهناك مؤمنين منذ أن خلق الله الأرض إلى نهاية العالم، يبنون شخصياتهم وأعمالهم على أساس من التقوى والصلاح. فمن كان أكثر إيماناً كان أشد تقوى، ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾^(٢).

هكذا بشر يعدمهم الله باستخلافهم الأرض تكريماً لهم لإيمانهم وصلاحهم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣). ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٤).

فأيما وجد الصالحون المتقون في أي زمان وفي أي مكان، سوف يرثون الأرض ويصبحون حكاماً لها، ويكونون في زمرة أصحاب المهدي عليه السلام.

جاء في تفسير القمي في تفسير هذه الآية: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ قال: القائم وأصحابه^(٥).

ولو تفحصنا ملياً في أصحاب المهدي عليه السلام لوجدناهم يتحلون بهذه المكرمة، وإن كان هناك تفاوت في درجات التقوى والإخلاص بينهم، إلا أنهم جميعاً تحمّلوا المشاق والأذى من أجل التحلي بهذه الصفات السامية مرضاة لله. والإمام المهدي عليه السلام يحث الشيعة على التقوى لصيانتهم من الفتنة

(١) التوبة ١٠٩

(٢) فصلت ١٨

(٣) النور ٥٥

(٤) الأنبياء ١٠٥

(٥) الأمل ج ١٠ ص ٢٥٨

آخر الزمان) وانه من اتقى ربه من إخوانك في الدين واخرج مما عليه إلى مستحقه، كان آمناً من الفتنة المبجلة^(١).

٢) الإخلاص في العبادة:

تميز أصحاب الإمام المهدي عليه السلام بعشقهم للعبادة، وسطّروا أجمل صور التقوى والورع والخشية من الله. فكانوا يتخذون قيام الليل واستغفار السحر راحلة تسير بهم إلى المولى تبارك وتعالى، وجاءت عديد من الروايات تشير إلى هذه الصفة.

عن أبي عبد الله عليه السلام: (..رجال لا ينامون الليل، لهم دوي في صلاتهم كدوي النحل، يبيتون قياماً على أطرافهم ويصبحون على خيولهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار.. وهم من خشية الله مشفقون، بهم ينصر الله إمام الحق)^(٢).
وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (حملوا بصائرهم على أسيافهم ودانوا الربهم بأمر واعظهم)^(٣).

٣) معرفة ولي عصرهم وطاعته:

عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: (من شك في أربعة فقد كفر بجميع ما أنزل الله تبارك وتعالى، أحدهما معرفة الإمام في كل زمان وأوان بشخصه ونعته).
عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (خرج الحسين بن علي عليهما السلام على أصحابه فقال: أيها الناس، إن الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه).

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٤ ص ٤٦٢

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٠٨

(٣) نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٦

فقال له رجل: يا بن رسول الله بابي أنت وأمي فما معرفة الله؟

قال: (معرفة الله معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته)^(١).
ومعنى ذلك أنّ كلّ إنسان في أيّ زمان وفي كلّ حين، إذا أراد أن يبلغ المعرفة الحقيقية لله تعالى وإلى حقيقة توحيده، لا بدّ أن يشرع بمعرفة الإمام الهادي إلى سبيل الله، فالنبي أو الإمام هو الإنسان الكامل الذي يوصل إلى مرحلة الكمال العقلي والروحي والنفسي.

لذلك تجب طاعته والانقياد لأوامره، فجملة الأصحاب والأنصار على مدار التاريخ الإنساني، يتصفون بشدة الطاعة والموالاة والإتباع لإمام زمانهم المنصوص من قبل السماء، فأنصار الأنبياء والأئمة عليهم السلام وأنصار القادة الربانيين هم تجسيد لهذه الآية الشريفة: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

ولهذا سوف يكرمهم الله تعالى بأن يجعلهم أنصاراً لخاتم الأمراء والأوصياء الحجة ابن الحسن أروحنا لتراب مقدمه الفداء، فيجتمعون مع المهدي عليه السلام «في ساعة واحدة كما يجتمع قزح الخريف» لنصرة إمامهم والوقوف بين يديه، (يجمع الله له من أقصى البلاد على عدة أهل بدر... كدادون مجدون في طاعته)^(٣).

٤) الشجاعة في سبيل الله:

إنّ من الصفات العامة التي يتصف بها أصحاب الإمام المهدي وأنصاره،

(١) بحار الأنوار. ج ٥ ص ٣١٢

(٢) الأعراف ١٥٧

(٣) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣١٠

القوة والشجاعة في الدفاع عن الدين السماوي، فلو تفحصنا في تاريخ أنصار المهدي من الرجال لرأينا أن صفة الشجاعة والإقدام لنصرة الحق والحقيقة تتجسد في شخصياتهم النورانية، وكذلك لعرفنا عظم المعاناة والآلام التي لحقت بهم جراء جهادهم ونضالهم، فهذا حزقيل وأصحاب الكهف وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي ومالك الأشتر وأبا دجانة الأنصاري، جميعهم سَطَّروا لنا أروع ملاحم البطولة والنصر والإباء وملاحم الدفاع عن العقيدة الإلهية ومحاربة الظلم والظالمين.

وهذه الصفة لا تختص بالرجال من الأنصار فقط، وإنما تشمل النساء أيضاً. فالنساء اللاتي يرافقن الركب المهدوي عند ظهوره ﷺ هن من أصحاب الهمم العالية والروح الجهادية والقدرات البطولية ضد أعداء الدين. فصبانة التي استشهدت وضحت بأبنائها الأربعة في سبيل الله. وسمية أم عمار بن ياسر التي صبرت على تعذيب المشركين لها ومن ثم استشهدت في سبيل الله دفاعاً عن الحق. وكذلك أم خالد وأم أيمن وغيرهن.

وهذه الصفة التي تجلّت في شخصيات أنصار الإمام رجالات ونساء، سوف تبلغ أوجها في عصر الظهور، حتى أشارت روايات عديدة عن رباطة الجأش وعدم الخوف (قلوبهم كزبر الحديد، وجعل قوة الرجل منهم قوة أربعين رجلاً، فإذا وقع أمرنا وجاء مهدينا كان الرجل من شيعتنا أجراً من ليث وأمضى من سنان، يطاءً عدونا برجليه ويضربه بكفيه وذلك عند نزول رحمة الله على العباد)^(١). وتصف الروايات وقوفهم حول المهدي ﷺ في زمانه: رهبان بالليل، ليوث بالنهار.

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣١٨

٥) محاربة الظلم والدفاع عن المظلومين:

إنّ محاربة مظاهر الظلم والجور والقضاء عليه في ربوع المجتمع، من السمات التي ينادي بها أولياء الله ويضحون بأنفسهم من أجلها، فعشاق المهدي هم أنصار الحق والعدل، لذلك يسعون نحو إقامة الحق وتحقيق العدالة الاجتماعية. وذلك تمهيداً لقدم المعشوق، وتوطيداً لحركته المقدسة. ومن يتبحر في تاريخ أنصار وأصحاب المهدي عليه السلام، سوف يقف على ومضات منيرة ومشعة تشير إلى أنّ من أسباب انتخابهم أصحاباً وأنصاراً للمهدي من آل محمد، مجاهدتهم في رفض الظلم والدفاع عن المظلومين والمضطهدين.

والهدف الأكبر الذي يتحقق من ظهور الحجة عليه السلام والذي أدلت به الكثير من الروايات، هو تحقيق معاني القسط والعدل في البشرية، (يملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً) سئل الإمام علي عليه السلام متى يطهر الله الأرض من الظالمين؟ فقال عليه السلام: (لا يطهر الله الأرض من الظالمين حتى يسفك الدم الحرام).. ثم قال: (إذا قام القائم) ^(١).

سوف يحارب الظالمين حتى لا يبقى منهم على الأرض دياراً، وسيقف معه هؤلاء الصفوة من المتقين يقيمون معه العدالة السماوية ويحطمون حصون الظلم والجور.

فلنتأمل ونمعن النظر على ماذا يباعدون المهدي عليه السلام بين الركن والمقام: روي عن أمير المؤمنين انه قال: (وكأنني انظر إليهم والزي واحد، والقدر واحد، والجمال واحد، واللباس واحد، كأنما يطلبون شيئاً ضاع منهم فهم متحيرون

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٣٦

في أمرهم حتى يخرج إليهم من تحت ستار الكعبة في آخرها رجل أشبه
الناس برسول الله ﷺ خلقاً وخلقا وحسنا وجمالا فيقولون: أنت المهدي؟
فيجيبهم ويقول أنا المهدي.

فيقول: بايعوا علي أربعين خصلة، واشتروا عشرة خصال. فقال الأحنف
ما هي؟

فقال ﷺ: يباعدونه علي أن لا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا، ولا يهتكوا
حريماً محرماً، ولا يسبوا مسلماً، ولا يهجموا منزلاً، ولا يضربوا أحداً إلا بحق،
ولا يركبوا الخيل الهمالج، ولا يتمنطقوا بالذهب، ولا يلبسوا الخز، ولا يلبسوا
الحرير، ولا يلبسوا النعال الصرارة، ولا يخربوا مسجداً، ولا يقطعوا طريقاً، ولا
يظلموا يتيماً، ولا يخيفوا سيلاً، ولا يحتسبوا مكراً، ولا يأكلوا مال اليتيم، ولا
يفسقوا بغلام، ولا يشربوا الخمر، ولا يخونوا الأمانة، ولا يخلفوا العهد، ولا
يحبسوا طعاماً من بر أو شعير، ولا يقتلوا مستأمناً، ولا يتبعوا منهزماً ولا يسفكوا
دماً، ولا يجهزوا علي جريح، ويلبسوا الخشن من الثياب، ويوسدوا الخدود
علي التراب، ويأكلوا الشعير، ويرهنون بالقليل، ويجاهدون في سبيل الله حق
جهاده ويكرهون النجاسة) (١).

فمن أراد أن يحقق مثلهم معنى النصره للمعشوق فليتبني منهج الانتصار
للحق والابتعاد عن شتى أنواع الظلم، فمن كان في عصر الغيبة مقيماً للعدل
ومحارباً للظلم ومدافعاً عن حقوق الآخرين، فسيكون هكذا في عصر الظهور،
حيث يجعله الله ناصراً، لإمام زمانه وسبب لعنة وهلاك الظالمين. وأما ان كان

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي ﷺ ج ٣ ص ١٠٧

في عصر الظهور إنساناً ظالماً ومستبداً لحقوق الآخرين، فسوف ينطبق عليه قوله تعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١).

السفياني رمز الظلم والظالمين:

في مقابل أصحاب الحجة المهدويين وحركتهم الإصلاحية التي تنادي بالعدل وهدم معالم الظلم والاستبداد، هناك فئة أخرى تتحرك لإشاعة الظلم والفساد في الأرض، وفي مقدمتها حركة السفياني وأنصاره، وهي الحركة التي تسبق الحركة المهدوية، وتكون علامة من علامات الظهور المبارك لصاحب الزمان.

روي عن النبي ﷺ (خمس قبل قيام القائم عجل الله فرجه اليماني، والسفياني، والمنادي ينادي من السماء، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية) ويكفي لمعرفة طبيعة الحركة السفيانية، معرفتنا لهوية قائد الحركة، والتي تحدثنا عنها سابقاً، ولاشك أن أصحاب السفياني ينهجون منهجه ويسيرون مثله في طريق الظلم والفساد، فمن يحمل فكراً منحرفاً وعقيدة متطرفة وأخلاقاً سيئة، فهو يتبع سيرة السفياني . ومن يتعدى على حدود الله ويضيع أحكام الله فهو من أنصار السفياني، ومن يروج للمنكرات، ومن كان سلوكه لا يمت بصلة للقيم السماوية والإنسانية والمثل العليا فهو سفياني الانتماء، ومن يوالي أعداء الله ويعادي أولياء الله فهو يتبنى فكراً ومنهجاً سفيانياً ..

فالإنسان الموالي ينبغي له أن يفكر ملياً في شخصية السفياني وأصحابه، ونتيجته النهائية والحتمية التي سوف تكون على يدي الإمام المهدي، ويقرر على ضرورة الابتعاد عن مواطن الظلم والفساد.

٦) حبهم وعشقهم لولي زمانهم:

إنَّ حبَّ القائد الإلهي وعشق ولي الله هو من الصفات التي تجلّت في أنصار المهدي عليه السلام في زمن الظهور، فمثلاً مالك الأشتر رضوان الله عليه كان شديد العشق لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ومن عشقه لأمر المؤمنين كان وفياً له ومطيعاً لتعاليمه وأوامره، ويسير على نهجه المبارك، ويبذل مهجته في الدفاع عنه، حتى قال عنه الإمام بعد وفاته: (رحم الله مالكاً لقد كان لي كما كنت لرسول الله) ^(١).

وهكذا عمار والمقداد وعبد الله بن شريك العامري والمفضل بن عمر وجملة الأصحاب والأنصار بمختلف قومياتهم، حتى يأتي ذلك اليوم الموعود فيصنعون مع القائد الإلهي الإمام صاحب العصر والزمان أفضل وأحسن مما كانوا يصنعونه مع حجج الله في زمانهم..

ورائعةٌ هي تلك الروايات التي ترسم لنا لوحات العشق المهدوي في آخر الزمان، فتوضح صور عشق الأنصار والأصحاب لمعشوقهم، وملامح جنونهم وهيامهم، فكانوا جميعاً يتبعونه ويمثلون لأمره ويحيطون به من كل جانب ومكان، ويتسابقون لحفظه، ويتسارعون لخدمته، ويتمسحون بسرجه وبكل شيء خاص به.

(يتمسحون بسرج الإمام عليه السلام يطلبون بذلك البركة، ويحفون به ويقونه بأنفسهم في الحرب ويكفونه ما يريد منهم) ^(٢).

(١) شرح إحقاق الحق ص ٢١٨

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٠٨

ومن روائع روايات الذوبان في المعشوق ما روي عن الصادق عليه السلام (كأنني أنظر إلى القائم وأصحابه في نجف الكوفة، كأنّ علي رؤوسهم الطير)^(١). فتصف لنا هذه الرواية حالة المراقبة الشديدة للإمام عليه السلام والملازمة الدائمة به، خوفاً من أن يغيب المعشوق عن أنظارهم ولو للحظة واحدة. (إنّ صاحب هذا الأمر - يعني القائم - محفوظ له لو ذهب الناس جميعاً أتى الله بأصحابه وهم الذين قال الله فيهم: ﴿يأبها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي قوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾^(٢)).

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٨٦

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٧٠

الفصل الثالث

أسرع الطرق إلى عشق المهدي

ما هي الطرق السريعة للوصول إلى عشق المهدي؟

حقيقة يظلّ الإنسان الموالي عاجزاً عن تحقيق جميع مقومات العشق المهدوي، أو أنّه يقضي أمداً بعيداً لتحقيقها، ولا بدّ لنا أن نبحث عن أشياء تهيئ لنا إمكانية تحقيق الهدف، فهناك بعض الأمور والأعمال التي تفعل وتسرع في عشق الإمام، وكذلك عشقه لنا ورضاه عنا. ومنها:

(١) معرفة المعشوق:

حتى نصل إلى حالة العشق والارتباط لا بدّ من معرفة المعشوق. (ما من حركة إلّا وأنت محتاج فيها إلى معرفة) (١).

ولا يمكن للإنسان عشق شيء أو الارتباط به إلّا من خلال معرفة، فالجاهل بالإمام المهدي عليه السلام لا يمكن أن يصاب قلبه بالحب أو العشق، وكذلك العارف بالإمام محال أن لا يميل قلبه إلى عشقه.

(في الصحيح عن الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية)؟

قال: نعم.

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٢٦٧

قلت: جاهلية جهلاء، او جاهلية لا يعرف إمامه؟

قال عليه السلام: جاهلية كفر ونفاق وضلال^(١).

وهنا ماذا نقصد بمعرفة الإمام؟ هل يكفي معرفة اسمه ولقبه. وما هي ضرورة المعرفة؟

المعرفة هي العلم والإلمام بهذه الشخصية الإلهية، سواء معرفة عامة أو خاصة، فالعامة يقصد بها معرفة هويته المباركة، أي معرفة اسمه ونسبه وصفاته الظاهرية..

عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: (من شك في أربعة فقد كفر بجميع ما أنزل الله تبارك وتعالى، أحدهما معرفة الإمام في كل زمان وأوان بشخصه ونعته)^(٢).

لذلك يتوجب علينا التعرف على هويته الشخصية.

فعندما يبحث الموالى عن صفاته ونسبه وحسبه، سوف يصل إلى أن جميع المصادر والروايات، سواء عند العامة أو الخاصة، تشير إلى أن المهدي عليه السلام من سلالة الأنبياء والأوصياء، ومن ذرية رسول الله، ومن ولد علي وفاطمة عليهما السلام.

(بقية من آدم عليه السلام وخيرة من ذرية نوح، ومصطفى من آل إبراهيم، وسلالة من إسماعيل وصفوة من عترة محمد)^(٣).

(القائم من ولدي، اسمه اسمي وكنيته كنيتي أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً).

(١) مكيال المكارم ج ١ ص ٢٣

(٢) بحار الأنوار ج ٦٩ ص ١٢٥

(٣) الكافي ج ١ ص ٢٠٤

وعن الإمام علي عليه السلام أنه قال: (المهدي من ذريتي، يظهر بين الركن والمقام، وعليه قميص إبراهيم وحلة إسماعيل وفي رجله نعل شيث)^(١).
وأما المعرفة الخاصة وهي الوصول إلى أعلى درجات المعرفة، والتي توجب الطاعة والتسليم للإمام بقية الله، كما عبّر عنها (يا فضيل اعرف إمامك، فانك إذا عرفت إمامك لم يضرك تقدم أمر أو تأخره).

حينما يدرك الموالي خصائصه الشريفة ومقاماته السامية ومكانته المقدسة، وأنه حجة الله وخليفته في أرضه، وحجته على عباده، وباب علمه ووصي نبيه، وأنه الإنسان الكامل، والشخصية المعصومة من الزلل والخطأ ومن كل عيب ونقص. وحينما يتوصل عقلياً بأن الإمام المهدي هو العلة الغائية من الخلق والإيجاد، وأنه واسطة الفيض الإلهي، وباب الله، سوف يتيقن أنه الإمام المفترض الطاعة والقائد الإلهي الذي يقود الأمة، عندها سيعشقه عشقاً ليس له حدود، ويرتبط به روحياً وفكرياً، فيقدم له أوسمة الطاعة والتسليم، ويسعى طيلة عمره لرضاه الذي هو مفتاح رضا الباري عز وجل، يطبق أوامره وينفذ تعاليمه، ويعمل جاداً على التمهيد لدولته الكريمة وتحقيق أهدافه السماوية.

٢) التوسل بالمعشوق:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: (لنحب من شيعتنا من كان عاقلاً فهماً فقيهاً حليماً مدارياً صبوراً صدوقاً وفياً، إن الله تبارك وتعالى خص الأنبياء عليهم السلام بمكارم الأخلاق، فمن كانت فيه فليحمد الله على ذلك، ومن لم تكن فيه فليتضرع إلى الله وليسأله)^(٢).

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٢١

(٢) بحار الأنوار ج ٦٦ ص ٣٩٧

ونفهم من هذه الرواية الشريفة أنّ هناك عدّة صفات وسجايا لا بدّ أن يتحلّى بها الموالي لنيل مكانة عظيمة عند أهل البيت عليهم السلام، فيحظى بحبهم ويهنأ برضاهم. والصفات المذكورة في الرواية تشير إلى حالة الارتقاء بالمستوى العقلي والعلمي والأخلاقي للعبد ليجسد حقيقة معنى الخلافة في الأرض، وهي: العقل، والعلم، والفهم، والحلم، والمداراة، والصبر، والصدق، والوفاء. ولكن إن لم تكن هذه الصفات متحققة ومتوفرة عند الموالي، فعليه أن يتضرّع إلى الله عز وجل ويطلبها منه.

وفي المقابل، أمرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه الشريف صلى الله عليه وآله أن نبتغي إليه الوسيلة عند التضرّع إليه، والوسيلة هم أهل بيت النبوة. هم محمّد وآله الطاهرين. كما قال علي عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (أنا وسيلته)^(١).

و الإمام المهدي عليه السلام هو من أهل البيت الذين أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتخذهم شفعاء لنا ونقدمهم أمام طلباتنا وحوائجنا، فسواء كان التوجّه إليه عليه السلام لطلب أمر مادي أو معنوي، أو لأجل دنيا أو آخرة، فإنّه لا بدّ أن نتوسّل إلى الله بوليه وحقته لقضائها.

فالمهدي عليه السلام هو قطب عالم الوجود، ومحور عالم الإمكان، وهو باب الله الذي منه يؤتى، ووجه الله الذي يتوجه إليه الأولياء. لذلك فالتوسّل به من موجبات سرعة الاستجابة الإلهية..

وهناك الكثير من البشر يتوجهون إلى الإمام الحجة عليه السلام لتيسير أمورهم

(١) تفسير الميزان ج ٥ ص ٣٣٣

المادية، ولكن هناك طائفة أخرى من الموالين لهم شأن آخر، حيث يلجئون إليه في قضايا معنوية وحاجات روحية يتلذذون بها ويستأنسون بتحقيقها، وهي أن يشملهم الإمام بمحبته ويمنحهم رضاه وان يسهل لهم سبل الوصول إليه والمسلك إلى خدمته ونصرته.

خرج توقيع من الناحية المقدسة - حرسها الله تعالى - إلى محمد الحميري: إذا أردتم التوجه بنا إلى الله تعالى وإلينا، فقولوا كما قال الله تعالى (سلام على آل يس، السلام عليك يا داعي الله، ورباني آياته، السلام عليك يا باب الله وديان دينه، السلام عليك يا خليفة الله وناصر حقه، السلام عليك يا حجة الله ودليل إرادته، السلام عليك يا تالي كتاب الله وترجمانه، السلم عليك في آناء ليلك وأطراف نهارك، السلام عليك يا بقية الله في أرضه. السلام عليك يا ميثاق الله الذي أخذه ووكدّه، السلام عليك يا وعد الله الذي ضمنه...) (١).

قال أبو عبد الله عليه السلام: (إذا حضرت أحدكم الحاجة فليصم يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة، فإذا كان اغتسل ولبس ثوباً نظيفاً، ثم يصعد إلى أعلى موضع في داره فيصلّي ركعتين، ثم يمد يده إلى السماء ويقول: اللهم... وأتقرب إليك بالبقية الباقي المقيم بين أوليائه الذي رضيته لنفسك، الطيب الطاهر الفاضل الخير، نور الأرض وعمادها، ورجاء هذه الأمة وسيدّها، الأمر بالمعروف، الناهي عن المنكر، الناصح الأمين، المؤدي عن النبيين، وخاتم الأوصياء النجباء الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين) (٢).

والإمام المهدي روي له الفداء لن يتوانى عن الدعاء للمؤمنين، وخاصة من

(١) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٧٠

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٤ ص ١٢٤

قصده وتوجه إليه بحاجته، وحاشا لمقامه المقدس أن يرد سائلاً وقف على بابه.
نقل عن ابن طاوس رحمه الله أنه سمع سحرا في السرداب عن صاحب الأمر عليه السلام انه يقول: اللهم إن شيعتنا خلقت من شعاع أنوارنا وبقية طينتنا، وقد فعلوا ذنوبا كثيرة اتكالا على حبنا وولايتنا، فإن كانت ذنوبهم بينك وبينهم فاصفح عنهم فقد رضينا، وما كان منها فيما بينهم فأصلح بينهم وقلص بها عن خمسنا، وأدخلهم الجنة، وزحزحهم عن النار، ولا تجمع بينهم وبين أعدائنا في سخطك^(١).

قال أحد الشعراء في هذا المقام:

يا ساكناً في قلب كل موحد بك يستغيث العارفون ويفزعوا
سلمت أنك للأنام مغيثها وإليك يتجه المحب ويهرع
من فاضل الكلمات ينطق مبسمي ولكل باب نحو جودك أقرع
في بحرك القدسي تبحر أحرفي وعلى ضفافك تستجم وتشرع
يابن الأطايب من سلالة أحمد نهر يفيض على الأنام ويمرع

٣) التوسل بأم المعشوق: الصديقة فاطمة الزهراء:

إن لمولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام مكانة عظيمة عند الإمام بقية الله، فهي الأم والأسوة الحسنة له. وهذا ما أكد عليه الإمام: (وفي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله لي أسوة حسنة)^(٢).

فقد نقل عن أحد العلماء ما قاله الإمام المهدي عليه السلام له: (كلما أردت أن

(١) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٣٠٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٨٠.

تراني فتوسل بأمي^(١) والتوسل يعني القرب والتقرب، فكلما ازداد قربنا من فاطمة ازداد قربنا من الإمام بقية الله.

ومولاتنا عليها السلام هي صاحبة العطاء الذي لا ينضب، فمن لاذَّ بها وطلب حاجته فلن يخيب، وخاصة إذا صَلَّى المحتاج صلاة الاستغاثة بالصديقة الزهراء.

ذكر القمي في مفاتيح الجنان: ورد عن الإمام الصادق عليه السلام إذا كانت لك حاجة الى الله وضقت بها ذرعاً، فصلي ركعتين، فإذا سلّمت كبر الله ثلاثاً وسبح تسبيح فاطمة عليها السلام، ثم اسجد وقل مائة مرة: يا مولاتي يا فاطمة أغثيني، ثم ضع خدك الأيمن على الأرض وقل مائة مثل ذلك، ثم عد إلى السجود وقل ذلك مائة مرة وعشر مرات، واذكر حاجتك فان الله يقضيها^(٢) قال أحد الشعراء:

توسلت بالخوراء فاطمة الزهرا لتلهمني حتى أقول بها شعرا
فجاء بحمد الله ما كنت أبتغي فأبديت للمعبود خالقي الشكرا^(٣)

٤) زيارة الإمام الحسين عليه السلام والبكاء على مصيبته:

إن زيارة الإمام الحسين عليه السلام والبكاء على مصيبته من علامات المحبة ومظاهر المودة لأهل البيت عليهم السلام، وهو من موجبات حب الأئمة للزائر، فزوار الحسين عليه السلام يحظون بدعاء الإمام لهم وتشفعه لهم، والباكين على مصيبة

(١) الكمالات الروحية ص ٩١.

(٢) بحار الأنوار ج ٩١ ص ٣٠

(٣) الأسرار الفاطمية ص ٢١

الحسين تنالهم محبة المعصومين عليهم السلام ومنهم الإمام المهدي رُوحِي له الفداء، وكثيرة هي الروايات التي توضح مقصدنا، ومنها:

عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: (ومن كان لنا محباً فليرغب في زيارة قبر الحسين عليه السلام، فمن كان للحسين محباً زوّاراً عرفناه بالحب لنا أهل البيت وكان من أهل الجنة، ومن لم يكن للحسين زوّاراً كان ناقص الإيمان) ^(١).

وعن معاوية بن وهب قال: استأذنت عليّ أبي عبد الله عليه السلام فقبل لي: ادخل، فدخلت فوجدته في مصلاه في بيته، فجلست حتى قضى صلاته وسمعته وهو يناجي ربه وهو يقول: اللهم يا من خصنا بالكرامة، ووعدنا بالشفاعة، وخصنا بالوصية، وأعطانا علم ما مضى وما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني وزوار قبر أبي الحسين الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في برنا ورجاء لما عندك في صلتنا وسرورا ادخلوه على نبيك... اللهم إن أعدائنا عابوا عليهم على خروجهم فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا خلافاً منهم علي من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الوجوه التي تتقلب على حفرة أبي عبد الله.. ^(٢).

قال: الإمام الصادق عليه السلام: (من أتى قبر أبي عبد الله عليه السلام فقد وصل رسول الله صلى الله عليه وآله ووصلنا) ^(٣).

وكذلك الإمام المهدي يوصي الشيعة الموالين بذكر مصيبة الحسين الشهيد، فلقد نقل صاحب مكيال المكارم عن أحد أصحابه بأنه رأى مولانا

(١) بحار النوار ج ٩٨ ص ٤

(٢) ميزان الحكمة ج ٢ ص ١١٩٧

(٣) كامل الزيارات ص ٢٤٥

الحجة عليه السلام في المنام يقول ما معناه: (إني لأدعو لمؤمن يذكر مصيبة جدي الشهيد، ثم يدعو لي بتعجيل الفرج والتأييد) ^(١).

ومن جانب آخر، فالبكاء على الحسين عليه السلام يحرك الإنسان نحو الفضيلة والخلق الحسن، لأنه عندما يبكي الموالي تتضح لديه رؤية واضحة بمنهج الحسين، فيستيقظ ضميره ويتحرك وجدانه إلى تطبيق مبادئ الحسين وقيمه الفاضلة.

وكذلك يمثل هذا البكاء صرخة بوجه الظلم والظالمين، فيتوجه الباكي على الحسين بفكره وقلبه إلى ذلك الإمام المنصور الذي سيظهر ويأخذ بثأر جده الشهيد المظلوم، ويقضي على معادل الظلم والظالمين، فيصبح الباكي على الحسين منتظراً للمنتظر، وبذلك سوف يحظى بمحبة الإمام له ويكسب رضاه.

٥) مجالسة عشاق المهدي عليه السلام:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (قالت الحواريون لعيسى: يا روح الله من نجالس؟ فقال: من يذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله) ^(٢).

فمن كانت بغيته الوصول إلى مقام العشق للمولى صاحب الزمان فعليه مجالسة عشاقه، مجالستهم والقرب منهم، لأن ألسنتهم تلهج باسمه، وأقدامهم تسير في خدمته، وقلوبهم ومجالسهم تعج بذكره.

(١) مكيال المكارم ج ٢ ص ٤٢.

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٩.

ومن شأن القرين والجليس أن يتأثر بأقرانه ومن حوله شاء أم أبى، ويكتسب أخلاقهم وصفاتهم، وكما قيل: إنَّ القرين بالمقارن يقتدي، (جلوسه يذكر بالله).

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (المرأ على دين خليله وقرينه . فلينظر أحدكم من يخال) ^(١). لذلك ينبغي أن يتخير الموالي مجالسة أهل طاعة الله وأصحاب العشق المهدوي.

قالت سماحة العالمة أم مهدي الموسوي: «إنَّ من السبل التي تهَيئ النفس على طاعة الإمام هي مجالسة من هم حريصون على طاعة الإمام بدقة وأمانة والتزام مستمر، وتجنُّب الإكثار من مجالسة المؤمنين الذين يمارسون عباداتهم كروتين يومي أو سنوي وهم مشغولون بالتنعم والراحة والاستمتاع والتسلية وراحة البال، في غنى عن الشوق للإمام ومناجاته والسعي لتقديم كل خدمة تصب في نصرته، إنَّ هؤلاء المنغمسين في الحياة حتى أغفلتهم عن السعي لخدمة إمامهم قد لا يمارسون عباداتهم بنية ولائية بل مجرد القيام بالتكليف ليسقط عنهم» ^(٢).

(١) بحار الأنوار ج ٧١ ص ١٩٢

(٢) الحسين والمهدي ص ٢٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ كُنْ لَوْلِيِّكَ الْحُجَّةَ بْنَ الْحَسَنِ
صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ
وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيًّا وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا
وَدَلِيلًا وَعَيْنًا حَتَّى تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا
وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا بِرَحْمَتِكَ يَا

أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ



المراجع

* القرآن الكريم

١. أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير ابن كثير، دار المعرفة، بيروت - لبنان ١٤١٢هـ.
٢. الشيخ أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير، دلائل الإمامة، الطبعة الأولى - قم ١٤١٣هـ.
٣. أبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت - لبنان.
٤. العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم - إيران ١٤٠٥هـ.
٥. أبو القاسم الحسين بن محمد «الراغب الصفهاني»، مفردات غريب القرآن.
٦. أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي «العياشي»، تفسير العياشي، المكتبة العلمية الإسلامية - طهران.
٧. شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الغيبة، الطبعة الأولى، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم ١٤١١هـ. ق.
٨. الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي «الصدوق»، علل الشرائع، منشورات المكتبة الحيدرية - النجف ١٣٨٥هـ.

٩. الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي «الصدوق» عيون أخبار الرضا، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان ١٤١٤ هـ.
١٠. الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي «الصدوق»، كمال الدين وتمام النعمة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران ١٤٠٥ هـ.
١١. ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، الكافي، الطبعة الثالثة، دار الكتب الإسلامية - طهران (١٣٨٨).
١٢. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الفكر.
١٣. أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، صحيح البخاري، دار الفكر ١٤٠١ هـ.
١٤. أبو عبد الله محمد بن علي «ابن عربي» الفتوحات المكية.
١٥. أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تفسير مجمع البيان، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ.
١٦. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة. الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٨ هـ.
١٧. ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر - بيروت.
١٨. أحمد بن حنبل، مسند أحمد، دار صادر - بيروت.
١٩. العلامة الحلي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، الطبعة السابعة، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدسة، ١٣١٧ هـ. ق.
٢٠. استفتاءات السيد السيستاني، مكتبة أهل البيت الشبكة العنكبوتية.
٢١. الفيروز آبادي، القاموس المحيط.

٢٢. السيد المرعشي، شرح إحقاق الحق.
٢٣. المنجد في اللغة والإعلام، الطبعة الثانية والعشرون، دار المشرق، بيروت - لبنان.
٢٤. السيدة أم مهدي الموسوي، الحسين والمهدي أوجه الارتباط والشبه بين الإمامين، دار الولاية للثقافة والإعلام.
٢٥. باقر شريف القرشي، حياة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، مطبعة أمير ١٤١٧ هـ.
٢٦. الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه القمي، كامل الزيارات، الطبعة الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي ١٤١٧ هـ.
٢٧. آية الله السيد حسن الأبطحي، الكمالات الروحية، الطبعة الأولى، مهر، قم ١٤١٤ هـ.
٢٨. حسين الشاكري، موسوعة المصطفى والعترة، الطبعة الأولى، ستارة، قم - إيران ١٤١٧ هـ.
٢٩. الشيخ حسين كوراني، آداب عصر الغيبة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.
٣٠. السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، إقبال الأعمال، الطبعة الأولى، مكتب الإعلام الإسلامي - قم ١٤١٤ هـ.
٣١. سعيد ابو معاش، الإمام المهدي في القرآن والسنة، الطبعة الثالثة، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، مشهد ١٤٣٠ هـ. ق.

٣٢. سلامة موسى، الحب في التاريخ، الطبعة الثانية، سلامة موسى للنشر والتوزيع ١٩٤٦م.
٣٣. سليمان بن ابراهيم القندوزي، ينابيع المودة لذوي القربى، الطبعة الأولى، دار الأسرة للطباعة والنشر ١٤١٦ هـ.ق.
٣٤. شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية، الطب النبوي.
٣٥. شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سيرة أعلام النبلاء. الطبعة التاسعة، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان ١٤١٣ هـ.
٣٦. صدر الدين محمد الشيرازي، الحكمة المتعالية، مكتبة المصطفى، قم المقدسة.
٣٧. صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي، المبدأ والمعاد.
٣٨. عبد اللطيف البغدادي، فاطمة والمفضلات من النساء.
٣٩. الشيخ عبد الله الحسن، ليلة عاشوراء في الحديث والأدب.
٤٠. الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي، المصنف، دار الفكر.
٤١. العلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان ١٤٠٩ هـ.
٤٢. الشيخ علي أبو المكارم، الموسوعة الشعرية المهدوية، الطبعة الأولى، دار العلوم ١٤٣١ هـ.
٤٣. الشيخ علي الكوراني، الحق المبين في معرفة المعصومين، الطبعة الثانية، دار الهدى - قم ١٤٢٤ هـ.

٤٤. الشيخ علي الكوراني، عصر الظهور، الطبعة الأولى، مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي ١٤٠٨ هـ.
٤٥. الشيخ علي الكوراني، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم المقدسة ١٤١١ هـ.
٤٦. الشيخ علي اليزدي الحائري، إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب.
٤٧. عمر كحالة، الحب، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة - سوريا ١٣٩٨ هـ.
٤٨. لجنة المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية، مطبعة ليلي - قم ١٤٢٢ هـ.
٤٩. السيد محسن الخرازي، بداية المعارف الإلهية في شرح العقائد الإمامية، الطبعة الأولى، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان ١٤٢٥ هـ.
٥٠. محمد الريشهري، ميزان الحكمة، الطبعة الثانية، دار الحديث، قم المقدسة ١٤١٦ هـ. ق.
٥١. السيد الشهيد محمد باقر الصدر، بحث حول المهدي، الطبعة الأولى، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ١٤١٧ هـ.
٥٢. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، الطبعة الثانية، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان ١٤٠٣ هـ.
٥٣. الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، الطبعة الثانية، مهر - قم ١٤١٤ هـ.
٥٤. الحاج الميرزا محمد تقي الموسوي الأصفهاني، مكيال المكارم، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان ١٤٢١ هـ.

٥٥. السيد محمد حسين الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، منشورات
جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.
٥٦. الشيخ محمد فاضل المسعودي، الأسرار الفاطمية، الطبعة الأولى، مطبعة
أمير - قم ١٤٢٠هـ.
٥٧. محمد مهدي النراقي، جامع السعادات، مطبعة النعمان - النجف
الأشرف ١٣٦٨هـ.
٥٨. السيد منير الخباز، الحقيقة المهدوية، الطبعة الأولى، مركز الدراسات
التخصصية - النجف الأشرف ١٤٣١هـ.
٥٩. الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.
٦٠. الملا هادي السبزواري، شرح الأسماء الحسنى.

الفهرس

الاهداء ٥

مقدمة ١١

الباب الأول (العشوق)

معنى العشق وماهيته ١٧

ماهية العشق ١٨

العله من العشق ٢٣

(١) ملائمة طباع المعشوق ٢٤

(٢) النفس جبلت على حبّ الخير ٢٦

(٣) النفس جبلت على حبّ الجمال ٢٧

(٤) النفس تعشق علة إيجادها ٢٨

أنواع العشق ٣١

أ) أنواع العشق عند الحكماء والعلماء ٣١

ب) أنواع العشق في الروايات الإسلامية ٣٣

أولاً: العشق المذموم ٣٦

ثانياً: العشق المحمود ٤١

الباب الثاني (المعشوق)

هوية المعشوق ٥٣

اسمه ونسبه ٥٣

٥٣	والده
٥٦	والدته
٥٨	ألقابه
٥٩	أ) القائم
٦٠	ب) المهدي
٦١	ج) المنتظر
٦١	د) المؤمل
٦١	هـ) سلطان مأمول
٦٢	كنيته
٦٢	ولادته المباركة
٦٤	أوصافه البدنية
٦٥	أخلاقه وعناصره النفسية
٦٥	أ) سعة علمه
٦٨	ب) عبادته
٧٠	ج) زهده وكرمه
٧١	د) بأسه وشجاعته
٧٢	هـ) بلاغة منطقه
٧٣	و) القائد المعشوق
٧٧	العقيدة المهدوية
٧٧	أولاً: المهدوية في نظر الإمامية
٧٨	ثانياً: المهدوية في نظر أهل السنة
٧٨	الاتجاه الأول
٨٠	الاتجاه الثاني

- ٨٤ الدليل العقلي: وهو قاعدة اللطف الإلهي
- ٨٦ الأدلة النقلية
- ٨٦ أولاً: ما معنى الإمام والإمامة؟
- ٨٦ الإمام في اللغة
- ٨٧ مصطلح الإمام في الرؤية القرآنية
- ٨٩ ثانياً: المواصفات القرآنية لإمام الحق
- ٩٠ (أ) العصمة
- ٩١ (ب) الهداية إلى الحق
- ٩٢ ما معنى الهداية؟
- ٩٣ صفات الهادي في القرآن
- ٩٣ (أ) يمتلك هداية ذاتية دون واسطة
- ٩٤ (ب) الهادي هو الإمام المنصوب من قبل الله
- ٩٤ (ج) الاستعداد الروحي للهداية إلى الحق
- ٩٤ (د) الشهادة على الأمة والاحتجاج عليهم
- ٩٥ السؤال الأول: ما معنى الشهادة؟
- ٩٦ السؤال الثاني: ماهي خصائص الشهيد في القرآن؟
- ٩٦ (أ) الشهيد من جنس البشر
- ٩٦ (ب) أن يكون لديه علم الكتاب
- ٩٧ (ج) معاصرة الشهيد لأتمه
- ٩٨ ثالثاً: ضرورة وجود إمام:
- ١٠٠ رابعاً: مصداق الإمام في عصرنا

- ١٠١..... (أ) المهدي عليه السلام هو الإمام المعصوم من أهل بيت النبوة.....
- ١٠٢..... (ب) المهدي هو حجّة الله والإمام الشهيد.....
- ١٠٤..... هل تتنافى الحجّية مع الغيبة؟.....
- ١٠٩..... علل الغيبة.....
- ١١٠..... (١) حفظه من أيدي الطغاة من بني العباس.....
- ١١١..... (٢) امتحان الناس وتمحيصهم.....
- ١١٢..... (٣) حتى لا تكون في عنقه بيعة لظالم.....
- ١١٣..... (٤) ذنوب العباد وأعمالهم القبيحة.....
- ١١٤..... (٥) الغيبة سرّ من الأسرار الإلهية.....
- ١١٥..... (٦) يجري فيه سنن الأنبياء.....
- ١١٥..... (٧) قلة الأنصار.....
- ١١٥..... ما الفائدة من الغيبة؟.....
- ١١٨..... المعشوق الغائب:.....
- ١٢٣..... آثار العشق المهدوي في غيبة المعشوق:.....
- ١٢٤..... (١) الجمال الروحي:.....
- ١٢٥..... (٢) الجمال الأخلاقي:.....
- ١٢٦..... (٣) الجمال العملي والسلوكي:.....
- ١٢٧..... (٤) الجمال الفكري.....
- ١٢٨..... (٥) جمال العاقبة:.....

الباب الثالث (العاشق)

- ١٣٣..... لماذا العشق المهدوي؟.....
- ١٣٣..... (١) عشق المهدي عليه السلام طريقٌ إلى الله.....

- ١٣٨..... (٢) المهدي حب الله
- ١٤٠..... (٣) المهدي بقية الله
- ١٤٢..... (٤) المهدي وعد الله
- ١٤٣..... (٥) العشق المهدوي فطرة الله
- ١٤٣..... (٦) العشق المهدوي صنع الله
- ١٤٥..... (٧) العشق المهدوي وفاء بعهد الله
- ١٤٩..... نماذج من العشق المهدوي
- ١٤٩..... أولاً: العشق المهدوي عند أئمة أهل البيت عليهم السلام
- ١٤٩..... العشق المهدوي في نهج الإمام الصادق عليه السلام
- ١٥١..... العشق المهدوي في نهج الإمام الرضا عليه السلام
- ١٥٣..... الإمام المهدي بنفسه يعلمنا معاني العشق
- ١٥٣..... (أ) كسب محبة المعشوق
- ١٥٣..... (ب) منهج الدعاء له بالنصر والفرج
- ١٥٤..... (ج) إلهيام بالمعشوق
- ١٥٥..... (د) رعاية الإمام لمحبيه
- ١٥٦..... ثانياً: العشق المهدوي في كلمات العلماء
- ١٥٦..... آية الله السيد حسن الأبطحي
- ١٥٧..... الميرزا محمد تقي الأصفهاني
- ١٦٠..... سماحة السيدة أم مهدي الموسوي
- ١٦٠..... السيد منير الخباز
- ١٦١..... العشق المهدوي عند الشعراء

الباب الرابع (دلائل العشق)

- ١٦٧..... مظاهر العشق المهدوي

- أولاً: المودة القلبية..... ١٦٧
- أ) الحرقة والبكاء على غياب المعشوق..... ١٦٨
- ب) الشوق إلى رؤية المعشوق..... ١٦٩
- إمكانية رؤية الإمام الحجة عليه السلام..... ١٧١
- ج) كثرة مناجاة المعشوق..... ١٧٤
- قصة شاب توهج قلبه بحب بقية الله الأعظم..... ١٧٥
- ثانياً: الطاعة والإخلاص..... ١٧٨
- أويس القرني أسوة حسنة لطالبي العشق المهدوي..... ١٨٠
- ثالثاً: إثارة هوى المعشوق على هوى النفس..... ١٨١
- رابعاً: التخلق بأخلاق المعشوق..... ١٨٤
- انتظار المعشوق..... ١٨٧
- دلالات الانتظار..... ١٨٧
- أ) الترقب لظهوره..... ١٨٨
- ب) التحسس لظهوره..... ١٨٩
- ج) المرابطة استعداداً لظهوره..... ١٩٣
- د) الدعاء بتعجيل ظهوره..... ١٩٦
- خدمة المعشوق..... ٢٠١
- الإعانة المادية..... ٢٠٢
- الإعانة المعنوية..... ٢٠٣
- أ) العلم والتعليم..... ٢٠٣
- ب) تهذيب الناس وهدايتهم..... ٢٠٥
- ج) نشر الثقافة المهدوية..... ٢٠٦

٢٠٩	علائم ظهور المعشوق.....
٢٠٩	معرفة علائم ظهوره.....
٢١٠	القسم الأول: العلامات الغير مقارنة للظهور المبارك.....
٢١٢	القسم الثاني: العلامات القريبة من زمن الظهور المبارك.....
٢١٢	أولاً: علائم غير حتمية الوقوع.....
٢١٢	أ) خروج الحسنى الهاشمى.....
٢١٣	ب) الكسوف والخسوف.....
٢١٣	ج) الإبادة البشرية.....
٢١٤	ثانياً: علائم حتمية الوقوع.....
٢١٤	أ) اليمانى.....
٢١٥	ب) السفىانى.....
٢١٧	ج) النفس الزكية.....
٢١٩	د) الخسف بالبيداء.....
٢١٩	هـ) الصيحة السماوية.....

الباب الخامس (أنصار المعشوق)

٢٢٣	أصحاب وأنصار المهدي عليه السلام.....
٢٢٤	الفرق بين مقام الصحبة والنصرة.....
٢٢٧	مؤمن آل فرعون.....
٢٢٩	أصحاب الكهف.....
٢٣١	المفضل بن عمر الجعفى.....
٢٣٢	صبانة زوجة حزقىل.....
٢٣٤	أم أيمن.....

- ٢٣٥..... الصفات المشتركة في أنصار المهدي عليه السلام
- ٢٣٥..... الصفات المشتركة
- ٢٣٦..... (١) التقوى والصلاح
- ٢٣٨..... (٢) الإخلاص في العبادة
- ٢٣٨..... (٣) معرفة ولي عصرهم وطاعته
- ٢٣٩..... (٤) الشجاعة في سبيل الله
- ٢٤١..... (٥) محاربة الظلم والدفاع عن المظلومين
- ٢٤٣..... السفيناني رمز الظلم والظالمين
- ٢٤٤..... (٦) حبهم وعشقهم لولي زمانهم
- ٢٤٧..... أسرع الطرق إلى عشق المهدي
- ٢٤٧..... ما هي الطرق السريعة للوصول إلى عشق المهدي؟
- ٢٤٧..... (١) معرفة المعشوق
- ٢٤٩..... (٢) التوسل بالمعشوق
- ٢٥٢..... (٣) التوسل بأب المعشوق الصديقة فاطمة الزهراء
- ٢٥٣..... (٤) زيارة الإمام الحسين عليه السلام والبكاء على مصيبتة
- ٢٥٥..... (٥) مجالسة عشاق المهدي عليه السلام
- ٢٥٩..... المراجع
- ٢٦٥..... الفهرس